

مُعَانِي الْقُرْآنِ وَالْعَرَبِ

لِلنَّجَّاحِ

أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّرِيِّ

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ

رَكُورَ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَبْدَهِ مَلِيٍّ

الجزء الثالث

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمدار

الطبعة الأولى

١٩٨٨-١٤٠٨ م

مَعَالِي الْقُرْآنِ وَتَعْلِيلُهُ



بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - صرّب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - بريقيا: نابعلبي - فاكس: ٢٣٣٩٠



سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الرَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ .
 قد بينا في أول البقرة ما قيل من ﴿الر﴾ وما أشبه ذلك .
 وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ .
 أي الآيات التي جرى ذكرها هي آيات الكتاب الحكيم .
 وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ .

يعنى بالناس ههنا أهل مكة، ويروى أنهم قالوا: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب^(١)، وجائر - والله أعلم - أنهم عجبوا من أن النبي ﷺ أنذرهم وبشر الذين آمنوا، والإنذار والبشارة متصلا بالبعث والنشور، فعجبوا أن أعلمهم أنهم يبعثون. ويجازون بالحسنة والسيئة. فقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ .

فموضع «أن» الأولى رفع، المعنى: أكان للناس عجباً وأوحينا وموضع «أن» الثانية نصب بأوحينا^(٢)، وموضع «أن»^(٣) المشددة نصب ببشر، والقراءة

(١) كان النبي ﷺ يسمى يتيم أبي طالب لأنه تربى في حجره بعد وفاة جدّه - وظل هذا الاسم يطلق عليه حتى بعد بلوغه سن الرشد ودرجة الرجولة .

(٢) أي أوحينا إليه إنذار الناس .

(٣) يعني «أن» من: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق...﴾ .

الفتح ، ويجوز كسرهما: «وبشر الذين آمنوا إِنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»، لأنَّ
البشارة قول ، فالمعنى: قُلْ لَهُمْ إِنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولكنه لا يُقرأ بها
إلا أن تثبت بها رواية لأن القراءة سنة^(١).

وَالْقَدَمُ الصَّدْقُ: المنزلة الرفيعة.

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لِسِحْرٍ مُبِينٌ﴾ - وَ﴿لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ - جميعاً^(٢).

وإنما قالوا «لسحر مبين» لما أنذرهم بالبعث والنشور.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

أعلمهم أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَقَدَّرْتُهُ هَذِهِ الْقُدْرَةُ قَادِرٌ عَلَى
بَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾.

ولم يجر للشفيع ذكر قبل هذا، ولكن الذين خُوطِبُوا كانوا يقولون إِنَّ
الْأَصْنَامَ شَفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ، فَالذِّكْرُ جَرَى بَعْدَ فِي الشُّفَعَاءِ. فقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، أي لَا يَشْفَعُ شَفِيعٌ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى اللَّهُ. قال الله - جلَّ
وعزَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى﴾^(٣) ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.

أي فاعبدوه وحده.

وقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾.

(١) الأولى أن تكون كسرهما لأن الجملة مستأنفة، ويكون المبشر به غير مذكور والتقدير قدم البشارة
للمؤمنين، لا ريب أن لهم قدم صدق عند ربهم وحذف المبشر به يؤذن بعمومه، ويجعل النفس
تذهب فيه كل مذهب.

(٢) أي قرىء بهما جميعاً. وقراءة حفص عن عاصم لساحر.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

يُدَلُّ على أَنَّ الأَمْرَ في العَجَبِ كان في البَعْثِ والنُّشُورِ. ﴿جَمِيعاً﴾
منصوب على الحال.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ منصوبٌ على معنى وَعَدَكُمْ اللَّهُ وَعَدًا، لأن قوله: ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾
معناه الوعدُ بالرجوع، وَحَقًّا منصوبٌ على أَحَقُّ ذَلِكَ حَقًّا ^(١).
ويجوز من غير القراءة وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

قرئت ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وقرئت أَنَّهُ - بفتح الألف وكسرهما،
جميعاً ^(٢). كثيرتان في القراءة، فمن فتح فالمعنى: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جميعاً لأنه
يبدأ الخلق، وَمَنْ كَسَرَ كَسَرَ على الاستِثْنَاءِ والابتداء. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾.
أي بالعدل.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾.

وقَدَرَهُ يَعْنِي الْقَمَرَ، لأنه المَقْدَرُ لِعِلْمِ السَّنِينَ والحساب، وقد يجوز أن
يكون المعنى وقَدَرَهُمَا منازل فحذف أحدهما اختصاراً وإيجازاً كما قال
الشاعر ^(٣):

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

(١) يقتضي هذا الشرح أن هناك وجهين في نصب «حقاً» - أن يكون منصوباً برعد - على أنه صفة
للمصدر المحذوف، والتقدير وعدكم وعداً حقاً، أو أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره أحق -
فيكون «حقاً» هو المفعول وليس صفة له.

(٢) وعلى الفتح هي بدل من الوعد الحق وعلى الكسر تكون الجملة مستأنفة.

(٣) تقدم جـ ٢ ٤٤٥.

وقوله: ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

معنى ﴿دَعَاؤُهُمْ﴾ دعاؤهم، يعني إن دعاء أهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

جائز أن يكون ما يُحَيَّى به بعضهم بعضاً سلام، وجائز أن يكون الله يحييهم منها بالسلام.

﴿وَأَخِيرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله رب العالمين.

﴿وَأَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - بالتخفيف - على حذف أن الشديدة^(١) والهاء، والمعنى أنه الحمد لله رب العالمين.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾.

يُرَوَّى أنهم لَوْ أُجِيبُوا فِي الدُّعَاءِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لابنه وحميمه: أَمَاتَكَ اللَّهُ، وفعل بك كذا وكذا. وجائز أن يكون عنى قوله: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٢)، وما أَشَبَهُ ذَلِكَ فلو عجل الله ذلك كما يُعَجِّلُ لَهُمُ الْخَيْرَ لَأَهْلَكَهُمْ بِهِ.

ونصب ﴿استعجالهم﴾ على مثل^(٣) استعجالهم بالخير، [أي] على نعت مصدرٍ محذوف. والمعنى وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ تَعْجِيلاً مِثْلَ اسْتِعْجَالِهِمُ بِالْخَيْرِ، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾.

ويقرأ: لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ جميعاً، جَيِّدَتَانِ^(٤)، وَلَقُضِيَ أَحْسَنُهُمَا، لأن

(١) أي على تخفيفها وحذف اسمها.

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٢.

(٣) أي على تقدير مثل محذوفة.

(٤) أي هما قراءتان جيدتان.

قوله: ﴿وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ يتصل به ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾^(١).

﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الطغيان في كل شيء ارتفاعة وعلوه. والعمه التَّحِيرُ، المعنى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في غلوهم وكفرهم يتحيرون.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾.

المعنى - والله أعلم - : وإذا مسَّ الإنسان الضرُّ من حال من الأحوال فجائز أن يكون دعانا لجنبه، ودعانا وهو سَطِيح^(٢)، أو دَعَانَا قَائِمًا.

ويجوز أن يكون: وإذا مسَّ الإنسان الضر لجنبه أو مسَّه قاعدًا، أو مسَّه قائمًا، دَعَانَا^(٣).

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾.

المعنى مرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبْتَلَى، ولم يتعظ بما ناله.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ويجوز زَيْنٌ للمُسْرِفِينَ.

موضع الكاف نصب على مفعول ما لم يسم فاعله المعنى زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ عملهم كذلك أي مثل ذلك، أي جعل جزاءهم الاضلال بإسرافهم بكفرهم.

(١) أي لو استجاب الله دعاءهم في هذا لانتهى أجلهم تلقائياً؛ فالفعل المبني للمجهول أولى.

(٢) أي ملقى منسطحاً، ولعله يريد جالساً ليستوفي الحالات الثلاث المذكورة.

(٣) أي أن «لجنبه» يجوز أن يكون متعلقاً بمس وبدعا.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

المعنى كالمعنى من قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(١).
أعلم الله - جل ثناؤه أنهم لا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ أَبْقَاهُمْ أَبَدًا. فجائز أن يكون جَعَلَ جَزَاءَهُمُ الطَّبْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ مَا قَدْ عَلِمَ مِنْهُمْ^(٢).
والدليل عَلَى أَنَّهُ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ جَزَاءً لَهُمْ قَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

قوله: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرْمَسِهِ﴾.

[كَأَنَّ] مخففة من الشديدة، المعنى كَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُنَا. قالت الخنساء:

كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا جِئِي يُتَّقَى إِذْ النَّاسُ إِذَاكَ مِنْ عَزٍّ بَزًّا^(٣)

أي كأنهم لم يكونوا.

وقوله: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

موضع ﴿كَيْفَ﴾ نَصَبٌ بقوله ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لأنها حرف استفهام، وَلَا يَعْمَلُ فيها ﴿لِنَنْظُرَ﴾ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام. ولو قلت: لننظر أخيراً تَعْمَلُونَ أَمْ شَرًّا كَانَ الْعَامِلُ فِي خَيْرٍ وَشَيٍّ تَعْمَلُونَ^(٤).

وقوله: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾.

منصوب على الحال^(٥).

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

(١) سورة الأعراف آية ١٠١.

(٢) أي طبع على قلوبهم فلن يؤمنوا بها عاشوا، أو هو سبحانه علم ذلك منهم وأخبر به.

(٣) تقدم ج ٢/ ١٢١.

(٤) الفعل ينظر معلق عن العمل بالاستفهام، والاستفهام له الصدارة في جملة، فما بعد كيف هو العامل فيها.

(٥) أي «بينات» حال.

لا يؤمنون بالبعث والنشور.

﴿إِنِّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾^(١).

أي إيت بقرآن ليس فيه ذكر البعث والنشور وليس فيه عيب آلِهَتِنَا . أو
«بَدَّلَهُ» أي أو بدل منه ذكر البعث والنشور.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾
تاويله : إِنْ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِي فَأَبْدِلْهُ.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا [مِنْ
قَبْلِهِ]﴾.

ويجوز ﴿عُمُرًا﴾ بإسكان الميم ، أي قد لبثت فيكم من قبل أن يُوحَى إليَّ لا
أَتْلُو كِتَابًا وَلَا أَخْطئه بيمينِي ، وهذا دليل على أنه أوحى إليَّ ؛ إذ كنتم تعرفوني
بينكم ، نَشَأْتُ لَا أَقْرَأ كِتَابًا ، وإِخْبَارِي إِيَّاكُمْ أَقَاصِيصَ الْأَوَّلِينَ مِنْ غَيْرِ كِتَابٍ
وَلَا تَلْقِينَ يَدُلَّ عَلَى أَنَّ مَا أَتَيْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْيٌ .

وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ .

المعنى : ما لا يضرهم إن لم يعبدوه ، ولا ينفعهم إن عبدوه .

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي
السَّمَوَاتِ [وَلَا فِي الْأَرْضِ]﴾ .

أي أتعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يميز ، وتزعمون أنها تشفع عند
الله ، فتخبرون بالكذب^(٢).

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ .

(١) أي إيت بقرآن آخر أو عدل في هذا القرآن بترك ما تكرهه منه .

(٢) في الأصل فتخبرون .

قيل يعنى بالناس ههنا العرب الذين كانوا على الشرك .

اختلفوا : آمن بعض وكفر بعض .

وقيل : ما كان الناس إلا أمة واحدة ، أي وليدوا على الفطرة ، واختلفوا بعد الفطرة .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ .

ويجوز لقضى بينهم ، أي لولا أن الله - جل وعز - جعل لهم أجلاً في القضاء بينهم ، لفصل بينهم في وقت اختلافهم^(١) .

ويبين منصوبة لأنها ظرف .

وقوله : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾ .

يعنى بالناس ههنا الكافرون .

وقوله : ﴿وَإِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ .

جواب الجزاء ، وهو كقوله : ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ .^(٢) المعنى وإن تصيبهم سيئة قنطوا ، وإذا أذقنا الناس [رحمة]^(٣) مكروا . فإذا تنوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل^(٤) .

وقوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ .

ويجوز هو الذي يسيركم ، ولا أعلم أحداً قرأ بها^(٥) .

(١) أي في هذه الدنيا .

(٢) سورة الروم الآية ٣٦ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق وليست بالأصول .

(٤) إذا الفجائية تقع في جواب الشرط تسد مسد الفعل الذي هو جواب الشرط .

(٥) يسيركم بمعنى يسير بكم ويسيركم ، وسار فعل لازم فوصله بالمجرور على وجه التوسع .

﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾.

الْفُلْكِ يَكُونُ وَاحِداً وَيَكُونُ جَمْعاً، كَمَا أَنَّ فُعْلاً فِي قَوْلِكَ أَسَدٌ، جَمَعَ أَسَدٌ، وَفُعْلٌ وَفَعْلٌ مِنْ بَابِ وَاحِدٍ، جَازَ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ الْفُلْكِ فُلُكاً.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾.

ابْتِدَاءُ الْكَلَامِ خُطَابٌ، وَبَعْدَ ذَلِكَ إِخْبَارٌ عَنْ غَائِبٍ لِأَنَّ مِنْ أَقَامَ الْغَائِبَ مَقَامَ مَنْ يُخَاطَبُهُ جَازَ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى الْغَائِبِ، قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

شَطَطَ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسراً عَلَى طَلَابِكَ ابْنَةً مَحْرَمٍ
وَمِثْلُ الْآيَةِ قَوْلُ كَثِيرٍ^(٢).

أَسَيِّئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا، وَلَا مَقْلَتَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ
وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ.

وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
يَعْنِي بِهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: اخْتَلَفَ هَابِيلُ وَقَابِيلُ^(٣).

وقوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾^(٤) وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

(١) من معلقة عنترة - البيت السابع منها - ورواية الزوزني له:

نَزَلْتُ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ

ويعني بالزائرين الأعداء جمع زائر، من زار الأسد يزأر - أي الأعداء الأشداء. والرواية المشهورة كما هي هنا، ونبه الزوزني إلى هذا الالتفات ويستشهد به النحويون على تأنيث الفعل إذا كان الفاعل المذكور مضافاً لمؤنث، وانظر شرح العشر ٩١، ومجاز أبي عبيدة ٢٣/١.

(٢) من تائيته الشهيرة - انظر ديوانه ٤٦/٢ - وأما القالي ١٠٩/٢.

(٣) الأولى أن يكون المراد اختلاف الناس عامة، واختلاف ولدى آدم كان فقط بداية الخلافات.

(٤) في وصف الريح بالذكر انظر ما سبق.

المعنى من كل أمكنة الموج .
﴿وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ .

يقال لكل من وقع من بلاء^(١) قد أحيط به ، أي أحاط به البلاء وقيل
أحاطت بهم الملائكة .

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

المعنى فلما أنجاهم بغوا ، والبغي الترامي في الفساد . قال الأصمعي :
يقال بغى الجرحُ يبغي بغياً إذا ترمى إلى فسادٍ ، وبغت المرأة بغاءً إذا فجرت .
وقوله : ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

وتقرأ ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ ، خبراً لقوله : ﴿بغىكم على أنفسكم﴾ . ويجوز أن
يكون خبر الابتداء ﴿على أنفسكم﴾ . ويكون ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ على إضمار هو ،
ومعنى الكلام أن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا ﴿ثُمَّ
إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ .

ومن نصب ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ فعلى المصدر ، المعنى تتمتعون متاع
الحياة الدنيا ، لأن قوله إنما بغىكم على أنفسكم يدل على أنهم يتمتعون^(٢) .

ومعنى ﴿بغىكم على أنفسكم﴾ أي عملكم بالظلم عليكم يرجع^(٣) ، كما
قال جل وعز : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٤) .

وقوله : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزِينَتْ﴾ .
ويقرأ ، وَأُزِينَتْ^(٥) .

(١) في الأصول ملأ - ولا معين له - وما بعده يدل على ما صححناه .

(٢) الظاهر أن متاع مفعول لأجله . وهو في قراءة عاصم منصوب .

(٣) لا يعود إلا عليكم . (٤) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٥) فاهمة للدخول في الوقت نحو أحصد الزرع ، أو كما فهمها هو .

والزخرف كمال حسن الشيء، فمن قرأ.. و«أَزَيْنْتُ» فالمعنى وتزيّنتُ فأدغمت التاء في الزاي، وسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل، ومن قرأ: «وَأَزَيْنْتُ» بالتخفيف فهو على أفعلتُ أي جاءت بالزينة، وأَزَيْنْتُ بالتشديد أجود في العربية، لأن أَزَيْنْتُ الأجود فيه في الكلام أَرَأَنْتُ.

﴿وَضَنُّ أَهْلِهَا أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾.

أي قادرون على الانتفاع بها.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾.

أي كأن لم تَعْمَرْ بالأمس، والمغاني المنازل التي يعمرها الناس بالنزول بها، يقال: غنينا بمكان كذا وكذا إذا نزلوا به.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

السلام هو الله جلّ وعزّ - فالله يدعو إلى داره، وداره الجنة، ويجوز - والله أعلم - أن يكون دار السلام الدار التي يُسَلِّمُ فيها من الآفات.

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

الحسنى الجنة، و«زيادة» في التفسير النظر إلى وجه الله - جلّ وعزّ، ويجوز أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات، لأنه قال - جلّ وعزّ -: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا﴾^(١). والقول في النظر إلى وجه الله كثير في التفسير وهو مرّوي بالأسانيد الصّحاح، لا يُشكُّ في ذلك.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾.

القَتَرُ العَبْرَةُ التي فيها سواد، ولا يَرْهَقُ لا يَعُشِي.

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٠.

وقوله جل وعزّ، لأهل النار: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾.

ويقرأ قِطْعاً من الليل مظلماً من نعت القطع، ومن قرأ قِطْعاً جعل مظلماً حالاً من الليل^(١). المعنى أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعاً من الليل في حال ظلمته.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

﴿جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾.

مكانكم منصوب على الأمر، كأنه قيل لهم انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، والعرب تتوعد فتقول مكانك^(٢)، وانتظر، فهي كلمة جرت على الوعيد:

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

من قولك زِلْتُ الشيءَ عَنْ مَكَانِهِ أَزِيلُهُ، وَزَيَّلْتُ لِلْكَثْرَةِ، ومن هذا إذا نحيتَه عن مكانه.

وقوله: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

معناه كفى الله شهيداً، وشهيداً منصوب إن شئت على التمييز، وإن شئت على الحال.

﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

معناه: ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين^(٣).

وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾.

(١) في الأصل: حالاً من الليل مظلماً.

(٢) اسم فعل أمر.

(٣) لا محال للقصر هنا، وإعما معناه لقد كنا، فهي «إن» المخففة في خبرها لام التوكيد.

﴿هنالك﴾ ظرف، المعنى: في ذلك الوقت تبلو، وهو منصوب بتبلو إلا أنه غير متمكن، واللام زائدة، والأصل هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة.

ومعنى ﴿تبلو﴾ تُخَبِّرُ، أي تعلم كل نفس ما قدمت، ومثل هنالك قول زهير

هُنَالِكَ إِنْ يَسْتَخِيلُوا الْمَالَ يَخِيلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا يُعْطُوا (١)
وقرئت هنالك تتلو بتاءين، وفسرها الأخفش وغيره من النحويين تتلو من التلاوة، أي تقرأ كل نفس، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ - إلى قوله: ﴿إِقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ (٢).

وفسروه أيضاً: تَتَّبِعُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ، ومثله قول الشاعر:

قد جعلت دَلْسِي تَسْتَتِلْنِي ولا أحب سبع القرين (٣)
أي تستبغني، أي تستدعي اتباعي لها.
﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾.

القراءة «الحق» من صفة الله عز وجل - ويجوز الحق والحق. والنصب

(١) الديوان ١١٢، واللسان (خَوْل - خَبَل) والقرطبي ٢٥٧/١ ومجاز أبي عبيدة ١٨٨/٢، ١٨٩، ورواية فيها جميعاً إن يُسْتَخِيلُوا المال يَخِيلُوا وأشار أبو عبيدة إلى الرواية التي هنا أنه سمعها من يونس وفي اللسان (خبل) الإخبال أنه يعطي الرجل البعير أو الناقة ليركبها ويمتدّ ويترها ويستفح بها - يقال: أخيلت الرجل أخيله إخبالاً. وذكر البيت، وأما أن يستخولوا - فهي من خوله الشيء أي منحة وأباحه إياه.

(٢) الآية ١٣ - ١٤ من سورة الإسراء. ونصها: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً. إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

(٣) تقدم هذا الرجز في الجزء الأول ٤٥٩.

من جهتين إحداهما رُدُّو حَقًّا، ثم أُدْخِلَت الألف واللام^(١)، ويجوز على [تقدير] هو مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ، أي يحق ذلك حقًّا، وفيه جهة ثالثة في النصب على المدح: [هي] اذكر مولاهم الحق.

ومن قرأ «الحق» - بضم القاف - فعلى هو مولاهم الحق، لا من جعلوا معه من الشركاء.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾.

بعد أن قرَّروا فقليل لهم:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ [مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمَنْ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾.

لما خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله - جلَّ وعزَّ - كان فيه دليل على توحيده^(٢).

وقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾.

الكاف في موضع نصب، أي مثل أفعالهم جازأهم ربك.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي حق عليهم أنهم لا يؤمنون، فإنهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك.

أعلم الله أنهم بأعمالهم قد مُنِعُوا من الإيمان، وجائز أن تكون الكلمة حَقَّتْ عَلَيْهِمْ لأنهم لا يؤمنون، فأنهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك وتكون الكلمة ما وُعدوا به من العقاب.

(١) أي ردوا الرَّدَّ الحق.

(٢) أي بعد أن ذكر لهم أن الله هو المولى الحق جيء في هذه الآية بما يثبت أنه الحق وحده.

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾.

تَقُولُ هَدَيْتُ إِلَى الْحَقِّ، وَهَدَيْتُ الْحَقَّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، لِأَنَّ «هَدَيْتُ» يَتَعَدَّى إِلَى الْمَهْدِيِّينَ وَإِلَى الْحَقِّ. يَتَعَدَّى بِحَرْفِ جَرٍ. الْمَعْنَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِلْحَقِّ.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾
[أَي] قُرُّوْا، فَقِيلَ لَهُمْ: أَيُّ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ؟ الَّذِي يَهْدِي أَمْ الَّذِي لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى.

وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ الْأَصْنَامَ.

وَفِي يَهْدِي قِرَاءَاتٍ، قَرَأَ بَعْضُهُمْ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي بِإِسْكَانِ الْهَاءِ وَالذَّالِ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ مَرْوِيَّةٌ إِلَّا أَنَّ اللَّفْظَ بِهَا مَمْتَنَعٌ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ قَرِئَ بِهَا وَهِيَ شَاذَةٌ. وَقَدْ حَكَى سِيبَوِيهٌ أَنَّ مِثْلَهَا قَدْ يَتَكَلَّمُ بِهِ^(١).

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ أَمْ لَا يَهْدِي - بَفَتْحِ الْهَاءِ - وَهَذَا صَحِيحٌ جَيِّدٌ بِالْغ - الْأَصْلُ يَهْدِي فَادْغَمَ التَّاءَ فِي الدَّالِ وَطَرَحَ فَتَحَتَهَا عَلَى الْهَاءِ وَالَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ سَاكِنَيْنِ. الْأَصْلُ عِنْدَهُمْ أَيْضاً يَهْتَدِي، فَادْغَمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ وَتَرَكْتَ الْهَاءَ سَاكِنَةً، فَاجْتَمَعَ سَاكِنَانِ.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي، وَهِيَ فِي الْجَوْدَةِ كَفَتْحِ الْهَاءِ فِي الْجَوْدَةِ. وَالْهَاءُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مَكْسُورَةٌ لِلِاتِّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَرَوَيْتُ عَنْ عَاصِمٍ أَيْضاً «يَهْدِي» بِكَسْرِ الْهَاءِ وَالْيَاءِ. أَتَّبَعَ الْكُسْرَةَ الْكُسْرَةَ، وَهِيَ رَدِيئَةٌ لِنَقْلِ الْكُسْرِ فِي الْيَاءِ.

(١) انظر الجزء الأول ص ٩٥ وما ذكرناه في شرح البيت:

كأنها بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

وقرئت أم من لا يَهْدِي بدال خفيفة .
فهذه خمسة أوجه قد قرئ بها هذا الحرف
وقوله : ﴿فَمَا لَكُمْ ، كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ .

﴿مالكم﴾ كلام تام ، كأنه قيل لهم : أي شيء لكم في عبادة الأوثان ، ثم
قيل لهم : ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ : [أي] على أي حال تحكمون ، فموضع كيف نصب
بتحكمون .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

هذا جواب لقولهم : إيتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، وجواب لقولهم
افتراه ، والمعنى وما كان هذا القرآن لأن يفتري من دون الله ويجوز أن يكون
المعنى : وما كان هذا القرآن افتراءً ، كما تقول : وما كان هذا الكلام كذباً .
﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

وفيه وجهان أحدهما أن يكون تصديق الشيء الذي القرآن بين يديه ، أي
الذي قبل سماعكم القرآن ، أي تصديق من أنباء الأمم السالفة وأقاصيص
أنبيائهم .

ويجوز أن يكون «ولكن تصديق الذي بين يدي القرآن» ، أي تصديق
الشيء الذي تقدمه القرآن أي يدل على البعث والنشور^(١) .

وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه ، فمن نصب فإن المعنى ولكن كان
تصديق الذي بين يديه ، ومن رفع فعلى ولكن تصديق الذي هو بين يديه .
ومن رفع قال : ﴿وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ﴾ .

(١) ما بين يديه يجوز أن يكون الشيء الذي سبقه وتقدم عليه كما يتقدم الرجل الرجل ، ويجوز أن
يكون الذي سيأتي لأنه مستقبل بالنسبة للقرآن فهو بين يديه .

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

المعنى بل أيقولون افترأه^(١) هذا تقرير لهم لإقامة الحجة عليهم: ﴿قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾.

أي أتقولون النبي اختلقه وأتى به من ذات نفسه، فاتوا بسورة من مثله، أي بسورة مثل سورة منه، وإنما قيل مثله، يراد سورة منه لأنه إنما التمس من هذا شبه الجنس.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾.

ممن هو في التكذيب مثلكم، وإن خالفكم في أشياء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أنه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾.

هذا، - والله أعلم - قيل في الذين كذبوا، وهم شاكون ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل أن علم التأويل ينبغي أن يُنظر فيه، ويجوز أن يكون: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة، ودليل هذا القول: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

كَيْفَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى خَيْرِ كَانٍ، ولا يجوز أن يعمل فيها. «انظر» لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُّؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُّؤْمِنُ بِهِ﴾.

أي منهم من يعلم أنه حق فيصدق به، أويعاند فيظهر الكفر،

(١) أم منقطعة فلا يفارقها معنى الاستفهام، والتقدير بل أيقولون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ : أي منهم من يشك ولا يُصدق .
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ .

أي ظاهرهم ظاهر من يستمع ، وهم لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ وبغضهم للنبي ﷺ
وسوء استماعهم بمتزلة الصُّم .

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ .

أي ولو كانوا مع ذلك جُهالاً ، وهل مثل قول الشاعر .

أصم عما ساء سميع^(١)

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ .

أي يُقبل عليك بالنظر وهو كالأعمى من بُغْضه لك وكرهته لما يراه من
آياتك ، كما قال الله - جل ثناؤه - . ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى
عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ أي قُرب عندهم
ما بين مَوْتِهِمْ وَبَعْثِهِمْ ، كما قال - عز وجل : ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾^(٣) .

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ .

يَعْرِفُ بعضهم بعضاً ، وفي معرفة بعضهم بعضاً وعلم بعضهم بإضلال
بعض ، التوبيخ لهم وإثبات الحجة عليهم .

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ .

يجوز - والله أعلم - أن يكون هذا إعلاماً من الله - جلَّ وعزَّ - بعد أن

(١) تقدم في الجزء الأول . ٨٢ ، ٢٤٢ ، ٣٦٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٩ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٩ .

بَيْنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَمْرِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، أَنَّهُ مِنْ كَذَبٍ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ خَسِرَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِتَعَارُفِهِمْ بَيْنَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ .

وقوله: ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ .

يقال في التفسير إنه يعنى به وَقَعَةُ بَدْرٍ، وقيل إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - أعلم النبي ﷺ أَنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يُعْلِمَهُ أَيْكُونُ ذَلِكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ أَمْ بَعْدَهَا .

والذي تدل عليه الآية أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - أَعْلَمَهُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْتَقِمْ مِنْهُمْ فِي الْعَاجِلِ انْتَقَمَ مِنْهُمْ فِي الْآجِلِ، لَأَن قَوْلَهُ: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يدل على ذلك] (١) .

وقد أعلم كيف المجازاة على الكفر والمعاصي .

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

المعنى - والله أعلم - أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ شَهِدَ عَلَى أُمَّتِهِ بِإِيمَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ . كما قال - جَلَّ وَعَزَّ - . ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢)، وكما قال جلَّ وعزَّ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣) .

ويجوز - والله أعلم - أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَعَذِّبُ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمُ وَالْإِنْذَارِ، أَي لَمْ يَعَذِّبْهُمْ حَتَّى يَجِئَهُمُ الرُّسُولُ، كما قال - جَلَّ وَعَزَّ - :

(١) ليس في الأصل خبر لأن فردنا هذه الجملة .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٣٠ .

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١)، وكما قال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢).

وقوله - جل وعز: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا﴾.

البَيَّاتُ كُلُّ مَا كَانَ بِلَيْلٍ، وهو منصوبٌ على الوقتِ.

وقوله: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

ما في موضع رفع من جهتين: إحداهما أن يكون ذا بمعنى . . «ما الذي يستعجلُ منه المُجرِمُونَ، ويجوز أن يكون «ماذا» اسماً واحداً، ويكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المُجرِمُونَ^(٣) والهاء في منه يعود على العذاب نصب، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله - جل وعز - . والأجودُ أن تكون الهاء تعود على العذاب؛ لقوله: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾.

وقوله: ﴿آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

المعنى: آلَانَ تَوْمُنُونَ، فزعمَ القراءُ أن . . «آلان» إنما هو «أنَّ كَذَا وكذا»، وأن الألف واللام دخلت على جهة الحكاية.

وما كان على جهة الحكاية نحو قولك «قام» إذا سميت به فجعلته مبنياً على الفتح لم تدخله الألف واللام.

و «الآن» عند سيبويه مبني على الفتح. نحو «نحن من الآن نصيرُ إليك». فتفتح لأن الألف واللام إنما تدخل لعهدٍ، و «الآن» لم تعده قبل هذا

(١) سورة الإسراء الآية ١٥ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٣) انظر ج ١، ١٠٥، ٢٨٧، ٢٨٨ .

الوقت، فدخلت الألف واللام للإشارة إلى الوقت، والمعنى نحن من هذا الوقت نفعل، فلما تضمنت معنى هذا، وجب أن تكون موقوفة^(١) ففتحت لالتقاء الساكنين، وهما الألف واللام^(٢).

وقوله: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَ أَحَقَّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: المعنى نعم وربّي .
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ .

أي لستم ممن يُعْجِزُ أن يُجَازَى عَلَى كُفْرِهِ^(٣).

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ .

هؤلاء الدعاة الرؤساء الكفرة، أسروا ندامتهم.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

يعني القرآن .

وقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ .

اللام أصلها الكسر^(٤) . و﴿فَبِذَلِكَ﴾ بدل من قوله . . ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ

وَبِرَحْمَتِهِ﴾ .

وهو يدل على أنه يعني به القرآن أيضاً .

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً

وَحَلَالاً﴾ .

«مَا» في موضع نصب بأنزَلَ، والمعنى إنكم جعلتم البحائر والسائب^(٥)

حراماً واللّه لم يُحرِّم ذلك .

(١) مبنية .

(٢) الآن عنده مبنية، وهذا تعليل لبنائها، وهو غير جيد كما ترى .

(٣) لا تعجزون الله أن يُجَازِيَكُمْ .

(٤) لام الامر في «فَلْيَفْرَحُوا» .

(٥) البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة، وهي أنواع من الإبل كانوا يحرمون ذبحها - ارجع إلى

الآية ١٠٣ من سورة المائدة .

وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾.

أي أي وقت تكون في شأن من عبادة الله، وما تلوث به - من الشأن من قرآن.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾:

أي إذ تتشربون فيه، يُقال: أفاض القوم في الحديث إذا انتشروا فيه وخاضوا.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾.

يقراً يعزب ويعزب - بضم الزاي وكسرهما - ومعناه ما يبعد، والمثقال: والثقل في معنى واحد.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾.

فالفتح على . . ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع جر إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع فالمعنى: ما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

والخبر قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

جاء في أكثر التفسير: البشرى، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن في منامه، وفي الآخرة الجنة، وهو - والله أعلم - أن البشرى ما بشرهم الله به، وهو

(١) أي تمام معنى الجملة - وهو ليس خبراً مبتدأ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾^(١)، وهذا يدل عليه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

أي لا يحزنك إيعادهم^(٢) وتكذيبهم وتظاهروهم عليك.

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾.

إن الغلبة لله فهو ناصرُك وناصر دينه.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

يفعل فيهم ما يشاء.

وقوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾.

المعنى ما عندكم من حُجَّة بهذا.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

هذا وقف التمام، وقوله:

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

مَرْفُوع على معنى ذلك متاع في الدنيا، ولو كانت نصباً لَجَازَتْ، إلا أنه لا يقرأ بها لمخالفة المصحف.

وقوله: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

ويقرأ.. فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ.

زعم القراء أن معناه: فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ. وهذا غلط لأن الكلام لا فائدة فيه، لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم،

(١) سورة التوبة الآية ٢١. (٢) وعيدهم وتهديدهم.

فالمعنى فأجمعوا أمركم مع شركائكم^(١)، كما تقول لو تَرَكْتَ الناقةَ وفَصِيلَهَا لَرَضَعَهَا، المعنى لو تَرَكْتَ مَعَ فصِيلَهَا لَرَضَعَهَا.

ومن قرأ - «وَشُرَكَاءُكُمْ» جاز أن يعطف به على الواو، لأن المنصوب قد قَوَّى الكلام^(٢). لو قلت لو تَرَكْتَ اليومَ وزيدٌ لعلمت [جاز] ولو قلت لو تَرَكْتَ وزيدٌ لقبح، لأنك لا تعطف على الضمير المرفوع حتى تقوَّى المرفوع بلفظ معه.

ومن قرأ.. «وَشُرَكَاءُكُمْ» في قوله^(٣) فأَجْمَعُوا أمركم - بوصل الألف. فنصبه على ضربين أحدهما العطف على الأمر، المعنى فأَجْمَعُوا أمركم وأَجْمَعُوا شُرَكَاءَكُمْ، ويكون فأجمعوا مع شركائكم أَمْرُكُمْ^(٤).

ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴿٥﴾.

أي ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً^(٥)، كما قال رؤية:

بَلْ لَوْ شَهِدَتِ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا

بِغَمَّةٍ لَوْلَمْ تُفَرِّجْ غُمُوا^(٦)

غُمُوا بالمكروه، بِغَمَّةٍ، أي ما يَسْتَرِهِمْ، واشتقاق ذلك من الغَمَامَةِ التي تستر، ويجوز ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّةً أي غَمًا.

(١) بتقدير «ادعوا» يكون «شركاءكم» مفعولاً به، ودعوة الشركاء تكون أيضاً لإجماع الأمر. فأقرب من هذا أن تكون الواو للمعية أي أجمعوا أمركم مع شركائكم. هذا كلامه، والتقدير الأول يستقيم على معنى أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم.

(٢) أي وجد فاصل بين ضمير الرفع والمعطوف.

(٣) أي في القراءة التي يجعل أجمعوا من الثلاثي جمع وتنصب شركاء.

(٤) المعنى حينئذ دبروا مع شركائكم أمركم.

(٥) ليكن الرأي واضحاً وفكرتكم لا غموض فيها في أذهانكم.

(٦) تَكْمُوا - من الكَم وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهر، ويقال كُم الفصيل إذا أشفق عليه فسُير حتى يقوى. والغَم والغُمَّة الكرب، وتَكْمُوا غَطُّوا بالغَم.

والرجز في اللسان (غمم - كمم) ..

﴿ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ﴾.

قرئت ثم أفضوا إلي، فمن قال: ثم أفضوا إلي فالمعنى: ثم افعلوا ما تريدون. و﴿ثُمَّ أَفْضُوا﴾ - بالفاء - وهي قريبة المعنى منها^(١).

وقوله: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾.
هذا الكلام تقرير لقولهم:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾. هذا اللفظ؟ أي إن هذا لسحر مبين. ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فَقَالَ: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا؟ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ﴾.

والمفلح الذي يفوز بإرادته أي فكيف يكون هذا سحراً^(٢) وقد أفلح الذي أتى به، أي فاز، وفلح^(٣) في حجته.

﴿قَالُوا أَجِئْتِنَا لِتُلَفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

أي لتصرفنا وتعدلنا، يقال لفته عن الأمر ألفتة لفتاً إذا عدلته عنه، ومن هذا قولهم التفت إليه أي عدل وجهه إليه.

﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾.

الكبرياء المُلْك، وإنما سُمِّي^(٤) المُلْك كبرياء لأنه أكبر ما يُطلب من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ﴾.

(١) أي انتهوا إلي.

(٢) المفلح الذي ينال ما يريد، والسحر أوهام وشعبذة، فكيف تسمون الحق سحراً.

(٣) الفلح هو الظفر والفوز - يقال فلج الرجل على خصمه يفلج ويفلج - كينصر وضرب - فلجاً.

(٤) في الأصل «سُيِّت».

إِذْ قَالَ مُوسَى: الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ^(١)، وَيَقْرَأُ مَا جِئْتُمْ بِهِ، السَّحَرُ،
والمعنى أي شيء جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ. هو على جهة التوبيخ لهم.
﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

قيل إنه مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا، وآمنت طائفة من أولادهم.

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾.

جاز أن يقال مَلَئِهِمْ لأن فرعون ذو أصحاب يَأْتَمِرُونَ له، والملا من
القوم الرؤساء الَّذِينَ يُرْجَعُ إِلَى قَوْلِهِمْ^(٢).
وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي لا تهلكننا وتعدبنا فَيُظَنُّ آل فرعون إنا إنما عُذِّبْنَا لأننا على ضلال.

وقوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.

جاء في التفسير: اجعلوا صلاتكم إلى البيت الحرام، وقيل: اجعلوا
بيوتكم قبله أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف لأنهم آمنوا على خوف من
فرعون.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾.

ويقرأ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، [أي] إنك آتيت فرعون وملاه زينة وأموراً في
الحياة الدنيا فَأَصَارَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الضلال كما قال - جَلَّ وَعَزَّ - ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ
فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٣) أي فالتقطوه وآل أمره أن صار لهم عَدُوًّا
وَحَزَنًا، لا أنهم قصدوا إلى أن يكون لهم عدواً وحزناً.

﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾.

(١) تتم الجملة بهذا، فكلمة السحر خبر، وجملة إن الله سيطله مستأنفة، وعلى الوجه الثاني يتم
المعنى عند «ما جِئْتُمْ بِهِ» فتكون استفهاماً و«السحر»، جملة ثانية استفهامية أيضاً.

(٢) سورة القصص الآية ٨.

(٣) أي على خوف منه ومن الملا.

جاء في التفسير أي اجعل سُكْرَهُمْ حجارة^(١). وتأويل تطميس الشيء
إنهائه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها.

﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

أي اطبع على قلوبهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

دعاء أيضاً عليهم. ويجوز - والله أعلم - ما قاله محمد بن يزيد. ذكر أن

قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي ربنا إنك

أتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا.

وقوله: ﴿قَدْ أَجِيتَ دَعْوَتُكُمْ﴾.

يروى في التفسير أن موسى دعا، وأن هارون أَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ. وفي الآية

دليل أنهما دَعَا جَمِيعاً لأن قوله: ﴿قَدْ أَجِيتَ دَعْوَتُكُمْ﴾ يدل أن الدَّعْوَةَ منهما

جميعاً، والمُؤْمِنُ عَلَى دُعَاءِ الدَّاعِي دَاعٍ أَيْضاً لأن قوله «آمين» تأويله استجب

فهو سائل كسؤال الداعي.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ [الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]﴾.

موضع ﴿تَتَّبِعَنَّ﴾ جزم، إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة،

وَكُسِرَتْ لسكونها وسُكُونُ النون التي قبلها^(٢)، واختير لها الكسر لأنها بعد

الألف، فشبهت بنون الاثنين.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾.

(١) اجعل أمواهم الثمينة شيئاً تافهاً لا قيمة له.

(٢) هكذا في الأصول - ولعله الألف التي قبلها. إذ لا نون ونون الرفع حذفت ولم تكن ساكنة -

والتعليل الذي ذكره يؤيد هذا. كما يقال للنسوة اكْتَبَاءٌ.

جسده الله يَسَأُ حَتَّى جَاوَزُوهُ

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾.

﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نَلْقِيكَ عُرْيَانًا^(١) وقيل نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ نَلْقِيكَ عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ آيَةً لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ إِلَهٌ وَكَانَ يَعْبُدُهُ قَوْمُهُ، فَبَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَنَّهُ عَبْدٌ.

وفيه من الآية أنه غرق القوم وأُخْرِجَ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَكَانَ فِي ذَلِكَ آيَةً.

وقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هذه آية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها جدًّا، وفي السورة ما يدل على بيانها وكشف حقيقتها: -

والمعنى أن الله - جلَّ وعزَّ - خاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى: إن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

فَاعْلَمْ اللَّهُ - جلَّ وعزَّ - أن نبيه ﷺ ليس في شك، وأمره أن يتلوا عليهم ذلك.

ويروى عن الحسن أنه قال: لم يسأل ولم يشك، فهذا بين جدًّا. والدليل على أن المخاطبة للنبي مخاطبة للناس قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٢). فقال طَلَّقْتُمُ ولفظ أول الخطاب للنبي

(١) من نجوت الشاة أي سلختها ونجوت الرجل أي كشفت ثيابه.

(٢) أول سورة الطلاق.

وحده فهذا أحسن الأقوال وفيها قولان اخران .

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين ، كما تقول للرجل : إن كنت أبي فتعطف عليّ ، أي إن كنت أبي فواجب أن تتعطف عليّ ، ليس أنه شك في أنه أبوه .

وفيها وجه ثالث^(١) : أن تكون «أن» في معنى «ما» فيكون المعنى ما كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون ، أي لسنا نأمرك لأنك شاك ، ولكن لترداد ، كما قال إبراهيم : ﴿أَو لَمْ تَوْنِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢) فالزيادة في التثيت ليست مما يبطل صحة القصد ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ .

فهلاً كانت قرية ، قال الشاعر^(٣) .

تَعُدُّونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بني ضَوْطَرَى ، لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمَقْنَعَا

(١) هذا هو الوجه الثاني من الوجهين الآخرين اللذين ذكرهما .

(٢) كما قال إبراهيم . . . ب ﴿أَوَلَمْ تَوْنِ﴾ .

(٣) هو جرير يهجو الفرزدق . وكانت حدثت مجاعة بالكوفة ، حَلَّتِ الناس على الخروج إلى البادية ، فذبح غالب والد الفرزدق ناقة - لقومه وأهلي سحيم بن وثيل منها فلم يقبل وذبح مثلها . وذبح غالب اثنين وباراه سحيم فذبح غالب مائة وعجز سحيم عن ذبح مثلها . ولكن قومه لاموه بعد ذلك فذبح ثلاثمائة وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب فنهى الناس عن الأكل منها وبقي لحمها مطروحاً . وسحيم هذا قد يلتبس بسحيم عبد بني الحسحاس . ولكنه سحيماً هذا شاعر مخضرم يعني شريف من بني يربوع له شعر جيد وصفات حميدة ، يقال إنه عاش مائة عام منها ستون في الإسلام .

وانظر البيت والقصة في الخزائن ١٦٤/٣ (السلفية) الشاهد ١٦٤ وانظر العيني ٤٨٢/١ ، وشواهد المغني ٢٢٩ ، والأغانى ١٥٣/٨ ، وذيل الأماي ٥٢ وبه . أشعار أخرى في هذا الحادث .

ورجل ضوطرى أي ضخم كثير اللحم . أراد جرير أن يسخر من الفرزدق بهذه التسمية . والمعنى أن عقر النوق لا فخر فيه لكم ، وإنما يفتخر بقتل الشجعان الشاكي السلاح وأنتم لا تستطيعون ذلك . وينسب البيت أيضاً لغير جرير .

أي فهلاً تَعَدُّونَ الكميَّ، والكمي الداخل في السلاح، والمعنى: فهلاً كان أهل قرية آمنوا.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾.

استثناء ليس من الأول، كأنه قال لكن قوم يونس لما آمنوا.

وقوله: ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾.

معناه هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان، وجرى هذا بعقب قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾. فأعلم الله - جلَّ وعزَّ - أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لَا يُشَكُّ فِيهِ. قال الله - جلَّ وعزَّ -: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾^(١).

وقوم يونس - والله أعلم - لم يقع بهم العذاب، إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب، فلما آمنوا كُشِفَتْ عنهم.

ومثل ذلك العليل الذي يتوب في مَرَضِهِ وهو يرجو في مرضه العافية ولا يخاف الموت فتوبته صحيحة.

أما الذي يعاين^(٢) فلا توبة له، قال الله - عزَّ وجلَّ في قِصَّتِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٣).

فأما النصب في قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ فمثله من الشعر قول النابغة:

(١) سورة النساء الآية ١٨.

(٢) يُعَايِنُ الْمَوْتَ وَيُوقِنُ وَقُوعَهُ.

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩.

وقفت فيها أضيلاً أسائلها أعيت جواباً وما بالربع من أحد
إلا الأواري لأياً ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد^(١)

ويجوز الرفع على أن يكون على معنى فهلاً كانت قرية آمنت غير قوم
يونس، فيكون... ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾... صفة.

ويجوز أن يكون بدلاً من الأول، لأن معنى قوم يونس محمول على
معنى هلاً كان قوم قرية، أو قوم نبي آمنوا إلا قوم يونس. ولا أعلم أحداً قرأ
بالرفع.

وفي الرفع وجه آخر وهو البدل، وإن لم يكن الثاني من جنس
الأول^(٢)، كما قال الشاعر^(٣).

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس
وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣).

(١) البيتان الثاني والثالث من قصيدته:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
ويروى البيت الأول - وقفت فيها أضيلاً كي، ووقفت فيها طويلاً.
والأواري جمع آري، وهو مربوط الدواب، ولأياً ما أبينها، أي انطمست فلا تكاد تعرف إلا بمشقة.
والنؤي الحفرة حول الخيمة ليجتمع فيها الماء والمظلومة الأرض التي لم تمطر، والجلد الأرض
الصلبة الغليظة.

انظر شرح العشر للزوزني ١٩٦ ط صبيح، والديوان من السنة ٢٤.

(٢) أي هو استثناء منقطع.

(٣) هو جران العود النميري، وهو عامر بن الحرث. وقيله:

قد ندع المنزل يا لميس يعتس فيه السبع الجروس
وليس هي زوجته، ويعتس فيه السبع أي يجول ليلاً، والجروس من الجرس وهو الصوت، أي
السبع ذو الصوت. ويروى البيت: - بسابا ليس به أنيس -، أي ما يؤتس به إنساناً كان أو غيره.
والبيت في ابن يعيش ٨٠/٢ والخزانة ١٩٧/٤ والعيني ١٠٧/٣ والشاهد أن الاستثناء منقطع، ومع
ذلك رفع.

معناها وما كان لنفس الوصولة إلى الإيمان إلا بما أعلمها الله منه،
ويكون أيضاً إلا بتوفيق الله، وهو إذنه.

﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

والرجس العذاب، ويقال هو الرجز.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ونُنَجِّي، أي إذا أهلكت قرية أنجى الله الأنبياء، والمؤمنين مما ينزل
بأهلها.

فإن قال قائل: فهلاً كانت قرية آمنت، ألم يؤمن أحد من أهل القرى؟
فالمعنى أن أهل القرى ذكر الله في جمهورهم الكفر، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

فأما من قرأ.. «نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ» فلا وجه له. وقد نُجِّي النجاء
المؤمنين.. وهذا روي في القراءة عن عاصم في سورة الأنبياء ولا وجه له..

(١) سورة الأعراف الآية ٦٦.

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿الرَّكَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾.

كتاب مرفوع بإضمار هذا كتاب، وقال بعضهم: كتاب خبر «الر» وهذا غلط، لأن قوله: ﴿رَكَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (ثم فُصِّلَتْ) ليس هو «الر» وحدها. وفي التفسير أحكمت آياته^(١) بالأمر والنهي والحلال والحرام ثم فصلت بالوعد والوعيد.

والمعنى - والله أعلم - أَنَّ آيَاتِهِ أُحْكِمَتْ وَفُصِّلَتْ بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وإثبات نبوة الأنبياء - عليهم السلام - وإقامة الشرائع.

والدليل على ذلك قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

ويدل على هذا قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

المعنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

(١) هذه الجملة - ساقطة من ط - ولا يتم المعنى بدونها.

(٢) الأنعام الآية ٣٨.

(٣) سورة يوسف الآية ١١١.

أي من عند حكيم خبير، لِإِنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ .
وموضع أن نصب على كل حال^(١) .

(وقوله : ﴿إِنِّي﴾ . مقول قول مُقَدِّر، أي قل يا محمد لهم إِنِّي لكم منه ،
أي من جهة الله «نَذِيرٌ» أي مُخَوِّفٌ من عَذَابِهِ لِمَنْ كَفَرَ، و «بَشِيرٌ» بالجنة لمن
آمَن^(٢) .

وقوله : ﴿وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ﴾ .
أي وأمركم بالاستغفار .
﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ .
أي يُفَيِّقْكُمْ وَلَا يَسْتَأْصِلْكُمْ بالعذاب كما استأصل أهل القرى الذين
كفروا .

﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ .
أي من كان ذا فَضْلٍ في دينه فَضْلُهُ الله بالثواب، وَفَضْلُهُ بالمنزلة (في
الدنيا)^(٣) بالدين كما فَضَّلَ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ (عليه السلام)^(٣) .
وقوله : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ «ألا» معناها التنبيه ولا
حَظَّ لها في الاعراب، وما بَعْدَهَا مبتدأ .
ومعنى ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا﴾ ، أي يُسِرُّونَ عداوة النبي ﷺ .

وقيل إن طائفة من المشركين قالت : إِذَا أَغْلَقْنَا أَبْوَابَنَا وَأَرْخَيْنَا سُتُورَنَا ،
وَاسْتَغْشَيْنَا ثِيَابَنَا ، وَثَنَيْنَا صُدُورَنَا عَلَى عداوة محمد ﷺ كيف يعلم بِنَا ، فَأَعْلَمَ

(١) على هذا التقدير هو في موضع نصب بعد حذف الجار، والأولى تقدير قول محذوف أو ما فيه معنى
القول أي قائلاً أو منادياً فتكون أن تفسيرية .

(٢) هذه الجملة في ر فقط .

(٣) ساقط من ط .

- جَلَّ وَعَزَّ- بما كتموه فقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

وَقُرِئَتْ أَلَّا إِنَّهُمْ يَنْتُونِي صُدُورُهُمْ. قرأها الأعمش ورُوِيَ عن ابن عباس «تَنْتُونِي» صُدُورُهُمْ، عَلَى مِثَالِ تَفْعُولُ^(١) ومعناها المبالغة في الشيء، ومثل ذلك قد اَحْلَوْلَى الشيء إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْحَلَاوَةِ.
وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾.

قِيلَ ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مَا وَاها عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مَا تَصِيرُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ أَيْضًا: مُسْتَقَرَّهَا فِي الْأَصْلَابِ وَمُسْتَوْدَعَهَا مِنَ الْأَرْحَامِ.
وقوله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

أَيُّ ذَلِكَ ثَابِتٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ. فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ - جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهَا فِي لَحْظَةٍ، لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَإِذَا خَلَقَهُمَا وَقَدَّرَهُمَا هَذَا الْقَدْرَ الْعَظِيمَ - وَالسَّمَاءُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ عَمْدٌ يُرَى - فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ عِلْمٌ أَنْ مَنْ كَانَتْ قُدْرَتُهُ هَذِهِ الْقُدْرَةَ لَمْ يُعْجِزْهُ شَيْءٌ. قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾^(٣).

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُكَذِّبُونَ بَأَنَّهُ يَبْعَثُ الْمَوْتَى، وَيُقِرُّونَ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(١) الفعل أَتَنَوَّنَ، بِمَعْنَى ائْتَنَى.

(٢) سُورَةُ الْحَدِيدِ آيَةُ ٢٢.

(٣) سُورَةُ الْأَحْقَافِ آيَةُ ٣٣.

وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

هذا يدل على أن العرش والماء كانا قبل السموات والأرض.
وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

معناه ليختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه، وهو قد علم قبل ذلك أيهم أحسن عملاً، إلا أنه يجازيهم على أعمالهم لا على علمه فيهم.

﴿وَلَيْسَ قُلْتُ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

ويقرأ إلا ساحرٌ مبين، والسحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إن هذا إلا باطلٌ بين.

وأعلمهم الله - عز وجل - أن القدرة على خلق السموات والأرض تدل على بعث الموتى. وأهل الكفر مختلفون في البعث فالمشركون يقولون إنهم لا يبعثون البتة ولا يرجعون بعد موتهم، واليهود والنصارى يزعمون^(١) لا أكل ولا شرب ولا غشياً للنساء في الجنة وكل كافر بالبعث على جهته^(٢).

﴿وَلَيْسَ آخِرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾.

معناه إلى أجل وحين معلوم، كما قال الله تعالى ﴿... وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾^(٣). أي بعد حين.

وقوله: ﴿الْأَيُّومَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ منصوبٌ بمصروف، المعنى ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتِيهِمْ.

(١) - يزعم.

(٢) - وكلهم كافر.

(٣) سورة يوسف الآية ٤٥.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

كما تقول أحاط بفلان عمله، وأهلكه كسبه، أي أهلكه جزاء كسبه وعاقبته.

وقوله - جل وعز - : ﴿وَلَيْئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كَفُورٌ﴾.

يعني الكافر، والرحمة الرزق، ههنا، والإنسان اسم للجنس في معنى الناس.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

استثناء ليس من الأول^(١)، المعنى لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ﴾.

يُروى أن المشركين قالوا للنبي ﷺ لَوْ تَرَكْتَ عَيْنَنَا وَسَبَّ آلِهَتِنَا لَجَالَسْنَاكَ، ومعنى أن يقولوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ معناه كراهة أن يقولوا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾.

أي إنما عليك أن تنذره وتأتيهم من الآيات بما يوحى إليك وليس عليك أن تأتيهم بشهواتهم واقتراحهم الآيات. ثم أعلمهم وجه الاحتجاج عليهم فقال جل وعز.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [أي] يقولون افتراه^(٢).

(١) منقطع.

(٢) ر - المعنى بل يقولون.

﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ .

أي مثل سورة منه ، أي سورة منها^(١) .

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

أي اطلبوا أن يعاونكم على ذلك كل من قدرتم عليه ، ورجوتم مظاهرتة ومعاونته .

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ .

ومعنى ﴿أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ ، أي أُنْزِلَ واللّه عالم بإنزاله ، وعالم أنه حق من عنده .

ويجوز أن يكون - واللّه أعلم - ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي بما أنبأ الله فيه من غيب ودل على ما سيكون وما سلف مما لم يقرأ به النبي ﷺ كتاباً^(٢) وهذا دليل على أنه من عند الله .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ .

أي نجازيهم على أعمالهم في الدنيا .

فأما كان في باب حروف الجزاء ففيها قولان :

قال أبو العباس محمد بن يزيد : جائز أن تكون لِقَوَّتِهَا على معنى المَضْيِ عبارة عن كل فعل ماضٍ ، فهذا هو قوتها ، وكذلك تتأول قوله ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾^(٣) .

(١) في الأصول كل سورة .

(٢) أنزل بعلم الله أي مشتقاً على علم الله ومتلبساً بغيبه من الأحداث التي لا يعلمها إلا فائزو الكتب والنبي لم يقرأ كتاباً .

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦ .

وحقيقتها - والله أعلم - من تعلم منه هذا، فهذا على باب سائر الأفعال، إلا أنَّ معنى ﴿كان﴾ إخبار عن الحال فيما مضى من الدهر، فإذا قلت سيكون عالماً فقد أثبت أنَّ حاله ستقع فيما يستقبل، وإنما معنى كان ويكون العبارة عن الأفعال والأحوال^(١).

وقوله - جلَّ وعزَّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾. قيل في التفسير إنه يعني محمداً ﷺ ويتلوه شاهد منه، أي شاهد من ربه، والشاهد جبريل، وقيل يتلوه البرهان، والذي جرى ذكر البينة، لأن البينة والبرهان بمعنى واحد.

وقيل ويتلوه شاهد منه يعني لسان النبي ﷺ أي أفمن كان على بينة من ربه، وكان معه من الفضل ما يبين تلك البينة كان^(٢) هو وغيره سواء، وترك ذكر المضادَّ له لأن فيما بعده دليلاً عليه^(٣) وقوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾^(٤).

ويجوز أن يكون - والله أعلم - أفمن كان على بينة من ربه يعني به النبي ﷺ وسائر المؤمنين، ويكون معنى . . ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ يتلوه ويتبعه، أي يتبع البيان شاهد من ذلك البيان، ويكون الدليل على هذا القول: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ويكون دليله أيضاً: ﴿الرَّ كُتَّابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، فاتِّباع الشاهد بعد البيان كاتِّباع التفصيل بعد الأحكام.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

(١) كان تقع في الشرط تعبيراً عن حُدُوثِ أي شيء، فشرحها المبرد بما فصله النص - وهذا هو الوجه الأول فيها، والوجه الثاني ما شرحه هو من أنها على باب الأفعال الأخرى.

(٢) أي أكون هو وغيره سواء؟

(٣) المضادَّ أي أفمن كان كذلك كمن ليس له هذه الصفة.

(٤) أي في هذه الجملة دليل أيضاً على المحذوف.

أي وكان من قبل هذا كتاب موسى ذليلاً على أمر النبي ﷺ، ويكون كتاب موسى على العطف على قوله ويتلوه شاهدٌ منه ومن قبله كتاب موسى، أي وكان يتلوه كتاب موسى، لأن النبي بشر به موسى وعيسى في التوراة والإنجيل، قال الله - جلَّ وعزَّ - : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (١).

ونصب ﴿إماماً﴾ على الحال، لأن كتاب موسى معرفة.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾.

يجوز كسر الميم في مِرْيَةٍ وضمُّها، وقد قرئ بهما جميعاً في مِرْيَةٍ ومِرْيَةٍ.

ويجوز نصب ﴿كتاب موسى﴾، ويكون المعنى : ويتلوه شاهدٌ منه وهو الذي كان يتلو كتاب موسى. والأجودُّ الرفع، والقراءة بالرفع لا غير.

وقوله : ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾.

الأشهاد هم الأنبياء والمؤمنون، وقال أولئك يعرضون على ربهم، والخلق كلهم يعرضون على ربهم، كما قال جل ثناؤه ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (٢) و﴿إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٣) فذكر عرضهم على ربهم تأكيداً لحالهم في الانتقام منهم.

وقوله : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

لعنة الله إبعاده من يلعبه من عفوه ورحمته.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

(١) الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٠. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

أَي يَصُدُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَرِيدُونَ رَدَّ السَّبِيلِ الَّتِي هِيَ
الْإِيمَانُ وَالْإِسْتِوَاءُ إِلَى الْكُفْرِ وَالْأَعْوَجَاجِ عَنِ الْقَصْدِ .

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ .

ذكرت هم ثانية على جهة التوكيد لشانهم في الكفر
وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

أَي اللَّهُ لَا يَعْجِزُهُ انْتِقَامٌ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَلَا وَلِيٌّ يَمْنَعُ مِنْ انْتِقَامِ اللَّهِ لِمَنْ
أَرَادَ بِهِ النِّقْمَةَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ .

فوصف مضاعفة العذاب على قَدَرِ مَا وَصَفَ مِنْ عِظَمِ كُفْرِهِمْ بِنَبِيِّهِ ﷺ
وبالبعث والنشور .

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ .

أَي مِنْ شِدَّةِ كُفْرِهِمْ وَعِدَاوَتِهِمْ لِلنَّبِيِّ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا مَا يَقُولُ،
ثُمَّ بَيَّنَّ - جَلَّ وَعَزَّ - ضَرَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ .

قال المفسرون: المعنى جزاء حقاً^(١)، أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ
وزعم سيبويه أَن جرم بمعنى حَقَّ، قال الشاعر^(٢) .

(١) ط قال المفسرون جزاء حقاً .

(٢) هو أبو زياد بن أساء بن الضربة أو عطية بن عفيف، يرثي كرز ابن عامر، وكان طعن حصين بن
حذيفة الفزاري طعنة مميتة يوم بني عقيل وهو يوم الحاجر - وقد ولي حصينة على بنيه عند موته ابنه
عينة، وهو حذيفة بن حصن لقب أبا عينة لجحوظ عينه وانظر أمالي المرتضى ٤/١٦٩، والبيت
في كتاب سيبويه ٣/١٣٨، والخزانة ٤/٣١٠ - واللسان (جرم) وبجاز أبي عبيدة ١/١٤٧ ومعاني
الفراء والبيت طعنت بالخطاب لأنه يخاطب كرزاً .

ولقد طَعَنَتْ أبا عيينة طعنة جَرَمَتْ فزارة بعدها أن يَغْضِبُوا
معناه أَحَقَّتْ فزارة الطعنة بالغضب.

ومعنى «لا» نفي لما ظنُّوا أنه يَنْفَعُهُمْ، كأن المعنى لا يَنْفَعُهُمْ ذلك جَرَمَ
أنَّهُمْ في الآخرة هُمُ الْأَخْسَرُونَ، أي كَسَبَ ذلكَ الفعلُ لهم الخسرانَ ثم
ضرب الله مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾.

ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأنهم في عداوتهم وتركهم التفهم
كمن لا يسمع ولا يبصر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

كسر إن في القراءة على معنى قال لهم إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ^(١)، ويجوز
أني لكم نذير مبين على معنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بالإِذار أن لا تَعْبُدُوا
إِلَّا اللَّهَ إني أُنذِرُكُمْ لِتَوْحِدُوا اللَّهَ، وَأَنْ تَتْرَكُوا عِبَادَةَ غَيْرِهِ^(٢).

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

يجوز في غير القراءة: إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم، لأن الأليم
صفة للعذاب، وإنما وصف اليوم بالألم، لأنَّ الأَلَمَ فيه يقع، والمعنى عذاب
يوم مؤلم، أي مُوجِعٍ^(٣).

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾.

(١) لا داعي لهذا، لأن الجملة مستأنفة.

(٢) فتحها يكون بتقدير حرف جر.

(٣) وصف اليوم بأنه أليم يستتبع أنواعاً كثيرة من العذاب - مثل مشقة اليوم وشدة حره، وإهانة
الزانية... وهكذا - والعذاب يصرف الذهن عادة إلى عذاب جهنم.

﴿الْمَلَأُ﴾ رُؤْسَاءُ الْقَوْمِ وكبرائهم الَّذِينَ هم مُلَأٌ بالرأي وبما يحتاج إليه منهم . أي فأجابوه بهذا الجوابِ وَالْقَوْلِ .

﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ .

أي ما نراك إلا إنساناً مثلاً ، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ
يُتَّبِعُوا﴾ أي لم يَتَّبِعْكَ المَلَأُ مِنَّا ، وإنما اتبعك أَحْسَاؤُنَا .
وقوله : ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ .

بغير همزٍ في بادى ، وأبو عمرو يَهْمِزُ بَادِيَّ الرَّأْيِ ، أي اتبعوا اتباعاً في
ظاهر ما يُرى ، هذا فيمن لم يَهْمِزْ ، ويكون التفسير على نوعين في هذا
أحدهما أن يكون اتَّبَعُوكَ في الظاهر ، وبَاطِنُهُمْ عَلَى خلاف ذلك . ويجوز أن
يكون اتبعوك في ظاهر الرأي ولم يَتَدَبَّرُوا مَا قُلْتُ ولم يَفَكَّرُوا فيه وقراءة أبي
عمرو على هذا التفسير الثاني ، [أي] اتبعوك ابتداء الرأي ، أي حين ابتدأوا
ينظرون وإذا فَكَّرُوا لم يتبعوك .

فأما نصب بَادِيَ الرَّأْيِ فعلى : اتبعوك في ظاهر الرأي ، وعلى ظاهر
الرأي ، كأنه قال : الاتباع الذي لم يفكروا فيه . ومن قال بَادِيَ الرَّأْيِ فعلى
ذلك نَصَبَهُ (١) .

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ
فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ .

كذا أكثر القراءة - بفتح العين والتخفيف (٢) - وقد قرئت فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ -
بضم العين وتشديد الميم -

هذا ما أجابهم به في أن قالوا : إن الذين اتَّبَعُوكَ إِنَّمَا اتبعوك غير

(١) على هذا هو مفعول مطلق أي أتباعاً ، أو هو حال ، كما تقول أتبعه غافلاً أو ناسياً .

(٢) فَعُمِّيَتْ - وقراءة عاصم عُمِّيَتْ .

مَحَقِّقِينَ. فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ مُحَقِّقُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ، حَمِّنَ آمَنَ بِهِ فَعَالِمٌ بِصِيرٍ مَفْضُولٌ لَهُ، وَأَنْ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْبَيِّنَةَ فَقَدْ عَمِيَ عَلَيْهِ الصَّوَابُ.

وقوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

أَي فَعَمِيَتْ الْبَيِّنَةُ عَلَيْكُمْ^(١)

﴿أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ﴾.

القراءة بضم الميم، ويجوز إسكانها عَلَى بُعْدِ لِكثَرَةِ الْحَرَكَاتِ وَثِقَلِ الضَّمَّةِ بَعْدَ الْكُسْرَةِ. وَسَيَبِيهِ وَالْخَلِيلُ لَا يُجِيزَانِ إِسْكَانَ حَرْفِ الْإِعْرَابِ إِلَّا فِي اضْطِرَارٍّ، فَأَمَّا مَا رَوَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو مِنَ الْإِسْكَانِ فَلَمْ يُضْبَطْ ذَلِكَ عَنْهُ، وَرَوَاهُ عَنْهُ سَيَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَخْفِفُ الْحَرَكَاتِ وَيَخْتَلِسُهَا، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ^(٢).

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾.

وَإِذَا لَاقُوا رَبَّهُمْ جَازَى مَنْ ظَلَمَهُمْ وَطَرَدَهُمْ، بِجَزَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾.

﴿تَزْدَرِي﴾ تستسفل^(٣) وتستخس. يقال: زَرَيْتُ عَلَى الرَّجُلِ إِذَا عِبْتُ عَلَيْهِ وَخَسَّسْتُ فِعْلَهُ. وَأَزْرَيْتُ إِذَا قَصَّرْتُ بِهِ وَتَزْدَرِي أَصْلُهُ تَزْتَرِي بِالتَّاءِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ التَّاءَ تَبَدَّلَ بَعْدَ الزَّايِ دَالًّا، لِأَنَّ التَّاءَ مِنْ حُرُوفِ الْهَمْسِ، وَحُرُوفُ الْهَمْسِ خَفِيَّةٌ فَالتَّاءُ بَعْدَ الزَّايِ تَخْفَى، فَأُبْدِلْتُ مِنْهَا الدَّالَّ لِجَهْرِهَا، وَكَذَلِكَ يَفْتَعَلُ مِنَ الزَّيْنَةِ يَزْدَانُ، تَقُولُ: أَنْتَ تَزْدَانُ يَا هَذَا.

وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾.

(١) قراءة خفص فَعَمِيَتْ.

(٢) تقدم هذا في الآية ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ و﴿فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾.

(٣) تعدُّهُمْ سِفْلَةً أَوْ خَسَاءً.

لأنهم قالوا: ﴿اتَّبِعْكَ أَرَادَلْنَا﴾.

وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعوني في ظاهر الرأي والذي أدعو إليه توحيد الله، فإذا رأيت من يُوحِّدُ الله جل ثناؤه عملتُ على ظاهره، والله أعلم بما في نفسه، لا يعلم الغيب إلا الله.

وقوله: ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾.

ويقرأ فأكثرْتَ جَدَلَنَا، والجَدَلُ والجِدَالُ المبالغةُ في الخصومةِ والمناظرة، وهو مأخوذٌ مِنَ الجَدَلِ وهو شدة القتَل، والصَّقْرُ يقال له أَجْدَلُ لَأَنَّهُ من أشدَّ الطير.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾.

﴿يُغْوِيَكُمْ﴾ يُضِلُّكُمْ ويهلككم.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.

من قولك أجرم الرجل إجراماً، ويقال جرَّم في معنى أجرَمَ، وأكثر ما تستعمل أجرم في كَسْبِ الإثم خاصة يقال رجل مُجرِمٌ وجَارِمٌ. ويجوز فعليُّ أجرامي على جمع جرْم وهو على نحو قوله. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾^(١)، وإسْرَارَهُمْ إلا أن القراءة بكسر الألف، وإجرامي على المصدر.

﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

فلذلك - والله أعلم - استجار نوح بقوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

(١) سورة القتال الآية ٢٦.

الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١﴾.

أَعْلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَلِدُونَ إِلَّا الْكَفْرَةَ. بقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

مَعْنَاهُ لَا تَحْزَنْ وَلَا تَسْتَكِبَنَّ.

وقوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

الْفُلْكَ السفينة، والْفَلْكَ يكون واحداً ويكون جمعاً كما أنهم قالوا أُسْدٌ وأُسْدٌ، قالوا في الواحد فُلْكَ وفي الجمع فُلُكٌ، لَأَن فَعَلًا وفَعَلًا جمعُها واحدٌ ويأتیان بمعنى كثيراً، يقال العُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَبِ والْفُلْكَ والْفَلْكَ. والْفَلْكَ يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ أَوْ فِي اسْتِدَارَةٍ.

ومعنى: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾.

أَي بِإِبْصَارِنَا إِلَيْكَ وَحَفْظِنَا لَكَ، وَبِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

(المعنى: لا تخاطبني في إمهال الذين كفروا إنهم مغرقون) (٢).

ثم أخبر الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - بِعَمَلِهِ الْفُلْكَ فَقَالَ:

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾.

يقال في التفسير إنهم كانوا يقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي مُرْسَلٌ صار

نجاراً، فقال: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

أَي نَحْنُ نَسْتَجْهِلُكُمْ كَمَا تَسْتَجْهِلُونَا (٣)، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ بِمَا يَكُونُ عَاقِبَةُ

أَمْرِهِمْ فَقَالَ:

(١) سورة نوح الآية ٢٦ - ٢٧.

(٢) ليست في ط.

(٣) في الأصل تستجهلوننا وهو خطأ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

أي فسوف تعلمون من هو أحق بالسُّخْرِيّ^(١)، ومن هو أحمدُ عاقبةً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾.

أعلم الله - جلَّ وعزَّ - نوحاً أنَّ وقتَ إهلاكهم قورُ التَّنُّور. وقيل في التَّنُّورِ أقوالٌ. قيل إنَّ التَّنُّورَ وجه الأرض. ويقال إنَّ الماءَ فارٌّ من ناحيةِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ويقال إنَّ الماءَ فارٌّ من تَنُّورِ الْخَابِزَةِ، وقيل التَّنُّورُ تنوير الصُّبْح.

والجملة أن الماءَ فارٌّ من الأرض وجاءَ من السَّمَاءِ قال الله - جلَّ وعزَّ - ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾^(٢).

فالماءُ قوره^(٣) من تَنُّورٍ أو من ناحيةِ المسجدِ أو من وجه الأرض، أو في وقت الصبح لا يمنع أن يكون ذلك العلامةُ لإهلاكِ القوم.

﴿فَلَمَّا أَهْمَلُوا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

[أي] من كل شيء، والزواج في كلام العرب واحدٌ ويجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما زَوْجَانٍ يقول الرجل: عليَّ زوجان من الخفاف، وتقول: عندي زوجان من الطير، وإنما تريد ذكر أو أنثى فقط. وتقرأ من كل زوجين - على الإضافة - والمعنى واحد في الزَّوْجَيْنِ أَضْفَتِ أم لم تُضِفْ.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾.

(١) السُّخْرِيّ - بضم السين وكسرهما - يعني السُّخْرِيَّةَ والاستهزاء - وبهما قرىء قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِيخْرِيًّا﴾. (الزخرف آية ٣٢).

(٢) سورة القمر الأيتان ١١، ١٢.

(٣) بدأ فورانه.

أي واحمِلْ مَنْ آمَنَ، ويقال إن الذين آمنوا معه كانوا ثمانين نفساً، فقال تعالى: . . . ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

لأن ثمانين قليل في جُمْلَةِ أُمَّةٍ قَوْمِ نوحٍ . . . ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ - أي بالله تجري، وبه تستقر.

ومعنى قُلْنَا بِاسْمِ اللَّهِ أي بالله^(١).

وقد قرئت على وجوه، قرئت مَجْرَاهَا بفتح الميم، ومُرْسَاهَا بضم الميم. وقرئت مُجْرَاهَا ومُرْسَاهَا بضم الميمين جميعاً. ويجوز مَجْرَاهَا ومُرْسَاهَا، وكلُّ صواب حسن.

فأما من قرأ مجراها بفتح الميم، فالمعنى جَرَّيْهَا ومُرْسَاهَا المعنى وبالله يقع إرساؤها، أي إقْرَارُهَا. ومن قرأ مُجْرَاهَا ومُرْسَاهَا. فمعنى ذلك بالله إجْرَاؤها وبالله إرساؤها يقال: أجزيته مُجْرَى وإجْرَاءً في معنى واحد. ومن قال مَجْرَاهَا ومُرْسَاهَا، فهو على جَرَتْ جَرِيّاً ومَجْرَى، وَرَسَتْ رُسُوّاً ومَرْسَى. والمَرْسَى مستقرها.

والمعنى أن الله جلَّ وعزَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُسَمُّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

ومُرْسَاهَا في موضع جرٍّ على الصفة لله - جلَّ وعزَّ -^(٢).

ويجوز فيه شيء لم يقرأ به ولا ينبغي أن يقرأ به لأن القراءة سنة متبعة:

(١) راجع ما كتبه تفسيراً لبسم الله الرحمن الرحيم و«وعلم آدم الأسماء كلها». ومجاراته أبا عبيدة. في أن كلمة اسم زائدة.

(٢) لا يتأتى هذا الإعراب إلا إذا قرئت مُرْسِيهَا. أي باسم الله مُسِيرَهَا ومُقَرُّهَا - أما مرساها فهو اسم مكان من أرسى.

باسم الله مُجْرِيهَا عَلَى وَجْهَيْنِ - أحدهما الحال، المعنى مُجْرِياً لَهَا وَمُرْسِياً لَهَا. كما تقول مررت بزيد ضَارِباً عَلَى الْحَال. ويجوز أن يكون منصوباً عَلَى المدح، أعني مُجْرِيهَا وَمُرْسِيَهَا. ويجوز أن يكون مُجْرِيهَا وَمُرْسِيَهَا فِي مَوْضِع رَفَعَ عَلَى إِضْمَارٍ هُوَ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيَهَا.

وقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

قِيلَ إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ التَقَى مَاؤُهُمَا فَطُبِقَ بَيْنَهُمَا وَجَرَتْ السَّفِينَةُ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ، وَقَوْلُهُ:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

إِنَّ الْمَوْجَ لَا يَكُونُ إِلَّا فَوْقَ الْمَاءِ، وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الْمَاءَ جَاوَزَ كُلَّ شَيْءٍ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعاً، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾^(١).

فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ يَلْتَقِي مَاءُ السَّمَاءِ وَمَاءُ الْأَرْضِ وَمَا يَطْبِقُ مَا بَيْنَهُمَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَطْبِقَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَالْمَوْجُ تَمَوْجُ الْمَاءِ، وَأَكْثَرُ مَا يُعْرَفُ تَكُونُهُ فِي عُلُوِّ الْمَاءِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَتَمَوْجَ دَاخِلَ الْمَاءِ.

وَالرَّوَايَةُ فِي السَّفِينَةِ أَكْثَرُ مَا قِيلَ فِي طَوْلِهَا أَنَّهُ كَانَ أَلْفاً وَمِائَتِي ذِرَاعٍ، وَقِيلَ سِتْمِائَةُ ذِرَاعٍ. وَقِيلَ إِنَّ نُوحاً بَعَثَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾.^(٢) وَعَمِلَ السَّفِينَةَ فِي خَمْسِينَ سَنَةً وَلَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ سَنَةً.

(١) سورة القمر الآية ١٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٤.

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾.

يجوز أن يكون كان في معزل من دينه، أي دين أبيه ويجوز أن يكون - وهو أشبه - أن يكون في معزل من السفينة.

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾.

الكسر أجودُ القراءة أعني كسر الياء^(١)، ويجوز كسرها وفتحها من جهتين، إحداهما أن الأصل با بُنَيَّ، والياء تحذف في النداء، أعني ياء الإضافة، وتبقى الكسرة تدل عليها، ويجوز أن تحذف الياء لسكون الراء من أركب، وتقرأ في الكتاب على ما هي في اللفظ^(٢).

والفتح من جهتين، الأصل يا بُنَيَّا فتبدل الألف من ياء الإضافة. العرب تقول: يا غلاما أقبل، ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء، ويُقرأ في الكتاب على حذفها في اللفظ ويجوز أن تحذف ألف النداء كما تحذف ياء الإضافة، وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء كما يُحذف التنوين، لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة فيه، ويجوز وجه آخر لم يقرأ به وهو إثبات الياء، يا بُنَيَّ، وهذه تثقل لاجتماع الياءات.

﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾.

أي يمنعني من الماء، والمعنى [من] تغريق الماء

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾.

هذا استثناء ليس من الأول، وموضع «مَنْ» نصبُ المعنى لكن مَنْ رَحِمَ الله، فإنه معصوم، ويكون ﴿لَا عَاصِمَ﴾ معناه لا ذا عِصْمَةٍ، كما قالوا: ﴿عِيشَةُ رَاضِيَةٍ﴾، معناه مرضية وجاز راضية على جهة النسب أي في عيشه ذات رضا.

(١) الياء من بُنَيَّ.

(٢) يريد أنهما ياءان. للتصغير وياء المتكلم وحذفت ياء المتكلم والكسرة تدل عليها.

وتكون «من» على هذا التفسير في موضع رفع^(١)، ويكون المعنى لا مَعْصُومٌ إلا المرحوم .

وقوله : ﴿وَعِصَ الْمَاءُ﴾ .

يقال غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض، ويجوز إشماء الضم في الغين^(٢) .

﴿وَقَضِيَ الْأَمْرُ﴾ : أي هلاك قوم نوح .

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ .

والجودي جبل بناحية أمد^(٣) .

وقوله : ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ .

.. ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ .

قرأ الحسن وابن سيرين «عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» وكان مذهبهما أنه ليس بابنه، لم يولد من صلبه، قال الحسن: واللّه ما هو بابنه، وقال ابن عباس وابن مسعود إنه ابنه، ولم يتل الله نبياً في أهله بمثل هذه البلوى .

فأما من قرأ : ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٤) .

فيجوز أن يكون يعني به أنه ذو عمل غير صالح، كما قالت الخنساء .

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار^(٥)

(١) خبر لا .

(٢) الميل إلى الضم قليلا في الغين .

(٣) أمد من الثغور المعروفة ينسب إليها علماء أشهرهم أبو الحسن الأمدي .

(٤) أي غير الحسن وابن سيرين - وقرئ أيضاً : عَمِلَ - فعلاً ماضياً وينصب غير .

(٥) من أبياتها السائرة في رثاء أخيها صخر وقيله :

فما عجول على بؤ تطيف به قد ساعدتها على الحنان أظفار

أي ذات إقبالٍ ، وقد قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ونادى نوح ابنه﴾ فنسبه إليه .

وللقائل أن يقول نسبه إليه على الاستعمال ، كما قال الله - جلَّ وعزَّ - ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُتِمَ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ﴾^(١) ، فنسبهم إليه على قولهم ، والله لا شريك له ، ولكن الأجود في التفسير أن يكون : إنه ليس من أهلك الذين وَعَدْتُكَ أَنْ أَنْجِيَهُمْ ، ويجوز أن يكون ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إنه لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ .

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ .

ويقراً فلا تَسْأَلُنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .

وقوله : ﴿وَالِإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ .

المعنى وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هُودًا . وقيل أخاهم من جهتين ، إحداهما أنه منهم وبَيِّنَ^(٢) بلسانهم ، والأخرى أنه أخوهم من ولد آدم ، بشر مثلهم .

= وجواب النفي قولها :

يوماً بأوجد مني يوم فارقتني صخرُ ، وللدهر أحلاء وإمرأُ
والعجول الثكل - ويروى أم شَعْب ، وهو الذكر من ولد الناقة ، والَبَّوْ جلد ولد الناقة يحشى ليومهم
الناقة أنه ابنها فتشمه وتعطف عليه وتدر اللبن ، والظئر التي تعطف على وَلَدٍ غَيْرِهَا . وترتع أي
ترعى ويروى ترتع ما غفلت - أي ما نسيت ولدها فهي ترعى حتى إذا ذكرته ظلت تذهب وتجيء
وجدًا على ولدها - تريد أن وجد مثل هذه الناقة ليس بأشد من حزنها على أخيها صخر ، والأيام
تحلو حيناً وتمر آخر .

وهي إقبال وإدبار أي ذات إقبال وإدبار والشيخ عبد القاهر الجرجاني يجعل المصدر بمعنى اسم
الفاعل - أي مقبلة مدبرة والمبالغة ظاهرة في كلا التقديرين .

والقصيدة في الديوان ص ٤٨ ، وانظر الشاهد ٧٠ من خزانة الأدب ح ١ / ٢٠٧ ، ٣٨٩ ط
السلفية . وهو من الشواهد الشائعة .

(١) سورة النحل الآية ٢٧ .

(٢) بَيِّنَ الدين الذي جاء به بلغتهم .

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وإن شئت غيرِه، غيرِه من نعت الإله، و«غَيْرُهُ» على معنى ما لكم إله غيرُه^(١).

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

كان أصابهم جذبٌ فأعلمهم أنهم إن استغفروا ربهم وتابوا أرسل السماء عليهم مدراراً.

والتوبة الندم على ما سلف، والعزم على ترك العود في الذنوب، والإقامة على أداء الفرائض.

وَنَصَّبَ مِدْرَاراً على الحال، كأنه قال يرسل السماء عليكم دارة، ومعنى مدرار المبالغة، وكان قوم هود - أعني عاداً - أهلُ بساتين وزُرُوعٍ وَعِمَارَةٍ، وكانت مساكنهم الرمال التي هي بين الشام واليمن^(٢)، فدعاهم هود إلى توحيد الله واستغفاره وترك عبادة الأوثان، فلم يطيعوه وتوعدهم بالعذاب فأقاموا على كفرهم، فبعث الله عليهم الريح، فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أذبارهم وتقطعهم عضواً عضواً

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾.

أَيُّ يَزِدْكُمْ قُوَّةً في النعمة التي لكم.

ويجوز أن يكون: ويزدكم قوةً في أبدانكم.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾.

أي ما نقول إلا مسك بعض أصنامنا بجنون، بسبك إياها فقال لهم

هو:

(١) لأن ومن زائدة، فيأتي الوصف على المعنى

(٢) منازلهم هي الأحقاف في جنوب الجزيرة.

﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ، وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾.

وهذه من أعظم آيات الرُّسل أن يكون الرسول وَحْدَهُ، وأُمَّتُهُ متعاونة عليه، فيقول لها: كَيْدُونِي ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ، فلا يستطيع وَاحِدٌ مِنْهُمْ ضَرَّهُ. وكذلك قال نوحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾^(١). وقال محمد ﷺ: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكَيْدُونِ﴾^(٢).

فهذه من أعظم آيات الرسل وأدْلَها على رسالَتِهِمْ.
﴿مَآ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.
أي هي في قبضتِهِ، وتَنَالُهَا بِمَا تَشَاءُ قُدْرَتُهُ، ثم قال:
﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
أي هو [سبحانه] وإن كانت قُدْرَتُهُ تَنَالُهَا^(٣) بما شاء، فهو لا يشاء إِلَّا العَدْلَ.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.
المعنى فَإِنْ تَوَلَّوْا.
﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾.
فجعل ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ في موضعٍ قَدْ ثَبَتَ الحُجَّةُ عَلَيْكُمْ
﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.
وقوله: ﴿نَجِّنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾.
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَا أَرَيْنَاهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ،

(١) سورة يونس، آية ٧١.

(٢) سورة المرسلات، آية ٣٩.

(٣) تنال كل دَابَّةٍ بما تَشَاءُ القُدْرَةُ.

ويحتمل أن يكون ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي لا ينجو أحدٌ وإن اجتهد إلا برحمة من الله - جلَّ وعزَّ -

﴿وَنَجِّنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

أي مما عُذِّبَ بِهِ قوم عاد الكفار في الدنيا ومما يُعَذَّبُونَ به في الآخرة.

﴿الْأَبْعَدُ لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾.

«الآ» ابتداء وتنبيه. وَ «بُعْدًا» منصوب على أْبْعَدُهُمُ اللَّهُ بُعْدًا، ومعنى بُعْدًا أي بُعْدًا من رحمة الله.

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾.

المعنى: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً. وثمرود لم ينصرف لأنه اسم قبيلة، ومن جعله اسماً للحي صرفه وقد جاء في القرآن مصروفاً: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾^(١).

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢).

ثم بين ما هي فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

يقال^(٣): إنها خرجت من حَجَرٍ، وفي هذا أعظم الآيات، ويُقال إنها كانت تَرِدُ الْمَاءَ، لا تَرِدُ الْمَاءَ معها دَابَّةٌ، فإذا كان يومٌ لا تَرِدُ، وردَّتْ الْوَارِدَةُ كُلُّهَا. وفي هذا أعظم آية.

(١) قراءة حفص «الآ» إن ثموداً بدون تنوين.

(٢) ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ جاءت في سورة الأعراف ٧٣. أما في هذه السورة فالآية هي: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

(٣) في الأصل قال.

وَنَضُبُ آيَةٍ عَلَى الْحَالِ . المعنى إن قال هذه ناقةُ الله آيةٌ أو آيةٌ لكم، فكأنه قال: انتبهوا لها في هذه الحالة . والآية العلامة .

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ .

وتأكلُ من أرضِ الله، فمن قرأ تأكلُ بالجزم فهو جوابُ الأمر، وقد بينا مثله في سورة البقرة، ومن قرأ تأكلُ فمعناه فذرُوها في حال أكلها . ويجوز في الرفع وجه آخر، على الاستئناف، المعنى فإنها تأكلُ في أرضِ الله .

﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ .

﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾ جوابُ النهي، والمعنى عذابٌ يَقْرُبُ مِمَّنْ مَسَّهَا بِالسُّوءِ، أي فإن عقرتموها لم تُمَهِّلُوا .

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ .

فأهلكوا بعدَ الثلاثِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي الْأَعْرَافِ كَيْفَ أَهْلَكُوا^(١) .

وقوله: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ .

معناه كان لم ينزلوا فيها . قال الأصمعي: المَغَانِي المَنَازِلُ التي نزلوا بها، يقال غَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا إِذَا نَزَلُوا بِهِ .

وقوله - جَلَّ وَعَزَّ - : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ .

بالبُشْرَى، بالولد .

﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ .

وَقَالُوا سَلَامٌ، يُقْرَأُ أَنْ جَمِيعاً، فأما قوله ﴿سَلَامًا﴾ فمنصوبٌ على سَلَّمْنَا سَلَامًا، وأما سَلَامٌ فمرفوعٌ على معنى أمري سَلَامٌ (وَمَنْ قَرَأَ سَلَامٌ فمرفوعٌ عَلَى أَمْرِي سَلَامٍ)^(١) .

(١) ليست في ط .

أَي لَسْتُ مُرِيداً غَيْرَ السَّلَامَةِ وَالصَّلَاحِ
﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾.

أَي مَا أَقَامَ حَتَّى جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ. والحنيذ المشويُّ بِالْحِجَارَةِ وقيل:
الحنيذ المشوي حَتَّى يَقْطُرَ (١). والعربُ تقولُ: اخْنِذِ الفرسَ أَي اجعل عليه
الْجُلَّ حَتَّى يَقْطُرَ عَرْقاً، وقيل الحنيذ المشوي فقط. وقيل: الحنيذ السَّمِيطُ،
ويقال حَنَذَتِ الشَّمْسُ والنارُ إِذَا شَوَتْهُ.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾.

لم يأكلوا لأنهم ملائكة، ويقال إنهم كانت العلامة [لَدَيْهِمْ] (٢) في
الضيغان إِذَا قَصَدُوا لِخَيْرِ الْأَكْلِ.

يقال: نَكِرْتُ الشَّيْءَ وَأَنكَرْتُ، ويقل في اللغة أَنكَرَ وَيَقِلْ مَنْكَورٌ،
والكلام أَنكَرَ وَمَنْكَورٌ.

و﴿أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

معناه أَضْمَرَ مِنْهُمْ خَوْفاً

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ﴾.

أَلَا تَرَاهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَابَةً مِنْ طِينٍ﴾ (٣).

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾.

يروى أَنَّهَا ضَحِكَتْ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ: اضْمُمْ لَوْطاً ابْنَ أَخِيكَ

(١) يسيل منه الدهن.

(٢) زيادة لا بد منها للتوضيح.

(٣) سورة والذاريات / ٣٢ - ٣٣.

إِلَيْكَ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَنْزِلُ بِهِؤَلَاءِ الْقَوْمِ عَذَابٌ، فَضَحَكَتْ سُرُوراً لَمَّا أَتَى
الْأَمْرَ عَلَى مَا تَوَهَّمَتْ.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ : ضَحَكَتْ : حَاضَتْ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ
﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ .
نقرأ يعقوبُ ويعقوبَ - بالرفع والنصب

وفي هذه البشارة بشارة بالوَلَدِ وَوَلَدِ الْوَلَدِ، يُقَالُ هَذَا ابْنِي مِنْ الْوَرَاءِ،
أَي هَذَا ابْنُ ابْنِي .

فَبَشَّرْنَاهَا بِأَنَّهَا تَلِدُ إِسْحَاقَ وَأَنَّهَا تَعِيشُ حَتَّى تَرَى وَلَدَهُ .

ورويْنَا فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ عُمرَهَا كَانَ تِسْعاً وَثَمَانِينَ، وَأَنَّ عَمْرَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ
تِسْعاً وَتِسْعِينَ فِي وَقْتِ الْبَشَارَةِ .

فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ : وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، فَيَعْقُوبُ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ
مَحْمُولٌ عَلَى مَوْضِعِ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ، مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى، الْمَعْنَى : وَهَبْنَا
لَهَا إِسْحَاقَ وَوَهَبْنَا لَهَا يَعْقُوبَ .

وَمَنْ قَرَأَ يَعْقُوبُ فَرَفَعَهُ عَلَى ضَرْبَيْنِ، أَحَدُهُمَا الْإِبْتِدَاءُ مُؤَخَّراً^(١)، مَعْنَاهُ
التَّقْدِيمُ، وَالْمَعْنَى وَيَعْقُوبُ مُحَدَّثٌ لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مَرْفُوعاً بِالْفِعْلِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي «مِنْ وَرَاءَ»^(٢) كَأَنَّهُ قَالَ وَثَبَتْ لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ
يَعْقُوبَ .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ يَعْقُوبَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ فِخْطاً زَعَمَهُ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَارَ لَا
يَفْصَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَجْرُورِ، وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ، لَا يَجُوزُ مَرَرْتُ بِزَيْدٍ

(١) فِي الْأَصْلِ مُؤَخَّرَ بِالرَّفْعِ، وَيَسْتَقِمُّ عَلَى أَنَّهَا جُمْلَةٌ ثَانِيَةٌ .

(٢) الزَّجَاجُ يَجْرِي عَلَى الْمَذْهَبِ الْكُوفِيِّ فِي تَقْدِيرِ الْمُتَعَلِّقِ فِعْلاً، أَيْ وَيَكُونُ أَوْيَاتِي .

في السَّدَارِ، والْبَيْتِ عَمْرٍو ولا في البيتِ عَمْرٍو، حتى تقولَ وَعَمْرٍو^(١) في البيتِ.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾.

المصحف فيه يا ويلتي بالياء، والقِرَاءَةُ بالألف، إن شئتَ على التضعيم، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الْإِمَالَةِ.

والأصل يَا وَيْلَتِي فَأُبْدِلَ من الياء والكسرة الألف، لأن الفتح والألف أخف من الياء والكسرة.

ويجوز الوقف عليه بغير الهاء، والاختيارُ أَنْ يوقف عليه بالهاء، يا وَيْلَتَاهُ. فأما المصحف فلا يخالف، ولا يوقف عليه [بغير الهاء]^(٢) فإن اضطر واقف وقف بغير الهاء.

فأما الهمزتان بعد «يَا وَيْلَتَا» ففيهما ثلاثة أوجه، إن شئتَ حَقَّقْتَ الأولى وَخَفَّفْتَ الثانيةَ، فقلتَ يَا وَيْلَتَا أَلِدْتُ، وإن شئتَ - وهو الاختيارُ خَفَّفْتَ الأولى وَخَفَّفْتَ الثانيةَ فقلتَ يَا وَيْلَتَا أَلِدْتُ، وإن شئتَ حَقَّقْتَهُمَا جميعاً فقلتَ أَلِدْتُ وتحقيق الهمزتين مذهب ابن أبي إسحاق.

﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾.

القراءة النصب وكذلك هي في المصحف المجمع عليه، وهو منصوب على الحال، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه.

وذلك أنك إذا قلتَ هذا زيد قائماً، فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيداً أنه زيدٌ لم يجز أن تقول: هذا زيد قائماً، لأنه يكون زيداً ما دام

(١) في الأصل أو.

(٢) زيادة لا بد منها لإصلاح هذه الجملة الركيكة، وفي الأصل بأن اضطر.

قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزید، وإنما تقول ذاك لِلَّذِي يعرف زیداً: هذا زیدُ قائماً فيعملُ في الحال التنبيه^(١)، والمعنى انتبه لزید في حال قيامه، وأشيرُ لك إلى زيد حال قيامه، لأن «هذا» إشارة إلى ما حضر، فالنصب الوجهُ كما ذكرنا ويجوز الرفع.

وزعم سيبويه والخليل أن النصب من أربعة أوجه:

فوجه منها أن تقول: هذا زيد قائم فترفع زیداً بهذا وترفع قائماً خبراً ثانياً، كأنك قلت: هو قائم أو هذا قائم.

ويجوز أن تجعل زیداً وقائماً جميعاً خبرين^(٢) عن هذا فترفعهما جميعاً خبراً بهذا، كما تقول: هذا حُلُوٌّ حَامِضٌ تريد أنه جمع الطعمين.

ويجوز أن تجعل زیداً بدلاً من هذا، كأنك قلت زيد قائم^(٣).

ويجوز أن تجعل زیداً مُبَيَّنّاً عن هذا، كأنك أردت: هذا قائم، ثم بينت من هو بقولك زيد.

فهذه أربعة أوجه^(٤).

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾.

الرَّوْعُ الفزع. يعني ارتبأه لما نكروهم حين لم يأكلوا من العجل. والرَّوْع - بضم الراء - النفس. يقال وقع ذلك في روعي، أي في نفسي ومن خلدي.

﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

يجادلنا حكاية حال قد مضت لأن «لَمَّا» جعلت في الكلام، لَمَّا قد وقع

(١) الإشارة، أي أُشير إليه حال كونه قائماً.

(٢) الأولى أن يقول خبراً، لأنه هنا غير متعدٍ.

(٣) والتقدير هذا قائم.

(٤) وليست أوجه نصب وإنما هي أوجه إعراب.

لَوْقُوعٍ غَيْرِهِ. تقول: لما جَاءَ زيدٌ جاءَ عمرو، وَيَجُوزُ لَمَّا جاءَ زيدٌ يتكلم
وعمره، على ضربين:

أحدهما أنْ إِنْ لما كانت شرطاً للمستقبل وقع الماضي فيها في معنى
المستقبل، نحو إن جاءَ زيدٌ جِئْتُ. والوجه الثاني - وهو الذي اختاره - أن
يكون حالاً لحكاية قد مضت.

المعنى فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البُشْرَى أَخَذَ
يُجَادِلُنَا في قوم لوط، وأقبل يجادلُنَا. ولم يذكر في الكلام أخذ
وأقبل، لأن في كل كلام يخاطب به المخاطب معنى أَخَذَ وَأَقْبَلَ إِذَا أَرَدْتَ
حكاية الحال، لأنك إِذَا قُلْتَ: قام زيدٌ، دللت على فعل ماضٍ، وإذا قلت
أَخَذَ زيدٌ يَقُولُ^(١) دللت على حال ممتدة من أجلها ذكرت أَخَذَ وَأَقْبَلَ. وكذلك
جعل زيد يقول كذا وكذا، وَكَرَبَ^(٢) يَقُولُ كذا وكذا.

وقد ذكرنا «الأوَّاه» في غير هذا الموضع^(٣)، وهو المبتهل إلى الله
المتخشع في ابتهاله، الرحيم الذي يكثر من التأوُّه خوفاً وإشفاقاً من الذنوب.

ويروى أن مجادلته في قوم لوط أنه قال للملائكة وقد أَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ
مُهْلِكُوهُمْ، فقال أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَهْلِكُونَهُمْ^(٤)
مَعَهُمْ^(٥) إِلَى أَنْ بَلَغَ خَمْسَةً، فقالوا لا، فقال الله - عز وجل -: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٦).

(١) ليست في ط.

(٢) ر - يقوم.

(٣) هي من أفعال المقاربة وعدّها هنا من أفعال الشروع.

(٤) انظر ص ٤٧٣ ح ٢ سورة التوبة.

(٥) في - ر - أَتَهْلِكُوهُمْ.

(٦) ليست في ط.

(٧) خشي إبراهيم أن ينال الهلاك المسلمين إذا كانوا قلة، فسأل عما إذا كانوا ينجون إذا كانوا خمسين،

ويروى أنهم كانوا جمعاً كثيراً، أكثر ما روي فيهم أنهم كانوا أربعة آلاف^(١).

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

المعنى جادلنا فقلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا.

ويروى أن إبراهيم لما جاءته الملائكة كان يعمل في أرض له وكلمها عمل دبرة من الدبار وهي التي تسمى المشارات^(٢) غرز بالته وصلى، فقالت الملائكة حقيق على الله أن يتخذ إبراهيم خليلاً^(٣).

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾.

معناه ساءه مَجِئُهُمْ، لأنهم استضافوه فخاف عليهم قومه، فلما مشى معهم قليلاً قال لهم: إن أهل هذه القرية شر خلق الله وكان قد عهد إلى الرسل ألا يهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث مرات، ثم جاز عليهم بعد ذلك قليلاً، ورد عليهم القول ثم فعل ذلك ثالثة ومضوا معه.

﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: أصله سُوئِيَ بِهِمْ، من السوء إلا أن الواو أُسْكِنَتْ وثقلت كسرتها إلى السَّيْنِ، ومن خَفَفَ الهمزة قال: سِيءَ بِهِمْ ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾. يقال ضاق زيدٌ بأمره ذرعاً إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصاً.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

= فلما أجاب الملائكة أنهم ينجون. سأل عن الأربعين والثلاثين حتى بلغ إلى خمس من المؤمنين، ولم يكن هناك غير بيت واحد من المسلمين. والآية في سورة «الذاريات» ٣٦.

(١) في ط أربعة ألف، وفي ر أربعة ألف ألف.

(٢) الدبرة القطعة من الأرض تزرع مثل ما يسمى الآن «الحوض» أي الجزء الصغير من الأرض المقسمة للزراعة - أيضاً الساقية بين المزارع. وهي المشارات، واحداها مشاركة. والباله وتسمى المر هي - المسحاة. أي إن إبراهيم - كان يغرّز فاسه في الأرض وينصرف إلى الصلاة.

(٣) أي يستحق أن يتخذه الله خليلاً.

أي شديد، فلما أضافهم مضت امرأته - عجوز السوء - فقالت لقومه إنه استضاف لوطاً^(١) قوم، لم أر أحسن وجوهاً منهم وَلَا أَطْيَبَ رائحةً، ولا أنظف ثياباً.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾.

أي يسرعون في المجيء، فراودوه عن ضيفه، وحاولوا فتح باب، فأعلمته الملائكة أنهم رُسُلُ اللَّهِ وأن قومه الفسقة لن يصلوا إليهم.

فقال لهم لوط حين راودوه: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِي فِي ضَيْفِي﴾.

ف قيل إنهم عَرَضَ عليهم التزويج، وكأنه عرضه عليهم إن أسلموا

وقيل: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: نساء أمتي، فكانه قال لهم التزويج أطهر لكم، فلما حاولوا فتح الباب طمس الله أعينهم. قال الله - عز وجل - : ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾^(٢).

ولما استعجلوه بالعذاب، قالت لهم الرسل: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

القراءة بالرفع في أطهر، وقد رُوِيَ عن الحسن هن أطهر لكم، وعن عيسى بن عمر. وذكر سيوطي أن ابن مروان لَحَنَ في هذه في نَصَبِهَا.

وليس يُجِيزُ أحدٌ من البصريين وأصحابهم نصبَ أطهر، ويجيزها

(١) في الأصل لوطاً قوماً - ويستقيم كما هنا - أي سألهم قوم أن يستضيفهم.

(٢) سورة القمر ٣٧.

غيرهم. والذين يجيزونها يجعلون «هَنْ» في هذا بمنزلتها في «كان»^(١) فإذا قالوا: هؤلاء بناتي أظهر لكم، أجازوا هُنْ أظهر لكم، كما يجيزون كان زيد هو أظهر من عمرو^(٢).

وهذا ليس بمنزلة كان. إنما يجوز أن يقع «هو» وتثنيها وجمعها «عماداً»^(٣) فيما لا يتم الكلام إلا به، نحو كان زيد أخاك^(٤). لأنهم إنما أدخلوا «هُم» ليُعلموا أن الخبر لا بد منه، وأنه ليس بصفة للأول. وباب «هذا» يتم الكلام بخبره^(٥)، إذا قلت: هذا زيد فهو كلام تام. ولو جاز هذا لجاز جاء زيد هو أنبل من عمرو. وإجماع النحويين الكوفيين والبصريين أنه لا يجوز قدم زيد هو أنبل منك حتى يرفعوا فيقولوا هو أنبل منك^(٦).

وبعد فالذين قرأوا بالرفع هم قُرَاءُ الْأَمْصَارِ، وهم الأكثر. والحسن قد قرأ «الشياطون» والشياطون ممتنع في العريّة.

وقد قال بعضهم: إن المشركين في ذلك الدهر قد كان لهم أن يتزوجوا من المسلمين^(٧).

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

أي بظلمة من الليل. يقال: معنى قِطْعٍ من الليل أي قطعة صالحة،

(١) ضمير فصل لا محل لها من الأعراب.

(٢) فيكون تقدير الجملة هؤلاء بناتي حال كونهن أظهر لكم - و «هن» زائدة.

(٣) العماد هو ضمير الفصل الذي لا محل له من الأعراب.

(٤) يؤق بالضمير في الخبر الواضح - فتقول كان زيد هو أخاك - فهو ضمير فصل على هذا لا محل له من الأعراب.

(٥) يتم معنى الجملة ولا يكون هناك وهم أن الخبر صفة.

(٦) فيكون في الكلام جملتان - جاء زيد جملة، وهو ابنك منك جملة.

(٧) أتى أن قول لوط لقومه المشركين: هؤلاء بناتي - كانت دعوة للزواج منهن وهو كان جائزاً في ذلك الوقت.

وكذلك مَضَى ^(١) عَنْكَ ^(٢) من الليل، وَسِعُوا مِنَ اللَّيْلِ ^(٣).

ويقراء: ﴿فَأَسْرِيَ﴾ بإثبات الهمزة في اللفظ، ويقراء: فَاسْرِيَ يقال أُسْرِيَتْ
وَسَرِيَتْ إِذَا سِرْتُ لَيْلاً، قال الشاعر ^(٤):

سَرِيَتْ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيَهُمْ وحتى الجياد ما يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ
وقال النابغة ^(٥):

أَسْرَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةً تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهَا جَامِذُ الْبَرْدِ
وقد رَوَوْا فِي هَذَا الْبَيْتِ سَرَتْ، وقال الله - جَلَّ وَعَزَّ -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي
أَسْرَى بِعَبِيدِهِ﴾ ^(٦).

وقوله: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾.

يجوز فيه النصب والرفع فمن قرأ: إِلَّا أَمْرَاتُكَ. بالنصب فَعَلَى معنى

(١) ليست في ط.

(٢) الْعِنْكَ سُدْفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَوْ قِطْعَةٍ مِنْهُ مَظْلَمَةٌ - أَوِ الثَّلَاثُ الْبَاقِي. وَيُثَلَّثُ أَي
حَرَكَةُ أَوَّلِهِ ثَلَاثٌ (قاموس).

(٣) السَّعْوُ - بِالْكَسْرِ - السَّاعَةُ أَيْ الزَّمَنُ، وَسَعَوْ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً مِنْهُ.

(٤) الْبَيْتُ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ - وَفِي اللَّسَانِ (مطأ):

مَطُوتٌ بِهِمْ حَتَّى يَكِلَ غَزِيَّهُمْ

وفيه (غزا) سريت بهم، والغزى جمع غاز.

يقول سريت بهم حتى وهنت قوى الفرسان وضعفت خيولهم فلا تحتاج أن تقاد برسن.

(٥) مِنْ دَالِيَّتِهِ - يَا دَارَ مَيَّةَ - الْبَيْتُ الْحَادِي عَشَرَ. يَرَوِي سَرَتْ وَأَسْرَتْ وَالسَّارِيَةُ السَّحَابَةُ، وَتَزْجِي
تَسُوقٌ. يَصِفُ ثَوْرًا وَحْشِيًّا يَرْتَعُ مِنْ مَرْعَى لَهُ. أَيِ مَرَّتْ بِهِ سَحَابَةٌ مَحْمُورَةٌ وَدَفَعَتْ رِيحَ الشَّمَالِ
عَلَيْهِ الْبَرْدَ الْجَامِدَ، فَهُوَ مَذْعُورٌ خَائِفٌ أَنْظَرَ شَرَحَ الْعَشْرِ لِلزَّوْزَنِ ١٩٨ (ط صبيح) وَاللَّسَانُ
(شري). وَالِدِيَّانُ ٦ وَالْقُرْطَبِيُّ ٩ / ٧٩ وَمَجَازُ أَبِي عُبَيْدَةَ ٢٩٥ / ١. وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ، أَيِ عَلَى
الثَّوْرِ - وَيَبْدُو أَنَّ عَلَيْهِمْ سَهْمًا مِنَ النَّاسِخِ.

(٦) أَوَّلُ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ.

فأسر بأهلك إلا أمرأتك، ومن قرأ بالرفع، حَمَلَهُ عَلَى مَعْنَى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾^(١).

وقوله: ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾.

يقال أن جبريل جعل جناحه في أسفلها ثم رَفَعَهَا إلى السماء حتى سمع أهل السماء نُبَاحَ الْكِلَابِ وَصِيَّاحَ الدَّجَاجِ، ثم قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وقد قال الناس في سِجِّيلٍ أقوالاً، ففي^(٢) التفسير أنها مِنْ جِلٍّ^(٣) وَحِجَارَةٍ. وقال أهل اللغة: هو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، والعرب لا تعرف هذا. والذي عندي أنه إذا كان هذا التفسير صحيحاً فهو فارسيٌّ. أُعَرِّبَ لَأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَزَّ- قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط، فقال: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾^(٤) فقد تبين للعرب ما عُني بسجيل، وَمِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ مَا لَا يَخْصِي مِمَّا قَدْ أُعَرِّبَتْهُ الْعَرَبُ. نحو جاموس وديباج. فلا أَنْكَرَ أَنَّ هَذَا مِمَّا أُعَرِّبَ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تأويله كَسَيِّرة شديدة^(٥)، وقال إن مثل ذلك قول الشاعر^(٦):

(١) بدل من أحد لأن الاستثناء تام منفي. يجوز فيه الإتيان والنصب

(٢) ط فمن التفسير.

(٣) جل: الجل يطلق على سوق الزرع الذي أخذت سنابله - وهو لا يناسب هنا، ولكن قيل إن الكلمة معربة من كلمتين هما سنك بمعنى حجارة، وكل بمعنى الطين - فهي سِنْكَلٌ - حوت إلى سجيل، ونقل صاحب اللسان كلام الزجاج هنا بأكمله، وقال الأزهري أيضاً إنه معرف وأنه بمعنى الطين.

(٤) سورة الذاريات الآية ٣٣.

(٥) قال هو الشديد من الحجارة الصُّلْبُ.

(٦) رجلة جمع رجل، والبيض جمع بيضة، وهو الحديد الذي يلبس للوقاية في الحرب، والبيت في =

وَرَجَلَةٌ يَضْرِبُونَ الْبُضَّ ضَاحِيَةً ضَرْباً تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا
 والبيت لابن مُقْبِل، وَسِجِّين وَسِجِّيل بمعنى وَاحِدٍ. وقال بعضهم:
 سِجِّيلٌ مَنْ أَسْجَلَتْهُ أَيْ أَرْسَلَتْهُ فَكَأَنَّهُا مُرْسَلَةٌ عَلَيْهِمْ. وقال بعضهم من
 سِجِّيلٍ، مَنْ أَسْجَلْتُ إِذَا أُعْطِيتُ، فجعله من السَّجَل وهو الدَّلْو. قال الفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ^(١):

مَنْ يُسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جَدًّا يَمَلُّ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
 وقيل من سِجِّيلٍ كقولك مما سُجِّلَ أي مما كتب لهم، وهذا القول إذا
 فُسِّرَ فَهُوَ أَثْبَتُهَا^(٢). لأن في كتاب الله تعالى دليلاً عليه، قال - جلَّ وعزَّ -: ﴿كَلَّا
 إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾^(٣).

= اللسان (سجل) «يضربون البيض عن غرض»، وفي (سجن) كما هنا، وقبله
 فإن فينا صُورحاً إن رأيت به ركباً بهياً وآلفاً ثَمَانِينَ
 فرجلة منصوب بالعطف على «ركباً» وابن مقبل هو تميم بن أبي بن مقبل شاعر مخضرم عاش نحو
 مائة وعشرين عاماً، وهو الذي هجا النجاشي الشاعر، وهجاه النجاشي بقوله:
 إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرَقَةٍ فَجَازَى بَنِي الْعَجَلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
 فاستعدى عليه عمر بن الخطاب . . . وكان ابن مقبل يبكي أهل الجاهلية.
 وانظر زهر الآداب ج ١ ص ٥٥. وخزانة الأدب ٢١٤ والعمدة ٧٣.
 (١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. زعم أبو الفرج أن عتبة جد الفضل هو الذي قتله
 الأسد بدعوة رسول الله (ﷺ) عليه، والذي دعا عليه رسول الله هو عتيبة، والفضل شاعر
 إسلامي حسن الشعر كان آدم به سمرة ورثها عن جدته لأمه، ولهذا جاء قيل هذا البيت:
 وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ
 وهو يعني بالخصرة سواد آدميه. والمساجلة المفاخرة، والكرب الحشبة تثبت بقم الدلو، يريد أنه
 يبلغ الغاية في الكرم.

وانظر ترجمة الفضل بالأغاني ١٦ / ١٧٢ وبها البيت، أيضاً ص ١٧٨، والكمال ١ / ١١٣ (تجارية)
 واللسان (سجل)، والخزانة.

(٢) إذا صبح أن فسر به فهو أقواها.

(٣) سورة المطففين الآية ٧ - ٩.

سَجِيلٌ فِي مَعْنَى سَجِينٍ . فَالْمَعْنَى إِنَّهَا جِجَارَةٌ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - أَنَّهُ يُعَذِّبُهُمْ بِهَا .

وَهَذَا أَحْسَنُ مَا مَرَّ فِيهَا عِنْدِي .

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَنْضُودٍ مُسَوِّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ .

فَمَعْنَاهُ أَنَّ بَعْضَهَا يَأْتِي مَعَ بَعْضٍ كَالْمَطَرِ .

وَأَمَّا ﴿مُسَوِّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فَرُوي عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهَا مُعَلِّمَةٌ بِيَاضٍ وَحُمْرَةٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ: مُسَوِّمَةٌ بَعْلَامَةٌ يَعْلَمُ بِهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ جِجَارَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَتُعَلِّمُ بِسَيِّمَاهَا أَنَّهَا مِمَّا عَذَّبَ اللَّهُ بِهَا .

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ .

قِيلَ إِنَّهَا مَا هِيَ مِنْ ظَالِمِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِبَعِيدٍ .

﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ .

الْمَعْنَى أَرْسَلْنَا إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، فَحَذَفَ أَهْلَ وَأَقَامَ مَدْيَنَ مَقَامَهُ . وَمَدْيَنَ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوْ الْقَبِيلَةِ فَلِذَلِكَ لَمْ يَنْصَرَفَ .

وَقَوْلُهُ: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ .

وَمَعْنَاهُ طَاعَةُ اللَّهِ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْحَالُ الَّتِي تَبَقَّى لَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ لَكُمْ .

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ﴾ .

وَيَقْرَأُ: أَصْلَوَاتِكَ .

﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ .

هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ -

﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ .

المعنى إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا. وفي التفسير أنه نهاهم أن يَحْذِفُوا الدَّرَاهِمَ. (أي (أن) يكسروها)^(١).

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

قيل^(٢) كنى بِذَا عن أَنَّهُمْ قالوا له: إِنَّكَ السَّفِيهُ الْجَاهِلُ، وقيل إِنَّهُمْ قالوا له هذا على وجه السَّخَرِ.

وقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾. وجواب الشرط ههنا متروك. المعنى إن كنت على بينة من ربي أتبع الضلال^(٣) فترك الجواب لعلم المخاطبين بالمعنى، وقد مر ما ترك جوابه لأنه معلوم وشرحه في أمكته.

وقوله: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

[أي] حلالاً، وقيل: رزقاً حسناً ما وفق له من الطاعة.

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾.

أي لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي، ومعنى «مَا أُخَالِفُكُمْ إِلَيْهِ»، أي ما أقصد بخلافك القصد إلى أن أرتكبه^(٤).

﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

أي بقدر طاقتي، وَقَدَرُ طَاقَتِي إبلاغكم وإنذاركم، ولست قادراً على إجباركم على الطاعة. ثم قال:

(١) ليست في ط.

(٢) في ر قال بعضهم.

(٣) أي أتبع الضلال. فهي جملة استفهامية.

(٤) ما أريد بمخالفتك مجرد المخالفة هذا الشيء.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ، وَمَعْنَى ﴿إِلَيْهِ أَنِيبَ﴾ إِلَيْهِ أَرْجِعْ .

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ .

مَوْضِعُ أَنْ نَضَبُ ، الْمَعْنَى لَا تُكْسِنَنَّكُمْ عِدَاوَتَكُمْ إِيَّايَ أَنْ يُصِيبَكُمْ عَذَابُ
"عَاجِلَةٍ" مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ
مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ .

وَكَانَ إِهْلَاكُ قَوْمِ لُوطٍ أَقْرَبَ الْإِهْلَاكَاتِ الَّتِي عَرَفُوهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ :
الْعِظَةُ فِي قَوْمِ لُوطٍ قَرِيبَةٌ مِنْكُمْ .

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ . وَكَانَ
ضَرِيرًا .

وَجَمِيرٌ تُسَمَّى الْمَكْفُوفُ ضَعِيفًا ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ ضَرِيرٌ أَيْ قَدْ ضُرَّ
بِذَهَابِ بَصَرِهِ ، وَكَذَلِكَ قَدْ كُفَّ عَنِ التَّصَرُّفِ بِذَهَابِ بَصَرِهِ .

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ .

أَيْ لَوْلَا عَشِيرَتُكَ لَرَجَمْنَاكَ أَيْ لَقَتَلْنَاكَ بِالرَّجْمِ ، وَالرَّجْمُ مِنْ سَيِّئِ
الْقَتْلَاتِ ، وَكَانَ رَهْطُهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ فَلِذَلِكَ أَظْهَرُوا الْمِيلَ إِلَيْهِمْ وَالْإِكْرَامَ
لَهُمْ .

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ .

أَيْ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَتْرَكُونَ قَتْلِي إِكْرَامًا لِرَهْطِي - وَاللَّهُ - جَلَّ وَعَزَّ -
أُولَى بِأَنْ يَتَّبِعَ أَمْرُهُ .

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ .

أنى نَبَذْتُموه وَرَاءَ ظَهْرِكُمْ، والعرب تقول لكلّ من لا يعبا بأمرٍ قد جعل
فلان الأمر بظهره، قال الشاعر^(١):

تميم ابن قيس لا تكونن حاجتي بظهرٍ فلا يعنى علىّ جوابها
وقوله - جَلَّ وعزَّ - : ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ
جَاثِمِينَ﴾.

يروى أَنَّ جَبْرِيلَ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً فَمَاتُوا فِي أَمْكِتِهِمْ، فأصبحوا جاثمين
لا يقدرّون على حركة قَدْ مَاتُوا.

﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

كان لم ينزلوا فيها، يقال: غَنَيْنَا بِالْمَكَانِ إِذَا أَنْزَلْنَا بِهِ.

﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ﴾^(٢).

(١) هو الفرزدق، وقصة هذا الحادث كما رواها البرد في كامله أن الحجاج ولي تميم بن زيد القيني
السند، فدخل هذا البصرة وجعل يخرج من أهلها من شاء، وكان لامرأة عجوز بالبصرة ولد
يسمى خنيساً، فجاءت إلى الفرزدق بحصيات من قبر أبيه وقالت اني استجرت بقبر أبيك،
وقالت لا قرّة لعيني ولا كاسب غير هذا الولد فكتب الفرزدق إلى تميم:

تميم زَيْدٍ لا تكون حاجتي

وهب لي خنيساً واحتسب فيه منة

أَتُنْتِي فعاذت يا تميم بغالب

وبالحفرة السافي عليها تراها

ولم تكن الكتابة منقوطة فلم يعرف تميم اسمه خنيس أم جيش ووجد في عسكره ستة أشخاص

أسماءهم بين خنيس وجيش فوجه بهم إليه.

ورواية البيت - تميم بن زيد - لا ابن قيس كما هنا.

وانظر البيت في الكامل ٢٩١/١ (تجارية) وذيل الأماي ٧٧ والأغاني ٣٥٥/٢١، ٣٥٦.

جاء في النسخة ط بعد هذه الآية: هذه العبارة.

ثم الجزء الثاني والحمد لله وصلواته على صفوته من خلقه محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً

كثيراً.

(٢) من الآن فصاعداً يكون لدينا نسخة واحدة هي نسخة - ر - من المعهد البريطاني - ليس لدينا

سواها - وفي آخرها تشويه نسأل الله تعالى أن يعيننا على التهدي لمعرفة - ما كتب فيه - وهوامش

﴿الَا﴾ حرف يُبتدأ الكلام به، وهو تنبيه للمخاطب
ومعنى ﴿بُعْدَ الْمُذْنِ﴾ أنهم قد بُعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وهو منصوب على
المصدر، المعنى أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ فَبُعِدُوا بَعْدًا، ودليل ذلك: ﴿كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾.
ويجوز بَعْدَتْ وَبَعْدَتْ^(١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾.
أي بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته.
﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

أي وحجة بيّنة. والسُّلْطَانُ إنما سُمِّيَ سُلْطَانًا لَّأَنَّهُ حُجَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.
واشتقاق السلطان مِنَ السَّليط، والسَّليط ما يُضَاءُ بِهِ، ومن هذا قِيلَ لِلزَّيْتِ
سَلِيْطٌ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ﴾.

مَلَأَتْهُ أَشْرَافُ قَوْمِهِ، الَّذِينَ هُمْ مَلَأَ بِالرَّأْيِ وَالْمَقْدِرَةِ ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

أي استحبوا العَمَى عَلَى الْهُدَى.
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

يقال قَدَمْتُ الْقَوْمَ أَقْدَمْتُهُمْ قَدَمًا وَقُدُّومًا إِذَا تَقَدَّمْتُهُمْ. أي يَقْدُمُهُمْ إِلَى
النَّارِ، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَاوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾.

= هذه النسخة - مشحونة بتعليقات معظمها من كتابي الكشف، والنسفي - ولم يتم كاتبها
بالبحوث اللغوية - ويذكر على الهامش أحياناً كلمة نسخة وبجانبيها تصحيح أو رواية ثانية ولكن
هذه قليلة جداً وقد أثبتناها في أماكنها.

(١) بَعَدَ يَبْعَدُ بمعنى هلك ومات فيكون دعاء عليهم بالهلاك كما هلكت ثمود.

وقوله: ﴿بَشِّرِ الرَّفْعَةَ الْمَرْفُودَةَ﴾.

كل شيء جعلته عوناً لشيء، وأسندت به شيئاً فقد رفدته، يقال عمدت الحائط وأسندته ورفدته بمعنى واحد، والمرفد القدح العظيم.

وقوله: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.

أي من القرى التي أهلكت قائمٌ قد بقيت حيطانه، نحو قوله: ﴿وَبَشِّرِ مُعَظِلَةَ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾^(١).

﴿وَحَصِيدٌ﴾ مخسوف به، وهي ما قد انمحي أثره.

وقوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾.

معناه غير تخسير، ومنه قوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسرت.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ فأعلم الله - عز وجل - أنه يحيي الخلق ويبعثهم في ذلك اليوم ويشهدوا به.

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

الذي يختاره النحويون: يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه. بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القراءات بكسر التاء [من غير ياء]. وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العرب تقول لا أدر فتحذف الياء وتجتزى بالكسرة، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو إثبات الياء والذي أراه اتباع المصحف مع اجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب.

وهذه الآية فيها سؤال أكثر ما يسأل عنه أهل الالحاد في الدين فيقولون لم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، و﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾. ولا

(١) سورة الحج الآية ٤٥.

يُؤَذِّنْ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ^(١)، وقال في مواضع من ذكر القيامة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ^(٢)﴾، وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا^(٣)﴾ وقال: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ^(٤)﴾، وقال ﴿فَيَوْمِئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ^(٥)﴾.

ونحن نفسر هذا على ما قالت العلماء المتقدمون في اللغة المسلمون الصحيحو الإسلام:

قالوا: قوله - عز وجل - ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾: الله عالم بأعمالهم فسألهم سؤال توبيخ وتقرير لإيجاب الحجة عليهم، وقوله: فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان أي لا يسأل ليُعْلَمَ ذلك منه، لأن الله قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها. وكذلك قوله عز وجل: ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾، أي لا ينطقون بحجة تجب لهم، وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضاً وطرح بعضهم الذنوب على بعض، فأما التكلم والنطق بحجة لهم فلا، وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيراً وخطابه فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، وما نظقت بشيء فسمي من تكلم بما لا حجة له فيه، غير متكلم - كما قال عز وجل: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ فهم لا يبصرون^(٦) وهم يبصرون ويسمعون إلا أنهم في أنهم لا يقبلون ولا يفكرون فيما يسمعون ولا يتأتلون، بمنزلة الصم، قال الشاعر^(٧):

(١) سورة المرسلات ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ن ٣٠.

(٣) سورة النحل / ١١١.

(٤) سورة الصافات ٢٤.

(٥) الرحمن ٣٩.

(٦) سورة البقرة الآية ١٨ ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

(٧) تقدم.

أصم عما ساء سميع

فهذا قول حسن .

وقال قوم : ذلك اليوم طويل وله مواضع ومواطن ومواقف ، في بعضها يُمنعون من الكلام وفي بعضها يطلق لهم الكلام ، فهذا يدل عليه ﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ - وكلا القولين حسن جميل .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ من شديد الأنين وقبيحه ، ﴿[وشهيق]﴾ والشهيق الأنين الشديد المرتفع جداً . وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق ، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ .

فيها أربعة أقوال . قولان منها لأهل اللغة البصريين والكوفيين جميعاً .

قالوا : المعنى خالدين فيها إلا ما شاء ربك بمعنى سوى ما شاء ربك ، كما تقول : لو كان معنا رجل إلا زيداً^(١) أي رجل سوى زيد ولك عندي ألف درهم سوى الألفين ، وإلا الألفين اللذين لك عندي . فالمعنى على هذا خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة كما قلت سوى الألفين اللتين^(٢) عليّ .

وقالوا قولاً آخر : إلا ما شاء ربك وهو لا يشاء أن يخرجهم منها ، كما تقول أنا أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غير ذلك ثم تقيم على ذلك الفعل وأنت قادر على غير ذلك ، فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخرجهم لقدّر ، ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً .

(١) في الأصل إلا زيداً .

(٢) في الأصل الألفان التي وهو خطأ .

فهذان المذهبان^(١) من مذاهب أهل اللغة .

وقولان آخران :

قال بعضهم إذا حُشِرُوا وبُعِثُوا فهم في شروط القيامة فالاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب . والمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة .

وفيها قول رابع : إن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر، وكذلك لأهل الجنة نعيمٌ ما ذُكر^(٢) ولهم ما لم يذكر مما شاء ربك، ويدل عليه - والله أعلم - عطاء غير مجذوذ .

أي غير مقطوع . قَالَ النَّابِغَةُ^(٣)

تَجَذُّ السُّلُوقِي المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوْقَدُ بِالصُّفْحِ نَارَ الحُبَابِ

يصف السيوف وأنها تقطع الدروع

وقوله - عز وجل - : ﴿وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ .

أي نوفيهم ما يصيبهم من خير أو شر

وقوله : ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لَيُوفِّيْنَهُمْ [رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ]﴾ .

قرئت بتشديد النون وتخفيفها، وقرئت «لَمَّا» بتخفيف الميم ولَمَّا

(١) أي فهذان هما المذهبان اللذان تقدم ذكرهما .

(٢) نعيم الخلود الذي ذكر .

(٣) من قصيدته :

كليني هم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وروايته المشهورة تقد، وتجذ وتقصد بمعنى تقطع - يقول إن ضرباته تقطع الدروع وتقتل الفارس وتضرب بعد ذلك حجارة الأرض فتقذح بها ناراً كنار الجباب، والجباب حشرات طائرة يكون لأحنتها لمعان كالنار وانظر القصيدة في الديوان من الستة والبيت في اللسان (سلق) .

بتشديدها. فاما تشديد «إِنَّ» والنصب فعلى باب إِنَّ، وأما تخفيفها وترك
النصب على حاله فلا ن «أَنَّ» مشبهة بالفعل فإذا حذف منها التشديد بقي
العمل على حاله، وأما تخفيف «لَمَّا» فهو الوجه والقياس، ولام لَمَّا لام «إِنَّ»^(١)
و «مَّا» زائدة مؤكدة. لم تغيّر المعنى ولا العمل. وأما التشديد في «لَمَّا» فزعم
بعض النحويين أن معناه «لَمَنْ مَّا» ثُمَّ انقلبت النون ميماً فاجتمع ثلاث ميمات
فحذفت إحداها^(٢) - وهي الوسطى، فبقيت لَمَّا - وهذا القول ليس بشيء لأن
«مَنْ» لا يجوز حذفها^(٣)، لأنها اسم على حرفين، ولكن التشديد فيه قولان
أحدهما يروى عن المازني. زعم المازني أن أصلها لَمَّا ثم شددت الميم،
وهذا القول ليس بشيء أيضاً. لأن الحروف نحو «رُبَّ» وما أشبهها تخفف،
ولسنا نُثَقِّلُ ما كان على حرفين فهذا مُنتَقِضٌ.

وقال بعضهم قولاً لا يجوز غيره - والله أعلم - أن «لَمَّا» في معنى:
إِلَّا . . . كما تقول سألتك لَمَّا فعلت كذا وكذا. وَإِلَّا فعلت كذا. ومثله: «إِنْ كُلُّ
نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»^(٤). معناه «إِلَّا» وتأويل اللام مع «إِنْ» الخليفة إنما هو
تأويل الجحد والتحقيق، إلا أن «إِنْ» إذا قلت إِنْ زَيْدًا لَعَالَمٌ هي «مَّا» ولكن
اللام دخلت عليها لثلاثيَّة المنفي المثبت فتكون المشددة بدخول اللام
عليها بمعنى المخففة إذا دخلت عليها اللام. فعلى هذا جاءت «أَنَّ» الناصبة.
فجائز أن تكون «أَنَّ» النَّاصِبَةُ مِنْ حَيْثُ دخلت عليها اللام كما دخلت على إِنْ
غير الناصبة دخلت عليها «لَمَّا» ودخلت عليها «إِلَّا» فصار الكلام في تخلص
التحقيق له بمنزلة ما نفى عنه غير المذكور بعد «لَمَّا»، ووجب له ما بعد «لَمَّا»

(١) لام التوكيد التي تأتي بعد «إِنَّ» المخففة لتمييزها عن «إِنْ» النافية.

(٢) في الأصل إحداها.

(٣) لا يجوز حذف شيء منها.

(٤) سورة الطارق الآية ٤.

فتقول على هذا الحد إن كلهم لَمَّا يُحِبُّني - معناه يؤول إلى معنى ما كلهم إلا يُحِبُّني ، وكذلك يجوز إن كلاً لما يُحِبُّني ، بحذاء إن كلاً لما يُحِبُّني ، فدخلت «لَمَّا» محققة كما دخلت اللام محققة وصار تأويل الجملة تأويل المنفي والمحقق .

وحكى سيبويه وجميع البصريين أن «لَمَّا» تستعمل بمعنى إلا . ويجوز إن كلا «لَمَّا»^(١) ليؤفنيهم ، معناه وأن كلاً ليؤفنيهم جمعاً . لأن معنى اللَمَّ الجمع يقال لمت الشيء أَلَمُهُ لَمًّا إذا جَمَعْتُهُ ، فَأَمَّا قولهم : لَمَّ اللَّهُ شَعْنَكَ ، فتأويله جمع الله لك ما يذهبُ شَعْنَكَ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ فطرفا النهار غَدُوهُ وَعَشِيَّهُ ، وصلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر .
﴿وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ .

ويجوز وزُلْفًا من الليل - بضم الزاي واللام - وهو منصوب على الظرف كما تقول حيناً طرفي النهار وأول الليل - ومعنى زُلْفًا من الليل الصلاة القريبة من أول الليل ، وزُلْفًا جمع زُلْفَةٍ ، يعنى بالزلف من الليل المغرب وعشاء الآخرة .

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

أي إن هذه الصلوات تكفر ما بينها من الذنوب . وهذا يُصَدِّق ما في الخبر من تكفير الصَّلَوَاتِ الذنوب .

والزُّلْفُ واحدٌ مثل الحُلُم . وجائز أن يكونَ جَمْعاً - على زَلِيفٍ مِنَ اللَّيْلِ فيكون مثل القَرِيبِ والقُرْب ، ولكن الزُّلْفُ أجودُ في الجمع . وما علمت أن زُلْفًا يستعملُ في اللَّيْلِ .

(١) منونة .

وقوله: ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾.

معناه أولو تمييز، ويجوز أن يكون معناه «أولو» طاعة.

ومعنى البقية إذا قلت فلان في بقية، معناه^(١) فيه فضل فيما يمدح به.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

استثناء منقطع، المعنى لكن قليلًا ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد.

﴿وَاتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ﴾.

معناه اتبعوا الشيء الذي به تدوم لهم الترفه والنعيم، وركنوا إلى الدنيا فلم يقبلوا ما ينقص ترفتهم في كسب أو عمل.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾.

يجوز أن يكون وما كان ربك ليهلك أحدًا وهو يظلمه - كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾^(٢). وجائز أن يكون معناه: وما كان ربك ليهلك القرى - ومعناه أهل القرى - بظلم وأهلها يتعاطون فيما بينهم بالنصفة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لو شاء لجمعهم على هدايته، كما قال - عز وجل -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^(٣).

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.

«من» استثناء، على معنى: لكن من رحم ربك فإنه غير مخالف.

(١) في الأصل فمعناه، وحذفنا الفاء لتكون هذه الجملة هي الخبر عن معنى.

(٢) سورة يونس الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٥.

وقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

أي خَلَقَهُمْ للسعادة والشقاء، فاختلافهم في الدين يؤدي بهم إلى سعادة أو شقاء. وقيل: ولذلك خَلَقَهُمْ أي لرحمته خَلَقَهُمْ، لقوله إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، والقول الأول يدل عليه.

﴿وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

لأَمْلَأَنَّ لَفْظُ الْقَسَمِ، أي فَمَتَّ قَوْلُهُ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ^(١)
﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

«كُلًّا» منصوب بنقص، المعنى وكل الذي يُحتاجُ إليه من أنباء الرسل
نَقُصُّ عَلَيْكَ. و«ما» منصوبة بدل من كل.

المعنى: نقص عليك ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ. ومعنى تَثَبِّتُ الْفُؤَادِ تسكين
القلب، [وهو] ههنا ليس للشك، ولكن كلما كان الدلالة والبرهان أكثر كان
القلب أثبت كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢).

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون وجاءك في هذه السورة، لأن فيها أقاصيص الأنبياء
ومواعظ وذكر ما في الجنة والنار.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾.

أي في ذكرى هذه الآيات التي ذُكِرَتْ قبل هذا الموضع.

أي جاءك الحق في أن الخلق يُجَازَوْنَ بِأَنْصِبَائِهِمْ في قوله: ﴿وَإِنَّا
لَمَوْفُوهُمْ نَصِيهِهُمْ﴾، وفي قوله: ﴿وَإِنْ كُلاًّ لَّمَّا لَيُؤْفِقْنَهُمْ﴾.

(١) أي لأَمْلَأَنَّ بدل من كلمة، أي تم ما أقسم الله عليه.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

وقد جاءه في القرآن كُلُّه الحقُّ، ولكنه ذكرها هنا تأكيداً، وليس إذا قيل
قد جاءك في هذه الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا في هذه، ولكن
بعض الحق أوكد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا، لا في عينه. إذا
قُلْتَ: فُلانٌ في الحق وأنت تريد أنه يجود بنفسه، فليس هو في غير تلك
الحال في باطل، ولكنه ذكُرُ الحق ههنا أغنى عن ذكر الموت لعظمه وأنه
يحصل عنده على الحق.

سورة يوسف مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

المعنى هذه الآيات، تلك الآيات. ﴿الْمُبِينُ﴾ الذي وعدتم به في التوراة^(١) كما قال: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

هذه الهاء تصلح لشيئين، أحدهما أن تكون للكتاب، المعنى إنا أنزلنا الكتاب قرآنًا عربيًّا. ومعنى «قُرْآن» مجموع^(٢)، ويجوز أن يكون إنا أنزلناه أي أنزلنا خبرَ يُوْسُفَ وقِصَّتَهُ.

ويروى أن علماء اليهود قالوا لِكِبْرَاءِ الْمُشْرِكِينَ: سَلُوا مُحَمَّدًا لِمَ انْتَقَلَ آلُ يَعْقُوبَ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، وعن قصة يُوْسُفَ فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

ودليل هذا القول قوله - عزَّ وجلَّ - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُسَائِلِينَ﴾.

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

(١) أي الكتاب المبين الحجة والدلالة الذي وعدتم به.

(٢) تقدم شرح قرآن في الجزء الأول.

أي نبين لك أحسن البيان^(١) والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾.

أي بوحينا^(٢) إليك هذا القرآن. القراءة نصب القرآن ويجوز الجر والرفع جميعاً، ولا أعلم أحداً قرأ بهما. فأما الجر فعلى البدل من قوله: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، فيكون المعنى نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن، ولا تقرأ بها. والرفع على ترجمة^(٣) مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، كأن قائلًا قال: ما هو؟ وما هذا فقل هذا القرآن، ولا تقرأ بها أيضاً.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾.

أي من الغافلين عن قصة يوسف وإخوته، لأنه عليه السلام إنما عليم ذلك بالوحي.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾.

يجوز أن يكون موضع «إذ» نصباً^(٤). المعنى نقص عليك إذ قال يوسف لأبيه ويجوز أن يكون على معنى اذكر إذ قال يوسف لأبيه.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي﴾.

في قوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي﴾ قراءتان: يَا أَبَتِ إِنِّي، وَيَا أَبَتِ إِنِّي - بالخفض والنصب^(٥). وأجاز بعض أهل العربية يا أبةً إِنِّي.

فمن قرأ ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي﴾ - بكسر التاء - فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء، لأن ياء الإضافة تحذف في النداء، وقد ذكر ذلك فيما سلف من

(١) القصص مصدر، بمعنى الخديث والرواية.

(٢) «ما» إذن مصدرية.

(٣) أي على توضيحه وبيانه - فهي جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٤) هي نصب على أي حال والاختلاف في تقدير العامل.

(٥) في تاء «أبت».

الكتاب، وأما إِدْخَالُ التَّأْنِيثِ فِي الْأَبِ فَإِنَّمَا دَخَلَتْ فِي النَّدَاءِ خَاصَّةً، وَالْمَذْكُورُ قَدْ سَمِيَ بِاسْمِ لِمُؤَنَّثٍ فِيهِ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ، وَيُوصَفُ بِمَا فِيهِ هَاءُ التَّأْنِيثِ. فَأَمَّا الْمَذْكُورُ الَّذِي يَسْمَى بِمُؤَنَّثٍ فَقَوْلُهُمْ عَيْنٌ وَنَفْسٌ يَرَادُ بِهِ الرَّجُلُ^(١)، وَأَمَّا الصِّفَةُ فَقَوْلُهُمْ غَلَامٌ يَفْعَةٌ^(٢)، وَرَجُلٌ رَبْعَةٌ^(٣). وَالتَّاءُ كَثُرَتْ وَلَزِمَتْ فِي الْأَبِ عَوْضًا مِنْ تَاءِ الْإِضَافَةِ. وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا يَا أَبُةَ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْمَصْحَفِ بِالتَّاءِ، وَزَعَمَ الْفَرَاءُ أَنْكَ إِذَا كَسَرْتَ وَقَفْتَ بِالتَّاءِ لَا غَيْرَ، وَإِذَا فَتَحْتَ وَقَفْتَ بِالتَّاءِ وَالْهَاءِ،

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْكَسْرِ وَالْفَتْحِ^(٤).

وَزَعَمَ قَطْرِبُ أَنْ الْفَتْحَ عَلَى جِهَاتٍ إِحْدَاهَا^(٥) أَنْكَ أَرَدْتَ يَا أَبُةَ ثُمَّ حَذَفَ التَّنْوِينَ، وَعَلَى يَا أَبْتَاهُ^(٦) وَعَلَى قَوْلِ قَوْلِ الطَّرْمَاحِ^(٧).

يَا دَارَ أَقْوَتٍ بَعْدَ أَضْرَامِهَا عَامًا وَمَا يَغْنِيكَ مِنْ عَامِيهَا^(٨)
وهذا الذي قاله قطرب خطأ كله. التنوين لا يحذف من المنادى

(١) يسمي الرجل بذلك - أو يوصف به مثل رجل عين، أي جاسوس.

(٢) ناشى حديث.

(٣) لا بالطويل ولا بالقصير.

(٤) أي الفراء مخطئ في هذه التفرقة.

(٥) في الأصل أحدهما.

(٦) نادى «يا أبْتَاهُ» فحذف الهاء.

(٧) الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيء شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة فكان معلماً وخارجياً من الشراة، وكان متصلاً بخالد بن عبد الله القسري، وكان خالد يكرمه ويستجيد شعره، وكان من أصدقاء الكمي لا يكادان يفترقان - والكمي شيعي والطرماح خارجي - وهو من الهجائين والشجعان. قيل لو تقدمت أيامه قليلاً لفضل على جرير والفرزدق.

انظر الأغاني ٤١٨/١٠ (بولاق)، والبيان والتبيين ٢٧/١، والخزانة ٤١٨/٣، وانظر شرح التبريزي على الحماسة ٢٢٥/١. ت محمد محي الدين، وسبويه ٢٠١/٢.

(٨) الأصرام بفتح الهمزة جمع صرْم - بكسر أوله - وهو الفرقة والجماعة من الناس - أي أقفرت بعد أن كانت مأهولة - ورواية اللسان (صرم): «وما يبيك» ثم يقول: وما الذي يعنيني أو يبيكني من شأنها - ينكر على نفسه هذا العمل، أي انه خليق أن يتصرف إلى شيء أهم.

المنصوب، لأن النصب إعرابُ المنادى، ولا يجوز معرَبٌ منصرف غير منون في حال النصب^(١) وأما قوله: يا دارَ أقوت، بنصب الدارِ فلم يَرَوْه أَحَدٌ من أصحابنا ولا أعرفُ له وجهاً. أنشد سيبويه والخليل وجميع البصريين يا دارَ أقوت، بضمّ الراء، وأما يا أبتاه، فالنُدبة ههنا لا معنى لها.

ولكنَّ الفَتْحَ يجوزُ على أَنَّهُ أُبْدِلَ من تاء الإضافة ألفاً ثم حذف الألف وبقيت الفتحة، كما تحذف بالإضافة^(٢).

وأما «يا أبةُ إني» بالرفع فسلا يجوز إلا على ضعف، لأن الهاء ههنا جعلت بدلاً من ياء الإضافة.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوَكَبًا﴾.

القراءة بفتح العين وفتح جميع الحروف في أَحَدَ عَشَرَ. وقد روي بتسكين العين في القراءة: «أَحَدَ عَشَرَ كَوَكَبًا» قرأ بها بَعْضُ أهلِ المدينة وهي غير منكرة ما كَانَ قبل العين حرف متحرك لكثرة الحركات في قوله أَحَدَ عَشَرَ فأما اثنا عَشَرَ فلا يجوز فيها الإسكان في العين. وقد رويت لغة أخرى [وهي] أَحَدَ عَشَرَ وهذه الرواية في الرداءة وتَرْكُ الاستعمال بمنزلة الحمدِ لله، لا يلتفت إليها.

فأما التسكين في العين^(٣) فقراءة صحيحة كثيرة ولكن سيبويه والخليل وجميع أصحابهم لا يجيزون إلا فتح العين، إلا أن قُطْرُباً قد روى إسكان العين ورواه القراء أيضاً، وقد قُرئ به. فأما ما لا اختلاف فيه ففتح العين.

و﴿كَوَكَبًا﴾ منصوب على التمييز.

(١) لا يجوز حذف التنوين من الاسم المنصرف.

(٢) الأصل يا داراً بمعنى يا داري.

(٣) العين من عَشَرَ وهي الشَّيْن.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فكرر رأيتهم تأكيداً، المعنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لي ساجدين فكرر «رأيتهم» لَمَّا طال الكلام.

فأمَّا قوله ﴿سَاجِدِينَ﴾ فحقيقته^(١) فَعَلَ كُلُّ مَا يَعْقِلُ، وَجَمَعَهُ وَجَمَعَ ضَمِيرَهُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ فِي الرَّفْعِ، وَالْيَاءُ وَالنُّونُ فِي النِّصْبِ وَالْجَرِّ. فإذا وصف غير الناس والملائكة بأنه يعبد ويتكلم فقد دخل في المُمَيِّزِينَ وصار الإِخْبَارُ عنه كالإِخْبَارِ عَنْهُمْ.

فمن ذلك قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾^(٢) وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٤).

فَالْوَاوُ وَالنُّونُ دَخَلَتَا لِمَا وَصَفْنَا مِنْ دُخُولِهِمْ فِي التَّمْيِيزِ^(٥)، وَالْأَلِفُ وَالنَّاءُ وَالنُّونُ لِكُلِّ مُؤَنَّثٍ وَلِكُلِّ مَوَاتٍ لَا يَعْقِلُ غَيْرِ الْمُمَيِّزِينَ، فإذا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ غير المميّزة كالتميّزة فكذلك تكون أفعالها والأنباء عنها.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

معناه يختارك ويصطفيك، وهو مشتق من جَبَّيْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَصَلَتْهُ لِنَفْسِكَ، ومنه جَبَّيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ. وموضع الكاف في قوله «كَذَلِكَ» نصبٌ، المعنى ومثل ما رأيت تأويله، ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ

(١) حقيقة السجود.

(٢) سورة النمل الآية ١٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٣.

(٤) سورة يس الآية ٤٠، وسورة الأنبياء ٣٣.

(٥) دخول هذه الأصناف غير المميّزة في جنس الأصناف المميّزة حيث أسند إليها فعلهم. والأولى أن يقول: «من دخولها».

الأحاديث ﴿ قيل يعلمك تأويل الرؤيا وقيل يعلمك تأويل أحاديث الأنبياء والآنم ، يعني الكتب وكلاهما جائز - والله أعلم - .

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلٍ يَعْقُوبُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ .

المعنى يتمها كما أتمها على أبويك ، فقد فسر له يعقوب الرؤيا ، والتأويل أنه لما قال له إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، فتأول الأحـد عشر كوكباً أحد عشر نفساً لهم فضل وأنهم يستضاء بهم ، لأن الكواكب لا شيء أضوا منها وبها يهتدى . قال الله جل وعز : ﴿وَالنَّجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١) . فتأول الشمس والقمر أبويه . فالقمر الأب والشمس الأم والأحد عشر كوكباً إخوته ، فتأول له أنه يكون نبياً ، وأن إخوته يكونون أنبياء لأنه أعلمه أن الله يتم بنعمته عليه وعلى إخوته كما أتمها على أبويه إبراهيم وإسحاق فإتمام النعمة عليهم أن يكونوا أنبياء ، إذ قال : ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ .

وقوله : ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ .

الرؤيا فيها أربع لغات . رؤيا بالهمز ، ورؤيا بالواو بلا همز ، وهاتان يُقرأ بهما . ورؤياك بالإدغام ، ورؤياك بكسر الراء - ولا تقرأ بهاتين .

ويوسف فيه لغتان ، يوسف بضم السين ويوسف بكسر السين وكذلك يؤنس ، ويونس . وحكوا يؤنس بفتح النون ، حكاهما قطرب وهي شاذة .

وقوله عز وجل : ﴿آيَاتٍ لِلسَّائِلِينَ﴾ .

وقرئت آية . ومعناه عبرة ، وقد رويت في غير هذا المصحف عبرة للسائلين ، وهذا معنى الآية . ويجوز أن تكون «آية» بصيراً للسائلين الذين

(١) سورة النحل الآية ١٦ .

سألوا النبي ﷺ فَأَنبَاهُمْ بِقَصَّةِ يُوسُفَ . وهو عنها غافل لم يقرأ كتاباً ولم يأتِه إلا من جهة الوحي جَوَاباً لهم حين سألوه .

وقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي إِنَّا أَبَانَا قَدَّمَ اثْنَيْنِ صَغِيرَيْنِ فِي الْمَحَبَّةِ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، أي جماعة نفعنا أكثر من نفع هذين .

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

هذا موضع ينبغي أن يُتَفَهَّم ، إنما عَنَوْا أن أَبَاهُمْ ضَالٌّ فِي مَحَبَّةِ هَٰذَيْنِ وَلَوْ وَصَفُوهُ بِالضَّلَالَةِ فِي الدِّينِ كَانُوا كُفَّارًا . وَالْعُصْبَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْعَشِيرَةُ وَنَحْوُهُمْ .

وقوله عز وجل: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ .

أي تَتُوبُونَ مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ .

وقوله: ﴿أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ .

معناه - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَرْضًا يَتَعَدُّ بِهَا عَنْ أَبِيهِ لِأَنَّهُ لَنْ يَخْلُوَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي أَرْضٍ .

قوله: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ .

يدل على أَنَّهُمْ تَأَمَّرُوا فِي أَنْ يَطْرَحُوهُ فِي أَرْضٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِيهَا أَبُوهُ^(١) وَأَرْضًا مَنْصُوبٌ عَلَى إِسْقَاطٍ فِي وَإِفْضَاءِ الْفِعْلِ إِلَيْهَا، لِأَنَّ أَرْضًا لَيْسَتْ مِنَ الظُّرُوفِ الْمُبْهَمَةِ .

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ .

الْغَيَابَةُ كُلُّ مَا غَابَ أَوْ غَيَّبَ عَنْكَ شَيْئًا، قَالَ الْمُنْخَل^(٢) .

(١) لا يقدر على إرجاعه أو الوصول إليه .

(٢) هو المنخل بن سُبَيْع بن معاوية، روى له الأمدى في المؤتلف أبياتاً قالها في أخويه حين هاجرا من =

وإن أنا يَوْمًا غيبتني منيَّتي فسيري بسيري في العشيرة والأصل
والجب البئر التي ليست بمطوية، وسُميت جبًّا من أنها قُطِعَتْ قَطْعًا،
ولم يحدث فيها غير القطع، من طيٍّ وما أشبهه.

ورَوَوْا أن اسم الذي أشارَ عليهم بِالْأَيُّ قَتَلُوهُ يَهُودًا، وَكَانَ مِنْ
أَشَدِّهِمْ^(١).

﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾.

هذا أكثر القراءة - باليا - وقرأ الحسن تلتقطه بالتاء، وأجاز ذلك جميع
النحويين، وزعموا أن ذلك إنما جاز لأن بعض السَّيَّارَةِ سَيَّارَةٌ، فكأنه قال:
تلتقطه سَيَّارَةٌ بعض السَّيَّارَةِ، وأنشدوا:

وتشرقُ بالقول الذي قد أذعتهُ كما شَرِقَتْ صدرُ القناة من الدم^(٢).
وقوله عز وجل: ﴿مَالِكَ لَا تَأْمَنُنَا عَلَى يُوسُفَ﴾.

قرئت على أربعة أوجه، على إِشْمَامِ الميم الضَّمِّ^(٣) - تأمَّنَّا، وعلى
الإدغام وترك الإشمام، ﴿تَأْمَنَّا﴾، وقرئت ﴿تَأْمَنَّا﴾ بنونين وضمة بينهما، وقرأ يحيى
ابن وَثَّابٍ يَمِنًا. وقراءة يحيى تخالف المصحف، وهي في العَرَبِيَّةِ جَائِزَةٌ
بكسر التاء في كل ما ماضيه على فَعِلَ نحو أَمِنَ - يا هذا - والإدغام لأن
الحرفين من جنسٍ واحدٍ

= جَلَّتْهُ، وهو غير المَنخَلِ اليَشْكُري، وهما غير المَنخَلِ الهذلي والسعدي، انظر المؤلف ٢٧١،
٢٧٢، والبيت في شواهد الكشاف ٩٦، والقرطبي ١٣٢/٩، ومجاز أبي عبيدة ٣٠٢/١.

(١) يهودا الابن الرابع ليعقوب، وإليه يتسب اليهود.

(٢) البيت للأعشى، وشرق بالقول غص به؛ كما يغص الشارب بالماء، وشبهه بالقناة التي يتلوث
صدرها بالدم. ولا يجف لتوالي الضرب. انظر الديوان ٩٤، وشواهد المغني ٢٩٨، واللسان
(شرق). والشاهد فيه تأنيث تشرق وفاعله صدر مؤنث.

(٣) لعله إِشْمَامِ النون.

والإشمام يدل على الضمة المحذوفة، وترك الإشمام جيّد، لأن الميم مفتوحة فلا تُغَيَّر، والإظهار في ﴿تَأْمَنَّا﴾ جيّد، لأن النونين من كلمتين.

وقوله - عز وجل - : ﴿عَدَا يَرْتَع وَيَلْعَبُ﴾.

بالياء، وقرئت نرتع ونلعب [بالنون] وقرئت يَرْتَع وَيَلْعَبُ - بضم الياء - وقرئت نَرْتَع وَيَلْعَبُ. فجزم هذه القراءات. كُلُّهَا على جواب الأمر، المعنى أَرْسِلْهُ إِنْ تَرْسَلُهُ يَرْتَع، وكذلك يَرْتَع، وكذلك يَرْتَع وَيَلْعَبُ - بكسر العين -، وكسر العين من الرَّمْي، المعنى يَرْتَعِي وَيَلْعَبُ، كأنهم قالوا يرمى ماشيته وَيَلْعَبُ، فيجتمع النفع والسُرور^(١)، وَيَرْتَعُ من الرِّتعة، أي يتسع في الخصب، وكل مُخَصَّبٍ فَهُوَ رَاتِعٌ.

وقوله: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ﴾.

وقرئت غيابات الجُبِّ، وقد فسرنا الجُبَّ.

وجاء في التفسير أنها بئر بيت المقدس.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا جائز أن يكون من صلة لَتُنَبِّئَنَّهُمْ وهم لا يشعرون، وجائز أن يكون من صلة «وأوحينا» - المعنى : وأوحينا إليه وهم لا يشعرون - أي أنبأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أوحى إليه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾.

﴿عِشَاءً﴾ منصوب على الظرف.

﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

وَقِيلَ نَتَّضِلُ^(٢)

(١) الكوفيون ونافع يقرأون (يرتع ويلعب بالياء فيهما) والباقيون بالنون.

(٢) نستبق نُبَارِي في الجري، ونتضل نُبَارِي في الرَّمْي.

﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾.

أي بمصدق لنا.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

ليس يريدون أَنْ يَعْقُوبَ - عليه السلام - لَا يُصَدِّقُ مِنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ صَادِقٌ، هذا مُحَالٌ، لَا يُوصَفُ الْأَنْبِيَاءُ بِذَلِكَ، ولكن المعنى: لو كنا عندك من أهل الثِّقَةِ وَالصِّدْقِ لَأَتَهَمْتَنَا فِي يُوسُفَ لِمَحِبَّتِكَ إِيَّاهُ، وظننت أنا قد كَذَبْنَاكَ.

وقوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

يروى أنهم - رحمةُ الله عليهم - لَمَّا طَرَحُوا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجُبِّ أَخَذُوا قَمِيصَهُ وَذَبَحُوا جَذِيًّا فَلَطَخُوا الْقَمِيصَ بِدَمِ الْجَذِي، وقيل سَخْلَةً. والمعنى واحد، فلما رأى يعقوب (عليه السلام) الْقَمِيصَ قَالَ: كَذَبْتُمْ، لو أَكَلَهُ الذِّئْبُ لَخَرَقَ قَمِيصَهُ. وقيل إنه قال إِنْ كَانَ هَذَا الذِّئْبُ لِحَلِيمًا، أَشْفَقَ عَلَى الْقَمِيصِ فَلَمْ يَمْرُقْهُ، وَأَكَلَ ابْنِي فَالِدُكُمْ دَمٌ كَذِبٌ، أَيُّ ذُو كَذِبٍ، والمعنى دم مكذوب فيه.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

أي بل زَيَّنْتَ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ.

﴿فَصَبِّرْ جَمِيلًا﴾.

معناه صبر لا جَزَعَ فِيهِ وَلَا شَكْوَى إِلَى النَّاسِ. وصبر جميل مرفوع على ضَرْبَيْنِ، المعنى فشأنِي صَبْرٌ جَمِيلٌ، والذي أَعْتَقَدَهُ صَبْرٌ جَمِيلٌ، ويجوز أن يكون عَلَى «فَصْبِرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ» وهذا لَفْظٌ قُطِرَبُ: فَصْبِرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ. والأول مذهب الخليل وجميع أصحابه^(١)، ويجوز في غير القرآن فَصْبِرْ جَمِيلًا، وأنشدوا في الرفع:

(١) يقدرون المبتدأ عاما وقطرب يقدره من جنس الخبر

تشكو إلى جملي طول السرى يا جملي ليس إلى المشتكى

صبر جميل فكلانا مبتلى^(١)

وصبراً جميلاً منصوب على مثل «فاصبر صبراً جميلاً».

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾.

الوارد الذي يرد الماء ليسقي للقوم.

﴿فَأَذَلَّى دُلُوهُ﴾.

يقال: أَذَلَّتِ الدَّلْوُ إِذَا أُرْسِلَتْهَا لَتَمْلَأَهَا، وَدَلَّوْنَهَا إِذَا أَخْرَجْتَهَا.

﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾.

بألف وياء مفتوحة، وقرئت يا بُشْرَى، وقد فسرناها في قوله: ﴿فَمَنْ تَبَعَ

هَذَايَ﴾^(٢)، وتفسيرها أن ياء الإضافة تغير ما قبلها ولا يُبَيَّن معها

الإعراب، فإذا كان قبلها ألف فالاختيار ألاّ تغيّر الألف، وبعض العرب يبدل

الألف معها ياء، فيكون بدلها بمنزلة تغيير الحروف قبلها، وقرئت: ﴿يَا بُشْرَى

هَذَا غَلَامٌ﴾، بغير ياء^(٣).

ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه

المخاطبين، وتوكيد القصّة. إذا قلت يا عَجَباً فكأنك قلت: اعجبوا ويا أيها

العجبُ هذا مِنْ حِينِكَ. وكذلك إذا قال يا بُشْرَايَ فكأنه قال: أبشروا، وكأنه

قال يا أيتها البشري هذا مِنْ إِبَّانِكَ وَأَوَانِكَ.

وقوله - عز وجل - : ﴿وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً﴾.

لَمَّا وَجَدُوهُ أَحْبَبُوا أَنْ لَا يُعْلَمَ بَأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنْ يُوهَّمُوا أَنَّهُ بِضَاعُهُ دَفَعَهَا

(١) لا يعرف قائله، والشعر في اللسان (شكا) والقرطبي ١٥٣/٩، والشطر الأول والثالث في كتاب

سيبويه ٣٢١/١، ومعاني الفراء ٢٥٤/٢، ١٥٦. وفي شواهد الكشاف: شكا إلى جملي.

(٢) سورة البقرة ٣٨، وانظر في الجزء الأول.

(٣) هكذا - ويبدو أن صحته بغير ألف.

إليهم أهل الماء، وبضاعة منصوب على الحال، كأنه قال: وأُسْرُوهُ جَاعِلِيهِ
بضاعةً.

وقوله: ﴿وَشَرُّهُ بَثْمٌ بَخْسٍ دَرَاهِمٌ مَعْدُودَةٌ﴾.

قيل بخسٍ: ظلم، لأن الإنسان الموجود^(١) لا يحل بيعه، وقيل: بخسٍ
نقصان، وأكثر التفسير على أن بخساً ظلاً.

وجاء في التفسير أنه بيع بعشرين درهماً، وقيل باثنين وعشرين درهماً
أخذ كل واحد من إخوته درهمين، وقيل بأربعين درهماً، ورُوي كُلُّ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.

«فيه» ليست بصلة الزاهدين، المعنى: وكانوا من الزاهدين ثم بَيَّنَّ في
أي شيء زهدوا. فكانه قال: زهدوا فيه^(٢)، وهذا في الظروف جائز، فأما
المفعولات فلا يجوز فيها، لا يجوز كنت زيداً من الضاربين، لأن زيداً من
صلة الضاربين فلا يتقدم الموصول صلته.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾.

مصر مفتوحة في موضع الجر إلا أنها لا تَنْصَرِفُ، لأنها اسم والمدينة
بعينها^(٣)، وهي معرفة.

﴿لَا مَرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

﴿مَثْوَاهُ﴾: مَقَامُهُ. المعنى أحسني إليه في طول مَقَامِهِ عِنْدَنَا.

ويروى أن أَفْرَسَ الناس ثلاثة، وأن أجودهم فراسة العزيز في فراسته في

(١) الملتقط أو الضال عن أهل.

(٢) أل في الزاهدين موصولة، والزاهدين صلة، ولا يجوز أن يتقدم معمول الصلة على الاسم
الموصول، لكن الظرف والجار يجوز تقديمها والتضارب في كلامه واضح.

(٣) ولكنه مثل ساكن الوسط فيجوز فيه الأمران.

يوسف، وابنة شعيب في فراستها في موسى حين قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١) وأبو بكر في توليته عمر الخلافة بعده.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي ومثل الذي وصفنا مَكَّنَّا ليوسف في الأرض.
﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾.

جائزان يكون تأويل الرؤيا، وأن يكون تأويل أحاديث الأنبياء.
﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

الأشد من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، آتيناه حُكْمًا وَعِلْمًا، أي جعلناه حَكِيمًا عَالِمًا، وليس كل عالم حَكِيمًا. الحكيم العالم المستعمل علمه، الممتنع من استعمال ما يُجْهَل فيه^(٢)،

وأصل أَحْكَمْتُ فِي اللُّغَةِ مَنَعْتُ، ومن هذا حَكَمَةُ الدَّابَّةِ، لأن الفارس يمنع بها الدابة من إرادتها.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي ومثل ما وصفنا من تعليم يُوسُفَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.
﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

المعنى أنها راودته عما أرادته مما يريد النساء من الرجال، فعَلِمَ بِتَرْكِهِ ذَكَرَ الْفَاحِشَةِ نفسها ما راودته عليه^(٣).

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

المعنى هَلُمَّ لَكَ، أي أَقْبِلْ إِلَى مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ.

(١) سورة القصص الآية ٢٦.

(٢) ما ينسب بسببه إلى الجهل.

(٣) مفعول راودته محذوف، ولكن المقام يفيد أنها راودته على ارتكاب الفاحشة.

وفي «هَيْتَ لَكَ» لَغَاتٌ: يَجُوزُ هَيْتُ لَكَ، وَهَيْتِ. وَأَجُودَهَا وَأَكْثَرُهَا
مَيْتٌ - بَفَتْحِ التَّاءِ - وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: هَيْتِ لَكَ فَمَا الْفَتْحُ
مَعَ فَتْحِ التَّاءِ وَالْهَاءِ، فَهُوَ أَكْثَرُ كَلَامِ الْعَرَبِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (١).

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَخَا الْعِرَاقِ - إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا
أَيُّ فَاقْبَلِ وَتَعَالَ.

وَحَكِي قَطْرَبُ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ لَطَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ:

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ
هُمْ يُجِيبُونَ ذَا هَلُمَّ سَرَاعاً كَالْأَبَابِيلِ لَا يُغَادِرُ بَيْتُ (٢)
رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هَيْتُ لَكَ مَهْمُوزَةٌ مَكْسُورَةُ الْهَاءِ، مِنَ الْهَيْئَةِ
كَأَنَّهَا قَالَتْ تَهَيَّأْتُ لَكَ، فَمَا الْفَتْحُ فِي «هَيْتُ» فَلَانْهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَصْوَاتِ، لَيْسَ
مِنْهَا فِعْلٌ يَتَصَرَّفُ فَفُتِحَتْ التَّاءُ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْيَاءِ، وَاخْتَبِرَ الْفَتْحُ لِأَنَّهُ قَبْلُ
التَّائِيَاءِ كَمَا قَالُوا: كَيْفَ وَأَيْنَ، وَمَنْ قَالَ هَيْتُ لَكَ - بِكَسْرِ التَّاءِ، فَلَأَنَّ أَصْلَ
التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ حَرَكَةَ الْكَسْرِ، وَمَنْ قَالَ: هَيْتُ ضَمُّهَا لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْغَايَاتِ،
كَأَنَّهَا قَالَتْ: دُعَائِي لَكَ، وَلَمَّا حُذِفَتِ الْإِضَافَةُ وَتَضَمَّنَتْ مَعْنَاهَا بُنِيَتْ عَلَى
الضَّمِّ كَمَا بُنِيَتْ حَيْثُ وَمُنْذُ يَا هَذَا. وَقِرَاءَةُ عَلِيٍّ «هَيْتُ لَكَ» بِمَنْزِلَةِ هَيْتَ
وَالْحِجَّةُ فِيهَا كَالْحِجَّةِ فِيهَا مَفْتُوحَةٌ (٣).

(١) مَا وَجَّهَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ اسْتِحْثَانًا لَهُ أَنْ يَسْرَعَ نَحْوَ الْعِرَاقِ - وَلَمْ يَعْينِ قَائِلُهُ وَعَنْقُ إِلَيْكَ
مَائِلُونَ إِلَيْكَ وَمُنْتَظَرُونَ. وَيُمْكِنُ أَنْ تَفْتَحَ فِي أَنَّ الْعِرَاقَ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ أَبْلَغُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكْسِرَ عَلَى أَنَّهَا
جُمْلَةٌ مُسْتَقْلِلَةٌ هِيَ الَّتِي تَنْقَلُ إِلَى عَلِيٍّ - وَالْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ «هَيْتُ»، وَالْقُرْطُبِيُّ ١٦٤/٩، وَجَازُ أَبِي
عَبِيدَةَ ٣٠٥/٢، وَابْنُ يَعِيشَ ٣٢/٤، وَالْبَيْتُ الثَّانِي فِي مَعَانِي الْفَرَاءِ ٤٠/٢ وَرَوَايَتُهُ فِيهِ وَفِي
اللِّسَانِ - سَلِمَ إِلَيْكَ.

(٢) أَنْشَدَ ثَعْلَبُ هَذَا الْبَيْتَ الْآخِرَ لِلِسَمُوعَالِ بْنِ عَادِيَا، وَجَاءَ قَبْلَهُ:

رَبِّ شَتَمَ سَمِعْتَهُ وَتَصَامَمْتُ وَغِيٍّ تَرَكْتَهُ فَكَفَيْتُ

(٣) الْحَرَكَةُ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَالْكَسْرُ أَصْلُ فِي التَّخْلِصِ وَالْفَتْحُ لَتَكُونَ عَلَى وَزْنِ
كَيْفَ.

ثم قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

مصدر، المعنى أعوذ بالله أن أفعل هذا، تقول: عذت عياداً ومعاذاً.

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾.

أي إن العزيز صاحبي ﴿أَحْسَنَ مَنَوايَ﴾، أي تولاّني في طول مَقامي
﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

أكثر المفسرين أنه همّ بها حتى رأى صورة يعقوب عليه السلام، وهو
يقول له: يا يوسف أتهم بفعل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء، وقيل
أنه رأى في البيت مكتوباً: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١).
وهذا مذهب أهل التفسير، ولسنا نشك أنه قد رأى برهاناً قطعه عما همّ به.

وقال قوم: المعنى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾،
وذهبوا إلى أن المعنى لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهُمْ بِهَا^(٢).

والذي عليه المفسرون أنه همّ بها وأنه جلسَ منها مجلس الرجل من
المرأة إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ بِأَنْ أَرَاهُ الْبُرْهَانَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: ﴿وَمَا أَبْرَى نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٣)، والمعنى لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لِأَمْضَى مَا هَمَّ بِهِ.

وليس في الكلام بكثير^(٤) أن تقول: ضربتك لولا زيد، ولا هممت بك
لولا زيد، إنما الكلام لولا زيد لَهُمَّتْ بك. و«لولا» تجاب باللام، فلو

(١) من سورة الإسراء الآية ٣٢.

(٢) ولا يستقيم على مذهب البصريين لما فيه من تقدم جواب «لولا».

(٣) هذا بعيد جداً، وإلا لما استبق إلى الباب، وهي تجري خلفه، وكلمة وما أبرء نفسي أقرب أن
تكون من كلامها هي، وذكر صاحب المنار بأدلة واضحة، أن كلا منهما هم بعمله، همت هي به
تجذبه إليها وهم هو بها يضربها ويدفعها، فليرجع إلى شرحه من يشاء.

(٤) يريد ليس هذا الاستعمال شائعاً.

كان: ولقد هَمَّتْ به وَلَهُمْ بها لولا أن رأى أي برهان رَبِّه لكان يجوز على بعد^(١).

وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾.
أي كذلك أَرَيْنَاهُ الْبَرْهَانَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، فالسُّوءُ - خيانة صاحبه، والفحشاء ركوب الفاحشة.
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

أي الذين أخلصوا، أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَسْوَءِ وَالْفَوَاحِشِ، مثل الْمُصْطَفَيْنِ. وَقُرِئَتْ مِنَ الْمُخْلَصِينَ بكسر اللام، أي الذين أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ عز وجل.

وقوله: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.
أي استبقا إلى الباب، يعني به يوسف وامرأة العزيز.
﴿وَقَدْ ذُكِّرَ قَمِيصُهُ مِنْ دُورٍ﴾.
والقَدْ القطع، أي خَرَقَتْهُ خَرْقًا انْقَدَّ مِنْهُ.
﴿وَأَلْفَيْ سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾.
أي صادفا سيدها لدى الباب فحصرها في ذلك الوقت كَيْدٌ لَمَّا فَاجَأَتْ سَيِّدَهَا.

﴿قَالَتْ مَا جِزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾.
أي ما جزاؤه إِلَّا السَّجْنُ.
﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
أي عذاب مُوجِع. قال يوسف:
﴿هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾.

(١) كان يجوز لوجود اللام، وبعده لما سبق من أن جواب الشرط لا يتقدم عليه.

أي هي التي أرادت السوء.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

قيل إنه رجل حكيم، وقيل إنه طفل

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ

قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أي إن كان هو المقبل عليها وهي الدافعة له عن نفسها فيجب أن تكون خرقت قميصه من قُبُلٍ، وإن كان هو المتباعد منها، وهي التابعة له في استباقهما فيجب أن يكون قَدْ القميص من دُبُرٍ.

والقراءة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ، ومن قُبُلٍ ومن دُبُرٍ. ويجوز من قُبُلٍ بغير تنوين، ومن دُبُرٍ، على الغاية، أي مِنْ قُبُلِهِ. أما الفتح فبعيد في قوله: من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ. لأن الذي يفتح يجعله مبنياً على الفتح فيشبهه بما لا ينصرف فيجعله ممتنعاً من الصرف لأنه معرفة ومُزَالٌ عن بابه، وهذا الوجه يميزه البصريون^(١).

فأما قُبُلٌ وقُبُلٌ فالتسكين في الباء جائز، وقد روي عن ابن أبي إسحاق^(٢) الفتح والضم جميعاً، والفتح أكثر في الرواية عنه^(٣)، ولا أعلم أحداً من البصريين ذكر الفتح غيره.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾.

أي إن قولك: ﴿ما جزاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾... من كَيْدِكُنَّ.

(١) حيث أجرينا الكلمة مجرى الغايات فلا مانع من بنائها على الفتح، بناءً لا إعراباً ومنعاً من الصرف.

(٢) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

(٣) من قُبُلٍ.

فأما دخول «كَانَ» مع «إِنْ» الجزاء، وَكَوْنُ الْفِعْلِ بَعْدَهَا لِمَا مَضَى فِيهِ
قولان: (١)

قال محمد بن يزيد: «كَانَ» لِقَوَّتِهَا وَأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنِ الْأَفْعَالِ لَمْ تَغْيِرْهَا إِنْ
الجزاء الْخَفِيفَةُ. والقول الثاني أَنَّ «كَانَ» عِبَارَةٌ عَنِ الْأَفْعَالِ - وَأَنَّ كَانَ فِي مَعْنَى
الاستقبال ههنا - عَبَّرْتُ عَنْ فِعْلٍ مَاضٍ، الْمَعْنَى إِنْ يَكُنْ قَمِيصُهُ قَدْ، أَيْ إِنْ
يُعْلَمُ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَالْعِلْمُ مَا وَقَعَ بَعْدَ، فَكَذَلِكَ الْكَوْنُ لَا يَكُونُ لِأَنَّهُ مُؤَدٍّ
عَنِ الْعِلْمِ.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

معناه يا يوسف اكنم هذا الأمر ولا تذكره.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾.

ويروى أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الْغَيْرَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ﴾.

«بَدَأَ» فِعْلٌ اسْتَغْنَى عَنْ فَاعِلٍ. الْعَرَبُ تَقُولُ: قَدْ بَدَأَ لِي بَدَاءُ أَيْ تَغْيِيرُ
رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ تَقُولُ: قَدْ بَدَأَ لِي، وَلَمْ يَذْكُرْ بَدَاءً، لِكَثْرَتِهِ
لَأَنَّهُ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى تَغْيِيرِ رَأْيِهِ، فَتَرِكَ الْفَاعِلَ وَهُوَ مُرَادٌ، ثُمَّ بَيْنَ مَا الْبَدَاءُ
فَقَالَ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَجُنَّهُ، وَالرَّأْيُ الَّذِي كَادَ لَهُمْ قَبْلَ:
قِيلَ إِنْ الْعَزِيزُ أَمَرَهُ بِالْإِعْرَاضِ فَقَطْ ثُمَّ تَغْيِيرِ رَأْيِهِ عَنْ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾.

يَقَالُ نِسْوَةٌ وَنُسْوَةٌ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ -

وقيل: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

(١) يريد أن جملة «إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ» وقعت فيها كان الماضية بعد إِنْ الشرطية، وإن تجعل الماضي
بعدها في معنى الاستقبال تقول: إِنْ اشْتَرَيْتُ ثَوْبًا فَاشْتَرِ الْجَدِيدَ، فَجَعَلَهَا هُنَا لِلْمَاضِي غَيْرِ قَرِيبٍ،
لَأَنَّ غَرَضَ الشَّاهِدِ انْظُرُوا إِنْ كَانَ قَدْ مِنْ قَبْلِ أَوْ مِنْ دُبُرٍ. وَلَكِنْ الْفِعْلُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ تَحْتَمِلُ
الاستقبال والمضي.

أي عَبْدَهَا وَغَلَامَهَا، لَأَن اسْتَعْمَلَهُمْ كَانَ لِلْغَلَامِ الْمَمْلُوكِ أَنْ يُسَمَّى
فَتَى .

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ .

أي بلغ حُبُّه إِلَى شِغَافِ قَلْبِهَا، وَفِي الشِّغَافِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: قَالَ بَعْضُهُم
الشِّغَافُ غِلَافُ الْقَلْبِ، وَقِيلَ: هُوَ دَاءٌ يَكُونُ فِي الْجَوْفِ فِي الشَّرَاسِيفِ^(١)،
وَأَنشَدُوا: (٢)

وَقَدْ حَالُ هُمْ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دَخُولَ الشِّغَافِ تَبَتُّغِيهِ الْأَصَابِعُ
وَقَدْ قُرِئَتْ شَغَفَهَا بِالْعَيْنِ، وَمَعْنَى شَغَفَهَا ذَهَبَ بِهَا كُلُّ مَذْهَبٍ مُشْتَقٍّ مِنْ
شَغَفَاتِ الْجِبَالِ، أَيْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَلِذَا قُلْتَ فَلَانٌ مُشْعُوفٌ بِكَذَا، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ
قَدْ ذَهَبَ بِهِ الْحُبُّ أَقْصَى الْمَذَاهِبِ .

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ .

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ سَمِعِي قَوْلَهُنَّ مَكْرًا فَالْجَوَابُ فِيهِ أَنَّهَا قَدْ أَطْلَعَتْهُنَّ،
فَاسْتَكْتَمَتْهُنَّ فَمَكْرَنَ بِهَا وَأَفْشَيْنَ سِرَّهَا، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَا فَعَلْنَ أَرَادَتْ أَنْ يُوقِعْنَ
فِيهَا وَقَعْتَ فِيهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ .

﴿[أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ] وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾ .

﴿أَعْتَدَتْ﴾ أَفْعَلْتُ مِنَ الْعَتَادِ، وَكُلُّ مَا اتَّخَذْتَهُ عُدَّةً لِلشَّيْءِ فَهُوَ عَتَادٌ وَمَعْنَى
﴿مُتَّكًا﴾ مَا يُتَّكَأُ عَلَيْهِ لَطْعَامٌ أَوْ شَرَابٌ أَوْ حَدِيثٌ .

(١) الشَّرَاسِيفُ جَمْعُ شُرُوفٍ كَمَعْصُورٍ غُضْرُوفٍ مَعْلُقٍ بِكُلِّ ضِلْعٍ أَوْ الْبَطْنِ الْمَشْرِفِ عَلَى الْبَطْنِ .

(٢) لِلنَّبَاغَةِ مِنْ قَصِيدَتِهِ:

عَفَا ذُو حَسَا مِنْ فَرْتَنِي فَالْفَوَارِعُ

وَهُوَ فِي اللِّسَانِ شَغَفٌ: «هَمْ دُونَ ذَلِكَ وَالْجِ» وَالشِّغَافُ دَاءٌ مِنَ الْقَلْبِ يَأْخُذُ تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ مِنْ

الشَّقِّ الْأَيْمَنِ . يَخْرُجُهُ الْأَطْبَاءُ بِأَصَابِعِهِمْ .

وَالْقَصِيدَةُ فِي الدِّيْوَانِ وَمِنْ مَشْهُورِ الشُّعْرِ .

«وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا. وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ».

يعالجن بالسكين ما يأكلن، وقال بعضهم مُتَّكَأً، وقالوا واحده مُتَّكَةٌ وهي الأُتْرُجُ^(١). والقراءة الجيدة مُتَّكَأً بالهمز، يقال بَكَىءَ الرَّجُلُ يَتَّكَأُ، تَكَّأً، والتَّكُّأُ أصله من وَكَأَتْ، وإنما متكأ مفتعل، وأصله موتكأ مثل مُوتَزَن من الوزن.

«وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ».

إن شئت ضمنت التاء، وإن شئت كسرت، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء فلثقل الضمة بعد الكسرة^(٢). وأعتدت لهن الطعام وجعلت في أيديهن السكاكين، وأمرته بالخروج عليهن في هيئته، ولم يكن يتهيأ له أن لا يخرج^(٣)؛ لأنه بمنزلة العبد لها.

«فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ».

أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فَدَهِشْنَ لَمَّا رَأَيْنَهُ فَخَدَشْنَ أَيْدِيَهُنَّ. ولم يقطعن الأيدي حتى تَبَيَّنَ مِنْهُنَّ. وهذا مُسْتَعْمَل في الكلام، يقول الرجل: قد قطعتُ يَدَيَّ. يعني أنك قد خدشتها.

ومعنى «أَكْبَرْنَهُ» أعظمته. ويقال: أكبرنه: حُضِّنَ. وقد رُوِيَ عن مجاهد. وليس ذلك بمعروف في اللغة، وقد أنشدوا بيتاً في هذا وهو قوله:

يَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا يَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ^(٤) إِكْبَاراً

(١) الأُتْرُجُ والتُّرْنَجَةُ والتُّرْنُجُ ثمرة ونبات معروف - كالبرتقالة - حامضة تسكن غُلْمَةَ النساء.

(٢) ص: هزلة في إخراج بعد كسر التاء - وتقدمت في «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا، ضم تاء «الملائكة» لأن هزلة الوصل في اسجد ومثلها إخرج - تضم مراعاة لضم عين الفعل - وضم التاء هنا أيضاً قد يكون لإلقاء حركة هزلة الوصل عليها.

(٣) لا يستطيع مخالفتها - لم يكن يمكن أن يمتنع عن الخروج.

(٤) في النسائ (كبر) ناتي النساء - بالنون - وروى أن هذا التفسير مروي عن مجاهد وعن ابن عباس، .

وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة. والهاء في «أكبرنه» تنفي هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقول: النساء قد حِضْنَهُ يا هذا؛ لأن حِضْنَ لا يتعدى إلى مفعول^(١).

﴿وَقُلْنَ: حَاشَ لِلَّهِ﴾.

وحاشى لله، يقرأن- بحذف الألف وإبائها- ومعناه الاستثناء.

المعنى فيما فسره أهل التفسير: وَقُلْنَ: معاذ الله ما هذا بشراً، وأما على مذهب المحققين من أهل اللغة، فحاشا مشتقة من قولك: كُنْتُ فِي حِشَا فُلَانٍ، أي في ناحية فلانٍ، فالمعنى في «حَاشَ لِلَّهِ» بَرَأَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا. مِنَ التَّنْحِي، المعنى قد نَحَى اللَّهُ هَذَا مِنْ هَذَا، إِذَا قُلْتَ حَاشَا لَزَيْدٍ مِنْ هَذَا فَمَعْنَاهُ قَدْ تَنَحَّى زَيْدٌ مِنْ هَذَا، وَتَبَاعَدَ مِنْهُ، كَمَا أَنَّكَ تَقُولُ قَدْ تَنَحَّى مِنَ النَّاحِيَةِ، وَكَذَلِكَ قَدْ تَحَاشَى، مِنْ هَذَا الْفِعْلِ.

وقوله عز وجل: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾.

هذه القراءة المعروفة، وقد رُوِيَتْ: مَا هَذَا بِشَرِيٍّ، أي ما هذا بعد مُشْتَرِيٍّ. وهذه القراءة ليست بشيء، لأن مثل «بِشَرِيٍّ»^(٢) يكتب في المصحف بالياء، وقولها: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ «مَلَكٌ» مطابق في اللفظ لِبَشَرٍ.

وسيبويه، والخليل وجميع النحويين القدماء يزعمون أَنَّ بَشَرًا منصوبٌ

والتمس أبو منصور لها وجهاً قال أنه مخرج حسن وذلك أن الفتاة أول ما تحيض تكون قد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فيقال إنها أكبرت، وسأل أبو الهيثم رجلاً من طيء عن بين خطيبة له، فقال إنها أكبرت أو كبرت - ولغة طيء تصحح أن إكبار المرأة أول حيضها. اهـ ملخصاً.

(١) وقال أبو منصور: إنها تكون هاء سكت إن صحت هذه الرواية عن ابن عباس. ولكن هذا ضعيف، لأن هاء السكت تكون ساكنة.

(٢) ليس من الارقاء الذين يشترون ويبيعون.

خبرَ ما، ويجعلونه^(١) بمنزلة ليس و «ما» معناها معنى ليس في النفي، وهذه لغة أهل الحجاز، وهي اللغة القُدَمَى الجَيِّدَةُ. وزعم بعضهم أن الرُّفْعَ في قولك: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أقوى الوجهين، وهذا غلط، لأن كتاب الله ولغة رسول الله أقوى الأشياء وأقوى اللغات. ولغة بني تميم: ما هذا بشرٌ. ولا تجوز القراءة بها إلا برواية صحيحة. والدليل على ذلك إجماعهم على: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾^(٢) وما قرأ أحد ما هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ.

وقوله: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

القراءة الجيدة تخفيف لِيَكُونَا. والوقوف عليها بالألف، لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: إضرباً زيداً، فإذا وقفت قلت: اضرباً، كما أبدلت في: رأيتُ زيداً الألف من التَّوْنين، وقد قرئت: ولتكوننَّ - بتشديد التَّوْن، وأكرهها لخلاف المصحف، لأنَّ الشديدة لا يُبدَلُ منها شيء.

﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

مِنَ الْمَذَلِّينَ.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

والسِّجْنُ جميعاً - بكسر السين وفتحها - فمن فتح فعلى المصدر، المعنى أن أسجنَ أحبُّ إليَّ، ومن كسر فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزولُ السجنِ أحبُّ إليَّ ممَّا يدْعُونَنِي إِلَيْهِ، أي من ركوب المعصية .

﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾.

أي إلا تعصمني أصبُ إليهنَّ، أي أملُ إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صُبُوءًا، وصَبِيًّا، وَصَبًّا، إذا مالَ إِلَيْهِ.

(١) يجعلون «ما».

(٢) سورة المجادلة الآية ٢ . بنصب أمهات .

وقال: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾^(١). وجائز أن يكون يعني امرأة العزيز وحدها، إلا أنه أراد كيدها وكيد جميع النساء، وجائز أن يكون كيدها وكيد النسوة اللاتي رأين يوسف حين أرتهن إياه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾.

ولم يقل فحبس لأن في قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ﴾ دليلاً أنه حبس. و«فتيان» جائز أن يكونا حدثين أو شيخين، لأنهم كانوا يُسمون المملوك فتى. ﴿وَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾.

ولم يقل إني أراني في النوم أعصر خمرًا، لأن الحال تدل على أنه ليس يرى نفسه في اليقظة يعصر خمرًا، وقال أهل اللغة: الخمر في لغة عَمَان اسم للعنب، فكانه قال: أراني أعصر عنبًا، ويجوز أن يكون عنى الخمر بعينها، لأنه يقال للذي يصنع من التمر الدبس^(٢) هذا يعمل دبسًا، وإنما يعمل التمر حتى يصير دبسًا، وكذلك كل شيء نُقِلَ مِنْ شَيْءٍ، وكذلك قوله أعصر خمرًا، أي أعصر عنب الخمر أي العنب الذي يكون عصيره خمرًا.

﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾.

أي تأويل ما رأينا.

وقولهما ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ يدل على أنهما رأيا ذلك في النوم، لأنه لا تأويل لرؤية اليقظة غير ما يراه الإنسان.

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) أي استعمل ضمير الجمع والمتحدث عنها واحدة.

(٢) عسل البلح.

جاء في التفسير أنه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف، ويعود العليل، وقيل من المحسنين، أي ممن يُحسِنُ التأويل. وهذا دليل أن أمر الرؤيا صحيح، وأنها لم تنزل في الأمم الخالية، ومن دفع أمر الرؤيا وأنه منها ما يصح^(١) فليس بمسلم لأنه يدفع القرآن والأثر عن رسول الله ﷺ لأنه روي عن رسول الله أن الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة.

وتأويله أن الأنبياء يُخبرون بما سيُكون. والرؤيا الصادقة تدل على ما سيكون.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾.

وليس هذا جواب ما سألا عنه، إنما سألا أن يخبرهما بتأويل ما رآياه فأحب يوسف عليه السلام أن يدعوهما إلى الإيمان وأن يعلمهما أنه نبي، وأن يدلهما على نبوته بآية معجزة، فأعلمهما أنه يخبرهما بكل طَعَامٍ يَؤْتِيَانِ به قبل أن يرياه، ثم أعلمهما أن كل ذلك مما عرفه الله إياه فقال:

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

أي لست أخبركما على جهة التكهّن، والتنجّم، إنما أخبركما بوحى من الله وعلم، ثم أعلمهما أن هذا لا يكون إلا لمؤمنٍ نبيٍّ فقال:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا [وعلى الناس]﴾.

أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله لنا وبفضله علينا ﴿وعلى الناس﴾ بأن دلهم على دينه المؤدي إلى صلاحهم.

(١) أن رؤيا المؤمنة ما هي صحيح.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

ثم قال لهما:

﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ﴾.

فَدَعَاهُم إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ عَلِمَهُمَا أَنَّهُ يَخْبِرُهُمَا بِالْغَيْبِ، ثُمَّ قَالَ

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾.

أَي أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ آلِهَةً. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا بَعْدَ أَنْ دَعَاهُم إِلَى الْإِيمَانِ. فَأَمَّا تَكَرُّيرُ قَوْلِهِ هُمْ فَعَلَى جِهَةِ التَّوَكُّيدِ^(١).

وقوله: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾.

فَكَانَ هَذَا صَاحِبَ شَرَابِ الْمَلِكِ، فَأَعْلَمَهُ أَنْ تَأْوِيلَ مَا رَأَى [هُوَ] هَذَا. وَيَجُوزُ فَيُسْقِي، وَالْأَجُودُ فَيَسْقِي، تَقُولُ سَقَيْتَهُ بِمَنْزِلَةِ نَاولَتِهِ فَشَرِبَ. وَأَسْقَيْتَهُ جَعَلْتُ لَهُ سَقِيًّا، تَقُولُ أَسْقَيْتَهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَيِ جَعَلْتُ لَهُ سَقِيًّا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

لَمَّا تَأَوَّلَ لهُمَا الرُّؤْيَا قَالَ الَّذِي أَنْبَأَهُ بِأَنَّهُ يُصَلَّبُ [إِنَّهُ] لَمْ يَرَ شَيْئًا فَأَعْلَمَهُ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَرَ، كَمَا أَعْلَمَهُمَا بِخَبَرِ مَا يَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

أَيِ عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِكَ.

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

(١) تَكَرُّيرُ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

١
أَنسَى يُوسُفَ الشَّيْطَانُ أَن يَذْكُرَ اللَّهَ^(١).

﴿فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾.

اختلفوا في البُضْع فَقَالَ بعضهم: البضع ما بين الثلاث إلى الخمس، وقال قطرب إلى السبع، وقال الأصمعي وهو القول الصحيح: البُضْع ما بين الثلاث إلى التسع، واشتقاق البُضْع والبُضْعَةِ مِنْ قَطَعَتِ الشَّيْءَ فَمَعْنَاهُ الْقِطْعَةُ مِنَ الْعَدَدِ، فَجُعِلَ لِمَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَبْعَ عَجَافٍ﴾.

العجاف التي قد بلغت في الهُزَالِ الغَايَةَ وَالنَّهَايَةَ.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾.

الملأ الذين يرجع اليهم في الأمور، ويقتدي بآرائهم^(٢).

﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

هذه اللام أدخلت على المفعول لِتُبَيِّنَ الْمَعْنَى إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُرُونَ، وعابرين ثم بين باللام فقال للرؤيا.

ومعنى عَبَّرْتُ الرُّؤْيَا وَعَبَّرْتُهَا خَبِرْتُ بِآخِرِ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا. واشتقاقه من عَبَّرَ النَّهْرَ، وهو شَاطِئُ النَّهْرِ، فتأويل عبرت النَّهْرَ، أي بلغتُ إِلَى عَبْرِهِ، أي شاطئه، وهو آخر عَرَضِهِ.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

والضغث في اللغة الحُزْمَةُ وَالْبَاقَةُ مِنَ الشَّيْءِ، كالبقول وما أشبهه، فقالوا له: رُؤْيَاكَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، أي حُزَمٌ أَخْلَاطٍ لَيْسَتْ بِرُؤْيَا بَيْنَةٍ.

(١) هذا رأي لبعض المفسرين، والاقرب أن الشيطان أنسى الرجل الناجي أن يذكر يوسف عند الملك، ويقوي هذا ما يأتي من قوله «وَأَذْكُرُ بَعْدَ أَمَةٍ».

(٢) سبق تفسير الملأ في الجزء الأول ٣٢٥ - ٢٦.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾
 أي ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل.
 ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾

أي بعد حين، وقرأ ابن عباس: وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ، والأمةُ النسيانُ، يقال أَمَةٌ يَأْمُهُ أَمَهَا. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: أُمَّةٌ بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدر أنه يَأْمُهُ أَمَةٌ لا غير^(١).
 وقرأ الحسن: أنا آتيكم بتأويله، وأكرهها، لخلاف المصحف^(٢).

وادَّكَرَ أصله وادَّتَكَرَ، ولكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الدال في الدال. ويجوز وادَّكَرَ بالدال، والأجود الدال.
 وقوله - عز وجل - ﴿يُؤَسِّفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾

أراد يا يوسف، والنَّدَاءُ يجوز في المعرفة حذف يا منه، فتقول: يا زيد أقبل، وزيدُ أقبل، قال الشاعر^(٣):

محمد تفد نفسك كل نفسٍ إذا ما خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالَا
 أَرَادَ يَا مُحَمَّدُ

والصِّدِّيقُ المبالغ في الصَّدَقَةِ، والتَّصَدِيقُ.

وقوله: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون

(١) مثل فرح يفرح.

(٢) لأن الذي في المصحف ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ﴾.

(٣) ينسب لأبي طالب عم رسول الله (ص) وللأعشى، ويستشهد به النحويون على حذف الياء لأن الفعل مجزوم بلام أمر محذوفة. أي لتفد، والتبال الوبال. قيل مرادف وقيل كلمة واحدة قلبت الواو تاء فيها. والبيت في شواهد الكشف. وشواهد المغني ٢٠٤. وسيرة ابن هشام.

مكانك فيكون ذلك سبب خلاصك من الحبس .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ .

أي تَذَابُونُ دَأْبًا، وذلك على تَذَابُونُ ﴿تَزْرَعُونَ﴾ . والدأْبُ الملازمة للشيء والعادة^(١) .

وقوله : ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ .

وقرئت : وفيه يُعْصِرُونَ ، فمن قال وفيه يَعْصِرُونَ بالياء أي يأتي العام بعد أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً الذي فيه ، يُغَاثُ النَّاسُ فَيَعْصِرُونَ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْعِنْبُ ، ومن قرأ يُعْصِرُونَ أَرَادَ يُمَطِّرُونَ ، من قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾^(٢) ، وَمَنْ قرأ : وَفِيهِ تَعْصِرُونَ^(٣) ، فإن شاء كان على تأويل يَعْصِرُونَ ، وإن شاء كان على تأويل وفيه تَنْجُونَ من البلاء ، وتعتصمون بالخصب . قال عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ^(٤) :

لو بغير الماء حلقي شَرِقَ كنت كالغصانِ بالماء اعتصاري
ويقال : فلان في عَصَرٍ وفي عُصْرَةٍ ، إذا كان في حِصْنٍ لَا يُقَدَّرُ عليه .

وقوله سبحانه : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ااثْنُونِي بِهِ﴾ .

لما أَعْلِمَ بمكانه من العلم بالتأويل طَلَبَهُ
﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاَسْأَلْهُ﴾^(٥) .
أي إلى صاحبك ، ورب الشيء صاحبه

(١) كلمة دأْب . تدل على موالاتهم الزرع فهم يدأبون في عمله .

(٢) سورة عمّ آية ١٤ .

(٣) الذي قرأ بالياء حمزة والكسائي فقط ، ومن عداهما قرأوا بالياء .

(٤) تقدمت ترجمة عدي بن زيد وكان اتصل بالنعمان بن المنذر ، وسجن طويلاً لديه ثم قتل ، وفي هذه القصيدة يستعطف النعمان ، وجزء من القصيدة وأخبار عَدِيِّ بِالْأَغَانِي حـ ١١٤/٢ ، والبيت مما يتمثل به ، وانظر شواهد المغني ٢٢٦ .

(٥) في الأصل فَسَلُّهُ .

﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسوةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

ويجوز اللأني قَطَّعْنَ، أي اسأله أن يستعمل صحة بَرَاءَتِي مما قُرِفْتُ به.

وَيُرَوَّى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لو كنت في مكان يوسف ثم جاءني الرسول لبادرت إليه، أنه ﷺ استحسَنَ حَزْمَ يوسُفَ وصَبَّرَهُ حين دعاه الملك فلم يبادِرْ إليه حتى يَعْلَمَ أنه قد استقرَّ عند الملك صحة بَرَاءَتِهِ.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنْ إِذْ رَاودْتَنِّي يُوْسُفَ﴾.

لم يفرد يوسف عليه السلام امرأة العزيز بالذكر، حُسْنُ عِشْرَةٍ مِنْهُ وَأَدَبٌ. فخلطها بالنسوة.

وقوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

قُرِئَتْ «حَاشَ لِلَّهِ» و «حَاشَى لِلَّهِ» وقرأ الحسنُ: حَاشَ لِلَّهِ بِتَسْكِينِ السِّينِ. ولا اختلاف بين النحويين أَنَّ الإسْكَانَ غَيْرُ جَائِزٍ، لِأَنَّ الْجَمْعَ بين ساكنين لا يجوز ولا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ.

﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

فَاعْلَمْ النُّسوةُ الملك ببراءة يُوْسُفَ، وقالت امرأة العزيز:

﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.

أي بَرَزَ وَتَبَيَّنَ، واشتقاقه في اللغة من الحِصَّةِ، أي بانَتْ حِصَّةُ الْحَقِّ وَجْهَتُهُ مِنْ جِهَةِ الْبَاطِلِ.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

هذا قول يُوْسُفَ عليه السلام، المعنى إني أردت التبيين للملكِ أَمَرَ أَمْرَاتِهِ والنسوة، ليعلم أنني لم أخنه بالغيب. و «ذلك» مرفوع بالابتداء، وإن شئت على خبر الابتداء، كأنه قال: أَمْرِي ذَلِكَ.

وَيُرَوَّى أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: وَلَا جَيْنَ حَلَلْتَ التَّكَّةَ، وَقِيلَ وَلَا جَيْنَ هَمَمْتَ، فَقَالَ:

﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

موضع ما نصب على الاستثناء.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اسْتَخْلَصْهُ لِنَفْسِي﴾.

جزم جواب الأمر، ومعنى استخْلَصْهُ أَي أَجْعَلْهُ خَالِصاً لِي، لَا يَشْرِكُنِي فِيهِ أَحَدٌ.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

أَي عَرَفْنَا أَمَانَتَكَ وَبِرَاءَتَكَ مِمَّا قَرَفْتَ بِهِ.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾.

أَي عَلَى أَمْوَالِهَا

﴿إِنِّي خَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾.

أَي أَحْفَظُهَا وَأَعْلَمُ وَجُوهَ مُتَصَرِّفَاتِهَا، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ بُعِثُوا لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَوَضْعِ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا، فَعَلِمَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَا أَحَدٌ أَقْوَمُ بِذَلِكَ مِنْهُ، وَلَا أَوْضَعُ لَهُ فِي مَوَاضِعِهَا. فَسِيَّالَ ذَلِكَ ارَادَةَ لِلصَّلَاحِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾.

وهذا - واللَّهِ أَعْلَمُ - قَدْ كَانَ قَبْلَهُ كَلَامٌ جَرَّ إِلَيْهِ مَا يُوجِبُ طَلَبَ أَخِيهِمْ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْرِيَ مَا يُوجِبُ هَذَا الْقَوْلَ. فَكَانَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - سَأَلَهُمْ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَأَمْرِهِمْ وَعَدَدِهِمْ، فَاجْتَرَأَ لِقَوْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

﴿الَاتَرُونَ أَنِي أُوفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾.

لأنه حين أنزلهم أحسن ضياقتهم.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُون﴾.

القراءة بكسر النون، ويجوز الفتح بفتح النون لأنها نون جماعة كما قال: ﴿فِيمَ تُبْشِرُونَ﴾^(١) بفتح النون، وتكون ﴿وَلَا تَقْرُبُونَ﴾ لفظه الخبر ومعناه معنى الأمر.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

﴿وإنا لفاعلون﴾ تأكيد.

﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾.

ولفتيته، قرئنا جميعاً، والفتيان والفتية الممالك في هذا الموضع.

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفي هذا وجهان، أي إذا رأوا بضاعتهم مردودة عليهم، علموا أن ما كِيلَ لهم من الطعام لم يؤخذ منهم^(٢) ثمنه، وأن وضع البضاعة في الرحال لم يكن إلا عن أمر يوسف، ويجوز أن يكون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يردون البضاعة، لأنها^(٣) ثمن ما اكتالوه. ولأنهم لا يأخذون شيئاً إلا بثمنه.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعْنَا الكيل.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

(١) سورة الحجر ٥٤، وتقدير الآية هنا: (فلا كيل لكم عندي ولا أنتم تقرّبون).

(٢) في الأصل منه.

(٣) في الأصل لأنه.

أي كذلك قلتم لي في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فقد ضمتتم لي حفظ يوسف وكذلك ضمانكم هذا عندي .
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ .

وتقرأ ﴿حَافِظًا﴾ . وحفظاً منصوب على التمييز، و ﴿حَافِظًا﴾ منصوب على الحال، ويجوز أن يكون حافِظًا على التمييز أيضاً .
وقوله عز وجل: ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ .

وتقرأ رُدَّتْ بكسر الراء، والأصل رُدِدَتْ، فأدغمت الدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومة . ومن كسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في قِيلَ ويبيع لتدل أن أصل الدال الكسر .

وقد حكى قطرب أنه يقال في ضَرْبَ زيد؛ ضَرْبَ زَيْدٍ وضَرْبَ زَيْدٍ - بكسر الضاد . اسكن الراء، ونقل كسرتها إلى الضاد، وعلى هذه اللغة يجوز في كَبِدٍ كَبْدٌ .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ .

أي ما نريد، وما في موضع نصب، المعنى أي شيء نريد وقد رُدَّتْ علينا بضاعتنا، ويجوز أن يكون «ما» نفيًا، كأنهم قالوا ما نبغي شيئًا، ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ .

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ .

يقال: مَرَّتَهُمُ أميرهم ميرًا إذا أتيتهم بالميز .

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ .

لأنه كان يكال لكل رجل وقر بَعِيرٍ .

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ بِسِيرٍ﴾ .

أي ذلك كيل سهل، أي سهل على الذي يمضي إليه
﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾.

فموضع أن نصب، والمعنى لَتَأْتِنِي بِهِ إِلَّا لِإِحَاطَةٍ بِكُمْ، أي لا تمتنعوا
من الإتيان به إلا لهذا، وهذا يسمى مفعولاً له، وإلا ههنا تأتي بمعنى تحقيق
الجزاء، تقول: ما تأتي - إِلَّا لِأَخْذِ - الدَّرَاهِمِ وَإِلَّا أَنْ نَأْخُذَ الدَّرَاهِمَ، ومعنى
الإحاطة بهم، أن يحال بينهم وبينه فلا يقدروا على الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

قد خاف عليهم العين، وأمر العين صحيح - واللَّهُ أعلم - وقد روي عن
النبي ﷺ أَنَّهُ عَوَّذَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ فِي دَعْوَتِهِ: وَأَعِذْكُمْ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ
لامّة.

وقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾.

أي إلا خوف العين، وتأويل ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لو
قُدِّرَ أَنْ تَصِيْبَهُمْ لِأَصَابَتِهِمْ وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ كَمَا تَصِيْبُهُمْ مُجْتَمِعِينَ، وجائز أن
يكون: لا يغني مع قضاء الله شيء.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾^(١).

أي لذو علم لتعليمنا إياه، ونصب حاجة استثناء ليس من الأول، المعنى
لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

وقوله عز وجل: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾.

أي ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: أي لا تحزن ولا تستكن

(١) أي يعقوب ذو علم لا علمه الله.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي أعلم معلّم، يقال أذنته بالشيء فهو مؤذّن به أي أعلمته وأذنت أكثرت الإعلام بالشيء.

﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

المعنى: يا أيها الأصحاب للعير، ولكن قال: أيتها العير، وهو يريد أهل العير، كما قال: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ يريد أهل القرية وأنت «أيا» لأنه جعلها للعير.

وقوله: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ﴾.

وقرئت «صُوعَ» الملك، وقرئت «صَاعَ» الملك، قرأ أبو هريرة صاغ الملك، وقرئت صوغ الملك - بالعين معجمة.

﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾.

أي حمل بعير من الطعام

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

أي كفيلاً.

الصُوع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصَاع يذكر ويؤنث، وجاء في التفسير أنه إناء مستطيل يشبه المكوك، كان يشرب به الملك، وهو السقاية. وقيل إنه كان مصنوعاً من فضة مموهاً بذهب، وقيل إنه كان من مَسٍّ^(١)، وقيل إنه كان يشبه الطاس.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾.

معنى تال الله: والله، إلا أن التاء لا يقسم بها إلا في «الله» لا يجوز تالرحمن ولا ترربي لأفعلن^(٢)، والتاء بدل من الواو كما قالوا في وراثٍ تراثٍ،

(١) لعله من ماس، وربما من ميس - وهو شجر عظم - وأثرنا كتابته على ما جاء في أصله.

(٢) سمع وترب الكعبة وتحياتك - ولكنه غير مستعمل.

وكما قالوا يَتَزَنُ، وأصله يَوْتَزَنُ مِنَ الْوِزْنِ وإنما قالوا: ﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾، لأنهم كانوا لا يَنْزِلُونَ على قوم ظلماً. ولا يرعون زرع أحد، وجعلوا على أفواه إبلهم الأكمة لئلا تعبت في زرع، وقالوا: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

لأنهم قد كانوا فيما روي ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، أي فمن رَدَّ مَا وَجَدَهُ كيف يكون سارقاً.

﴿قالوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

أي مثلُ هذا الجزاء نجزي الظالمين، وكان جزاء السارق عندهم أن يُسْتَعْبَدَ بِسَرْقَتِهِ، يَصِيرُ عَبْدًا لأنه سرق.

فأما رفع ﴿قالوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾ فمن جهتين: أحدهما أن هو جزاؤه ابتداء، ويكون من وجد في رحله الخبر، ويكون المعنى جزاء السرقة الإنسان الموجود في رحله السرقة. ويكون قوله ﴿فهو جزاؤه﴾ زيادة في الإبانة. كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه. فهذا جزاؤه، زيادة في الإبانة.

ويجوز أن يكون^(١) يرتفع بالابتداء، ويكون من وجد في رحله فهو جزاؤه. هذه الجملة خبر الجزاء، والعائد عليه من الجملة «جزاؤه» الذي بعد قوله «فهو»، كأنه قيل: قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، أي فهو الجزاء، ولكن الاظهار كان أحسن وهنا لئلا يقع في الكلام لبس، ولئلا يتوهم أن «هو» إذا عادت ثانية فليست براجعة على الجزاء، والعرب إذا أقحمت أمر الشيء جعلت العائد عليه إعادة لفظه بعينه، أنشد جميع النحويين: (٢)

(١) أن يكون جزاؤه مرفوعاً بالابتداء، أي جزاؤه مبتدأ خبره جملة «من وجد في رحله فهو جزاؤه» ودخلت الفاء في خبر من إما لأنها شرطية أو موصولة.

(٢) تقدم في الجزء الأول ٤٥٦.

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموتُ ذا الغنى والفقيرا

ولم يقل : لا أرى الموت يسبقه شيء .

وقوله عز وجل : ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ .

رجع بالتأنيث على السقاية ، ويجوز أن يكون أنث الصواع .

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ .

أي في سيرة الملك ، وما يدين به الملك ، لأن السارق في دين الملك كان يغرم مثلي ما سرق ، وكان عند آل يعقوب وفي مذهبهم أن يصير السارق عبداً يسترقه [صاحب الشيء المسروق] .

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ .

موضع أن نصب ، لما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب ، المعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة الله .

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ .

على إضافة الدرجات إلى «من» ويجوز درجات بالتونين ، على أن يكون «من» في موضع نصب ، المعنى نرفع من نشاء درجات . ويجوز رفع درجات من نشاء ، وهي حسنة^(١) ، ولا أعلمها رويت فلا تقرأ بها إن لم تصح فيها رواية .

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ .

قيل في التفسير : فوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى الله عز وجل .

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .

(١) لا يبدو لها حسن ، لأن الجملة الأولى تنتهي حينئذ عند ترفع .

يعنون يوسف، ويروى أنه كان في صغره أَخَذَ صُورَةً مما كان يتعبد به بعض من يخالف أَهْلَ مِلَّةِ الإسلام من ذهب، وهذا الذي أخذه [كان] على جهة الإنكار، لثلاثِ يُعْظَمُ مثل ذلك

﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

أي لم يظهرها لهم .

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ .

وهذا إضمار على شريطة التفسير^(١)، لأن قوله ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ بَدَلُ من «ها» في قوله: ﴿فَأَسْرَهَا﴾ . المعنى . فأسر يوسف في نفسه قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾^(٢) . المعنى - والله أعلم - أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا في السرقِ بالصَّحَةِ لأنكم سَرَقْتُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ .

أي الله أعلم أسرق أخ له أم لا

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ :

والعزيز الملك

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ .

﴿شَيْخًا﴾ من نعت أب، وأبٌ مَنْصُوبٌ بِإِنَّ، و﴿كَبِيرًا﴾ من نعت شيخٍ .

﴿فَخَذَ أَخَذَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

أي ممن يُحْسِنُ ولا يُعَامِلُ بالتحديد في واجب لأنه كان أعطاهم الطعام واغطاهم ثمنه في رده البضاعة لهم، فطالبوه بأن يُحْسِنَ .

(١) أي جاء الضمير في «أسرها» من غير سابق مرجع ثم فسرتة الجملة بعده .

(٢) لا يتناسب هذا مع قوله ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ فإنه جهر بها . والأولى أسر حرازة الكلمة، وكنتم في نفسه أنه يوسف ولم يسرق . أو كنتم الكراهية .

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر المعنى أعوذ بالله معاذاً، وموضع أن نَصَبُ، المعنى أعوذ بالله من أخذ أحدٍ إلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، فلما سَقَطَتْ «من» أفضى الفعل فنصب.

﴿إِنَّا إِذَا لظَالِمُونَ﴾.

أي إن أخذنا غيره فنحن ظالمون.

﴿فَلَمَّا اسْتِيسَاوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾.

المعنى خَلَصُوا يَتَنَجَّوْنَ، أي خَلَصُوا مُتَنَجِّينَ فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم، وليس معهم أخوهم، و«نجي» لفظ واحد في معنى جمع، وكذلك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾^(١). ويجوز قوم نجى وقوم نَجْوَى وقوم أنجيه، قال الشاعر^(٢)

إني إذا ما القوم صاروا أنجيه
واختلف القول اختلاف الأرشية
هناك أوصيني ولا توصي بي

ومعنى خلصوا انفردوا وليس معهم أخوهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

أجود الأوجه أن يكون «ما» لغواً، فيكون المعنى ومن قبل فَرَّطْتُمْ في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع رفع، فيكون المعنى ومن قبل

(١) سورة الإسراء الآية ٤٧.

(٢) هو سحيم بن وثيل اليربوعي، وروايته في اللسان (نجا) «كانوا أنجيه» و«اضطرب القوم» وروي أيضاً «واختلف القوم» و«التبس» وضبطه علي بن حمزة بكسر الكاف في «هناك» حظاً بالأنشـ وهذا قال: «أوصيني» - قيل ضربه مثلاً لنزول الأمر المهم واختلاف الآراء واضطرابها، وقيل يصف سفرأ أجهدهم السير وشدوا أنفسهم على ركائبهم بالرجال لثلا يسقطوا لأن النوم جعل أجسامهم غميد - والأول أظهر - والأرشية الحبال، وهو يريد إظهار تفوقه على أقرانه.

تفريطكم في يوسف، أي وقع تفريطكم في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع نصب نسق على أن، المعنى ألم تعلموا أن أباكم، وتعلموا تفريطكم في يوسف.

﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾.

أي لن أبرح أرض مصر، وإلا فالناس كلهم على الأرض.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾.

نسق على ﴿حتى يأذن﴾، ويجوز أن يكون «أو» على جواب لن المعنى لن

أبرح الأرض حتى يحكم الله لي.

وقوله: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾.

ويجوز سرق، ألا أن سرق أكد في القراءة، وسرق يكون على ضربين،

سرق عليم أنه سرق، وسرق اتهم بالسرق.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾.

أي زينت لكم أنفسكم، وحبيت إليكم أنفسكم.

﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾.

المعنى فأمرني صبر جميل أو فصبري صبر جميل، وقد فسرنا هذا فيما

سبق من السور:

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَسَفَا عَلَى يُونُسَ﴾.

معناه يا حزناه، والأصل يا أسفي إلا أن «يا» الإضافة يجوز أن تبدل ألفاً

لخفة الألف والفتحة.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي محزون.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُونُسَ﴾.

معنى تالله : والله، و «لا» مضمرة، المعنى والله لا تفتأ تذكر يوسف أي لا تزال تذكر يوسف^(١).

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾.

والحرَضُ الفاسد في جسمه، أي حتى تكون مُدْنَفًا مريضاً. والحرَضُ الفاسد في أخلاقه، وقولهم: حَرَضْتُ فلاناً على فلانٍ، تَأْوِيلُهُ أَفْسَدْتَهُ عَلَيْهِ.

وإنما جاز إضمار «لا» في قوله ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ﴾ لأنه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول لتفعلن. أو لا تفعل. والقسم لا يجوز للناس إلا بالله عز وجل، لا يجوز أو يحلف الرجل بأبيه، ولا ينبغي أن يحلف بالأنبياء، ولا يحلف إلا بالله، ويروى عن النبي عليه السلام أنه قال لِعُمَرَ: لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف بالله. فإن قال القائل: فما مجاز القسم في كتاب الله عز وجل في قوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾، ﴿والسماء ذات البروج﴾، ﴿والزيتون﴾ وما أشبه هذه الأشياء التي ذكرها الله جل جلاله في كتابه، ففيها أوجه كلها قد ذكرها البصريون، فقالوا: جائز أن يكون الله عز وجل أقسم بها لأن فيها كلها دليلاً عليه وآيات بينات، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْآيَةَ (٢)﴾. وقال: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ (٣)﴾. فكان القسم بهذا يدل على عظمة الله.

وقال قطرب جائز أن يكون معناها: ورب الشمس وضحاها، وربّ التين والزيتون، كما قال: ﴿والسماء ذات البروج﴾^(٤)، وقال: ﴿والأرض وما طحاها﴾^(٥)،

(١) تحذف لا في القسم، وتزداد فيه أيضاً، تقول إني وربك أدري ما سيحدث أي لا أدري وتقول: لا أقسم أنه لحق أي أقسم.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠ والبقرة آية ١٦٤.

(٣) سورة الجاثية الآية ٤.

(٤) أول سورة البروج.

(٥) سورة الشمس وضحاها آية ٦.

وقال: ﴿فَوَرَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾^(١).

وقالوا أيضاً: جائز أن يكون وخلق السموات والأرض، وخلق التين والزيتون.

وقالوا: يجوز أن يكون لما كان معنى القسم معنى التحقيق، وأن هذه الأشياء التي أقسم الله بها حق كلها، وكذلك ما أقسم عليه حق فالمعنى كما أن التين والزيتون حق، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

وأجود هذه الأقوال ما بدأنا به في أولها.

وقوله عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾.

قالوا ﴿مزجاة﴾ قليلة، وقالوا كانوا جاءوا بمتاع الأعراب كالصوف والسمن، وما أشبه ذلك مما يبيعه الأعراب، وقيل ان البضاعة كانت مما لا يُتَّفَقُ مثله في الطعام، لأن متاع الأعراب كذلك كان تحته رديء المال^(٢). وتأويله في اللغة، أن التزجية الشيء القليل الذي يُدَافَعُ به، تقول: فلان يُزَجِّي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به. فالمعنى على هذا: إننا جئنا ببضاعة إنما يُدَافَعُ بها [أي] يتقوت، ليس مما يتسع به، قال الشاعر:

الواهب المائة الهجان وعبدها عوذوا تزجي خلقها أطفالها^(٣)

(١) سورة والذاريات الآية ٢٣.

(٢) لا يدفع في مقابلته إلا رديء المال.

(٣) البيت للأعشى من قصيدة يمدح بها عمرو بن معد يكرب الزبيدي - وهي قصيدة جيدة معروفة مطلعها:

رحلت سُمِيَّةٌ غُدُوَّةً أَجْمَلَهَا غَضِبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا
والهجان من الإبل الكريمة الجيدة - وقيل البيضاء لأن البياض دليل الجودة، والعوذ جمع عائد - وهي الناقة الحديثة العهد بالولادة لأن فصيلها يعوذ بها ويتبعها وتزجي بمعنى تسوق وتدفع، يريد أن يهب الإبل الكريمة مع أولادها وراعيها.

انظر الخزانة ص ١٩١ (سلفية) الشاهد ٢٩٤ - والديوان تحقيق محمد حسين.

أي تدفع أطفالها .
وقوله عز وجل: ﴿أَتُنْكُ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ .
فيها أربعة أوجه :

بجمع الهمزتين ، قالوا أَتُنْكُ - على تحقيقهما ، ويجوز أَتُنْكُ - على أن يجعل الثانية بين الياء والهمزة . ، وقرئت . «أَتُنْكُ» على إنك بفصل بين الهمزتين بآلف لاجتماع الهمزتين ، قال الشاعر: ^(١)

فيا ظبية الوغساء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سَالم

ويجوز قالوا إنك لأنت على لفظ الخبر .
وقوله عز وجل: ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ .
أي لا إفساد عليكم .
وقوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾ .
معناه لولا أن تجهلُون ، ويروى تسفهون ^(٢) .
وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ .

يقال قد خطئ يخطئ خطأ وخطأ ، وأخطأ يخطئ إخطاء ، قال امرؤ القيس: ^(٣)

(١) هو ذو الرمة ، والبيت في اللسان - (جل) ، وجلاجل - بفتح أوله موضع وقيل جبل من جبال الدهناء ، والوعساء والأوعس ، والوعسة والوعسة والوعس - كله بمعنى الأرض اللينة ذات الرمل ، أو الرمل السهل تغوص فيه القدم ، وذكر صاحب الأغاني (٣٠٤/١٧) - قصة طريقة لهذا البيت بين ذي الرمة وأخيه مسعود ، وكان ذو الرمة - وهو غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث - يشبب بممة بنت مقاتل بن طلحة بن قيس بن عاصم - الذي قدم على رسول الله في وفد بني تميم - وهو أحد العشاق المشهورين - كما كان يشبب بخرقاء وليس هذا أسمها - ولكن الخرقاء التي لا تعمل بيديها شيئاً لكرمها - والبيت من تنواهد المغني ٤١٣/١ ، وفي الخزانة ٥٠/١ ، والعيني ٤١٢/١ .

(٢) لا توجد قراءة بهذا - ولكنه يريد فند الشخص معناه كذبه أو سفهه .

(٣) يروى البيت أيضاً: يا لهف نفسي - والحلالحل القوي الشديد - والبيت في الديوان ١٤٣ ، ٣٦٨ :

يا لهف هند إِذْ خَطِئْتَ كَاهِلًا القاتلين الملك الحلاحلا

وقوله عز وجل: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

قال ذلك يعقوب إِرَادَةً أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فِي وَقْتِ وَجْهِ السَّحَرِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ لِإِجَابَةِ الدَّعَاءِ لَا أَنَّهُ ضَنَّ بِالْأَسْتَغْفَارِ وَذَلِكَ أَشْبَهَ بِأَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ، أَعْنِي الْمَبَالِغَةَ فِي الْأَسْتَغْفَارِ، وَتَعَمَّدَ وَقْتِ الْإِجَابَةِ.

﴿أَوَى إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾.

أي ضم إليه أبويه.

﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

﴿العرش﴾ السرير.

﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾.

كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أَنْ يُسَجَّدَ لِلْمَعْظَمِ، وَقِيلَ: ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾: وَحَرُّوا لَهُ^(١).

وقوله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

نِهَا قَوْلَانِ، أَعْنِي فِي دُخُولِ «مِنْ»، جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ عَلَّمْتَنِي بَعْضَ التَّأْوِيلِ، وَآتَيْتَنِي بَعْضَ الْمُلْكِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ دُخُولِ «مِنْ» لِتَبَيَّنَ هَذَا الْجِنْسُ

مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي الْمُلْكَ وَعَلَّمْتَنِي تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ، مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾

يَدُلُّ عَلَى أَنَّ «مِنْ» هَهُنَا إِنَّمَا هِيَ لِتَبْيِينِ الْجِنْسِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِاجْتِنَابِ بَعْضِ الْأَوْثَانِ، وَلَكِنْ الْمَعْنَى: وَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ الَّذِي هُوَ الْأَوْثَانُ^(٢).

= من الستة، واللسان (حلل) والشرط الأول في مجاز أبي عبيدة.

(١) أي الضمير في له يعود على الله.

(٢) «مِنْ» فِي «مِنَ الْأَوْثَانِ» بَيَانِيَّةٌ، فَإِذَا اعْتَبِرْتَ كَذَلِكَ فِي الْآيَةِ قَدَرِ مَفْعُولِ مَحْذُوفٍ - أَيِ آتَيْتَنِي شَيْئًا أَوْ بَعْضًا.

وقوله عز وجل: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

ينتصب على وجهين: أحدهما على الصفة لقوله ﴿رَبِّ﴾ قد آتيتني من الملك، والمعنى: يَا رَبِّ قد آتيتني، وهذا نداء مضاف في موضع نصب، ويكون ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة للاول، وجائز أن ينتصب على نداء ثانٍ، فيكون المعنى: يَا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي .

﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ .

أَي الْحَقِّنِي بِمِرَاتِبِهِمْ مِنْ رَحْمَتِكَ وَغَفْرَانِكَ
﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ .

هذا خطاب للنبي عليه السلام، المعنى الذي قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ غَائِبَةً عَنْكَ . فَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِ دَلَالَةً عَلَى إِبْثَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَإِنْذَاراً وَتَيْسِيراً بِتَفْصِيلِ قِصَصِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ . وَمَوْضِعُ ﴿ذَلِكَ﴾ رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَيَكُونُ خَبْرُهُ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، وَيَكُونُ ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خَبِراً ثَانِياً، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ «نُوحِيهِ» هُوَ الْخَبَرُ، وَجَعَلْتَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ الَّذِي، الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ذَلاً

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

معناه وما أَكْثَرُ النَّاسِ بِمُؤْمِنِينَ وَلَوْ حَرَصْتَ عَلَى أَنْ تَهْدِيَهُمْ لِأَنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ .

أَي وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ وَهِدَايَتِكَ إِيَّاهُمْ مِنْ أَجْرٍ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ .

أَي مَا هُوَ إِلَّا تَذَكُّرٌ لَهُمْ، بِمَا هُوَ صِلَاحُهُمْ وَنَجَاتُهُمْ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُهُمْ

الجنة، وإنذارهم وتبشيرهم، فكل الصلاح فيه.

﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي من علامة ودلالة تدلهم على توحيد الله، من بر السماء وأنها بغير عمَدٍ لا تقع على الأرض، وفيها من مجرى الشمس والقمر ما فيها، وفيها أعظم البرهان والدليل على أن الذي خلقها واحد، وأن لها خالقاً، وكذلك فيما يشاهد في الأرض من نباتها وبحارها وجبالها.

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

أي لا يفكرون فيما يدلهم على توحيد الله - عز وجل - والدليل على أنهم لا يفكرون فيما يستدلون به قوله عز وجل:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

أي إن اعترفوا بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض، أشركوا في عبادته الأصنام، وأشركوا غير الأصنام.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

أي أن يأتيهم ما يعجزهم من العذاب

﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾.

أي فجأة، و﴿بغتة﴾ مصدر منصوب على الحال، تقول لقيته بـ: وفجأة، ومعناه من حيث لم أتوقع أن ألقاه.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

وفي غير موضعٍ وللدَّار الآخرة، فمن قال الدَّار الآخرة فالآخرة نعت للدَّار، لأن لجميع الخلق دَارَيْنِ، الدَّار التي خُلِقُوا فيها وهي الدُّنْيَا، والدَّار الآخرة التي يُعَادُونَ فيها خلقاً جديداً، ومن قال «دَارُ الْآخِرَةِ» فكأنه قال: ودَارُ

الْحَالِ الْآخِرَةِ، لَأَنَّ لِلنَّاسِ حَالَيْنِ، حَالُ الدُّنْيَا وَحَالُ الْآخِرَةِ^(١)، ومثل هذا في الكلام الصَّلَاةُ الْأُولَى، وَصَلَاةُ الْأُولَى. فمن قال الصَّلَاةُ الْأُولَى جعل الأولى نعتاً للصلاة، ومن قال صلاةُ الأولى أراد صلاة الفريضة الأولى، والسَّاعَةِ الْأُولَى.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا^(٢) أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾.

قُرِئَتْ كُذِّبُوا وَكُذِّبُوا، بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، وَقُرِئَتْ «وَكُذِّبُوا» فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا بِالتَّشْدِيدِ - فَاَلْمَعْنَى حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ مِنْ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ قَوْمُهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا. وَمَنْ قَرَأَ قَدْ كُذِّبُوا بِالتَّخْفِيفِ، فَاَلْمَعْنَى وَظَنَ قَوْمُهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا فِيمَا وَعَدُوا، لِأَنَّ الرُّسُلَ لَا يَظُنُّونَ ذَلِكَ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْلَفُوا أَيِ ظَنِّ الرُّسُلِ، وَذَلِكَ بَعِيدٌ فِي صِفَةِ الرُّسُلِ.

يُرْوَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُوعَدَ شَيْئاً^(٣) أَخْلَفَ فِيهِ وَفِي الْخَبَرِ: وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَظَنَّ الرُّسُلَ هَذَا بَرِيهَاً.

وَمَعْنَى: وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ظَنَ قَوْمُهُمْ أَيْضاً أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا^(٤).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَنُنَجِّي مَنِ نَشَاءُ﴾.

قُرِئَتْ فَنُنَجِّي، وَفَنُنَجِّي، وَقُرِئَتْ فَنَجَا مَنِ نَشَاءُ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ فَنُنَجِّي مَنِ نَشَاءُ بِفَتْحِ الْيَاءِ، فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ فَنُنَجِّي فَعَلَى الْاسْتِقْبَالِ، وَالنُّونُ نُونُ الْاسْتِقْبَالِ، أَعْنِي النُّونَ الْأُولَى، وَمَنْ قَرَأَ فَنُنَجِّي - بِاسْكَانِ الْيَاءِ - فَحَذَفَ النُّونَ الثَّانِيَةَ لِاجْتِمَاعِ النُّونَيْنِ، كَمَا تَقُولُ: أَنْتِ تَبَيَّنُ هَذَا الْأَمْرَ، تَرِيدُ تَبَيَّنُ، فَحَذَفَ لِاجْتِمَاعِ تَائِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فَنَجَا مَنِ نَشَاءَ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَجَا

(١) الأولى دار الحياة الآخرة.

(٢) أي ظن قومهم.

(٣) في الأصل «شيء».

(٤) ظنوا أن قومهم مكذبوهم ولن يؤمنوا برسالتهم.

من نشاء على لفظ الفعل الماضي، ومن قرأ فُنَجِّيَ من نشاء. فبمعنى الماضي على ما لم يسم فاعله، ويكون موضع «مَنْ» رَفَعًا. وَيُعْلَمُ بالمعنى أن الله عز وجل - نَجَّاهُمْ.

وقوله - عز وجل - ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.
أي الذي تقدمه من الكتب.

ونصب تَصْدِيقًا على معنى كان، المعنى: ما كان حديثاً يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه، ويجوز: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. فمن قرأ هكذا رفع الباقي المعطوف على تصديق، ويكون مرتفعاً على معنى ولكن هو تصديق الذي بين يديه، ويكون ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ نَسَقًا عَلَيْهِ.

وهذا لم تثبت بقرائه رواية صحيحة، وَإِنْ كَانَ جائزاً في العربية لا اختلاف بين النحويين في أنه جَيِّدٌ بِالْعَمَلِ، فلا تَقْرَأُ به ولا تُخَالِفُ الإجماع بمذاهب النحويين.

سُورَةُ الرَّعْدِ مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المر﴾ :

قد فسرنا في سورة البقرة ما قيل في هذا وأشباهه، وَرُويَ أَن مَعْنَاهُ أَنَا اللَّهُ أَرَى، وَرُويَ أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَرَى، وَرُويَ أَن «المر» حُرُوفٌ تَدُلُّ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ .

جاء في التفسير أَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ قَبْلَ الْقُرْآنِ آيَاتُ الْكِتَابِ .

﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ .

أي والقرآن المنزل عليك الحقُّ، ويجوز أن يكون موضعُ ﴿الذي﴾ رفعاً على الابتداء، ويجوز أن يكون رفعاً على العطف على ﴿آياتُ﴾ ويكون ﴿الحقُّ﴾ مرفوعاً على إضمار هو، ويجوز أن يكون موضع الذي خفصاً، عطفاً على الكتاب، المعنى تلك آيات الكتاب وآياتُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ، ويكون الذي أنزل من نعت الكتاب وإن جاءت الواو^(١)، ويكون الحق مرفوعاً على الإضمار، ويجوز أن يكون الحق صفة للذي .

(١) يَعتبر بعض النحويين الواو زائدة - في مثل قوله تعالى : ﴿وسيق الذين اتقوا ربَّهم إلى الجنةِ زمراً حتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فاعتبر «جاءوها» جِواب الشرط، فكذلك الواو هنا يمكن اعتبارها زائدة .

المعنى : تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق^(١)، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.
لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ عَرَفَ الدَّلِيلَ الَّذِي يُوْجِبُ التَّصَدِيقَ بِالْخَالِقِ
عَزَّ وَجَلَّ - فَقَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، وفي ذلك من القدرة
والدلالة ما لا شيء أوضح منه. أن السماء محيطة بالأرض متبرية منها^(٢)،
بغير عَمَدٍ. والمعنى بغير عَمَدٍ وأنتم ترونها كذلك^(٣)، ويجوز أن تكون
﴿ترونها﴾ من نعت العَمَدِ، المعنى بغير عَمَدٍ مرئية، وعلى هذا تعمدتها^(٤) قدرة
الله عز وجل.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ لِّإِيجَارٍ يُسَمَّى﴾.

كل مقهور مَدَبَرٌ لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلك معنى
السُّخْرَةِ، فالشمس والقمر مسخران يجريان مجاريهما التي سخرا جارين
عليها.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يحكمه.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

أي يبين الآيات التي تدل على قدرته على بعثكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُوقِنُونَ﴾،
لأنهم كانوا يجحدون البعث، فأعلموا أن الذي خلق السموات وأنشأ الإنسان
ولم يكن شيئاً، قادر على إعادته.
﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾.

(١) وتنتهي صلة الموصول عند «أنزل إليك»، وتكون «من ربك» خبراً.

(٢) بعيدة عنها لا تتركز عليها، منفصلة عن جميع أجزائها.

(٣) على أن ترونها جملة مستقلة.

(٤) تعمدتها: تمسكها وتقيمها.

دلهم - بعد أن بين آيات السماء - بآيات الأرض، فقال - عز وجل -: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ روي في التفسير أنها كانت مُدَوَّرَةً فَمُدَّتْ^(١).

وَمَعْنَاهُ بَسَطَ الْأَرْضَ.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي﴾.

أي جبالاً ثوابت، يقال: قد رَسَا الشَّيْءُ يَرْسُو رُسُوءًا فهو راسٍ إذا ثبت.

﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

جعل فيها نوعين، والزوج الواحد الذي ليس له قرين

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾.

وتقرأ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، ثم أعلام أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان

وعلامات بينات فقال:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثم زادهم من البرهان فقال:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ﴾.

يروى في التفسير أنها تتجاوز، بعضها عامر، وبعضها غير عامر، وكذا

في التفسير أيضاً أن معناه قطع متجاورات.

﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾.

الأجود رفع جنات، المعنى وفي الأرض قطع متجاورات، وبينهما

جنات، ويجوز النصب في جنات، ويقرأ وجنات من أعناب، المعنى جعل

فيها رواسي وجعل فيها جنات من أعناب، ويجوز أن يكون وَجَنَّاتٍ خفضاً،

ويكون نسقاً على كل، المعنى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين،

(١) في الأصل مَدَّرَ، والرواية الثانية على هامش النسخة، وَمَدَّرَ أي قطعة من الطين اليابس، ثم زيد حجمها.

ومن جنات من أعناب ﴿وَزَرْعٍ﴾، فأما ﴿وزرع﴾ فيجوز فيه الرفع والخفض، وكذلك ﴿صِنَوَانٍ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾.

والصَّنَوَانُ جمع صُنُوٍ وصُنُوٍ، ومعنى الصنوان أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأكثر، ويجوز في جمع صنو أصناء، مثل عدل وأعدل، وكذلك صنو فإذا كثرت فهي الصُنْيُ والصُنْيُ. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾.

ويجوز تسقى بالتاء، بماء واحد
﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ﴾.

والأُكْلُ الثَّمَرُ الَّذِي يُؤْكَلُ، ويجوز، ويُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ لَّأَنَّهُ جَرَى ذِكْرُ اللَّهِ، فالمعنى يُفَضِّلُ اللَّهُ، وكذلك إذا قال: وَنُفَضِّلُ بِالنَّوْنِ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ عَنِ اللَّهِ بِلَفْظِ الْجَمَاعَةِ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾^(١) وهذا خوطب به الْعَرَبُ لِأَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ فِيمَنْ يُبْجَلُونَهُ لَفْظَ الْجَمَاعَةِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبُ قَوْلِهِمْ﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام.

﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَتْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي هذا موضع عجب، لأنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من عَظَمِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ أَسْهَلُ فِي الْقُدْرَةِ مِمَّا قَدْ تَبَيَّنُوا. فَأَمَّا مَوْضِعُ ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فموضع إِذَا نَضَبُ فَمَنْ قَرَأَ.. ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ عَلَى لَفْظِ الْاسْتِفْهَامِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿أَتْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فَإِذَا مَنْصُوبَةٌ بِمَعْنَى نَبْعَثُ وَيَجْدُدُ خَلْقَنَا، الْمَعْنَى إِذَا كُنَّا تُرَابًا نَبْعَثُ وَدَلَّ عَلَى إِرَادَتِهِمْ «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

(١) سورة ق الآية ٤٣.

ومن قرأ إذا كنا تراباً إنا لفي خلق جديد أَدْخَلَ أَلْفَ الاستفهام على جملة الكلام، وكانت إذا نصباً بَكُنَّا، لكن الكلام يكون في معنى الشرط والجزاء، ولا يجوز أن تعمل «جديد» في إذا، لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها. لا اختلاف بين النحويين أنَّ ما بَعْدَ إِنْ وإذا لا يعمل فيما قبلهما.

ثم أعلم الله - عز وجل - أنَّ المستفهم بعد البَيَانِ والْبُرْهَانِ عن هذا على جهة الإنكار كافر، فقال:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أن الأغلال الأعمال في أعناقهم يوم القيامة، والدليل على ذلك في القرآن قوله: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾^(١) وقيل أولئك^(٢) الأغلال في أعناقهم، أي الأغلال التي هي الأعمال، وهي أيضاً مؤدية إلى كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة، لأن قولك للرجل: هذا غُلٌّ في عنقك للعمل السيء معناه أنه لازم لك وأنتك مُجَازَى عَلَيْهِ بالعذاب يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾.

أي يطلبون العذاب بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٣).
﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّاتُ﴾.

والمُثَلَّات - بضم الميم وفتحها، فمن قرأ المُثَلَّات، فهي جمع مُثْلَة، ومن قرأ المُثَلَّات فهي جمع مُثْلَة. ويجوز في المثلث ثلاثة أوجه. يجوز:

(١) سورة غافر الآية ٧١-٧٢.

(٢) في شرح الآية المستشهد بها، وهو استدلال يحتاج إلى تفسير أيضا. ويحل التركيب على أنه أولئك الذين تكون الأغلال في أعناقهم بسبب أعمالهم السيئة.

(٣) الأنفال الآية ٣٢.

دخلت المثلثات، بإسكان التاء، ويجوز فتح التاء المثلثات، ومن قرأ المثلثات
تَضَمُّ التَّاءَ وَالْمِيمَ، وهي في الواحدة ساكنة مضمومة في الجمع فهذه الضمة
عوض من حذف تاء التانيث، ومن فتح فلأن الفتحة أَخَفُّ الحركات، روت
الرُّوَاةُ:

ولما رَأَوْنَا بَادِيَا رُكْبَاتِنَا عَلَى مَوْطِنٍ لَا نَخْلِطُ الْجَدَّ بِالْهَزْلِ^(١)

ومن قرأ المثلثات بإسكان التاء فلأن كل ما كان مضموماً أو مكسوراً نحو
رُسُلٍ وَعَصْدٍ وَفَخِذٍ فإسكانه جائز لنقل الضمة والكسرة. والمعنى أَنَّهُمْ
يَسْتَعِجِلُونَ بِالْعَذَابِ وقد تقدم من العذاب ما هو مثله وما فيه نكالٌ لهم لو
اتعظوا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ معناه هَلَّا
أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا طَلَبُوا غير الآيات التي أتى بها النبي ﷺ نحو انشِقَاقِ القمر،
والقرآن الذي دُعُوا أَنْ يَأْتُوا بسورة من مثله - وما أشبه هذا النحو، فالتمسوا مثل
آيات عيسى وموسى، فأعلم الله عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادِيَاً، فقال
جَلَّ وَعَزَّ:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

أي نبي وداع إلى الله يَدْعُوهم بما يُعْطَى من الآيات لَا بِمَا يُرِيدُونَ
ويتحكمون فيه.

وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

معنى غاض في اللغة نقص. وفي التفسير ما نقص الحمل من تسعة
أشهر وما زاد عنها على التسعة، وقيل ما نقص عن أَنْ يَتِمَّ حَتَّى يَمُوتَ، وما
زاد حتى يتم الحمل.

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٢٤١.

وقوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾.

مَوْضِع «مَنْ» رَفَعَ بِسَوَاءٍ، وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بِسَوَاءٍ، لأن سَوَاءٍ يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمرو، في معنى ذَوَا سَوَاءٍ زيد وعمرو، لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف، تقول: عدل زيد وعمرو، والمعنى ذوا عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين، وإنما ترفع الأسماء أَوْصَافَهَا، فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت فإنما هي اقبال وإدبار^(١)
المعنى فإنما هي ذات اقبال وذات إدبار، وكذلك زيد اقبال وإدبار.
وهذا مما كثر استعماله أعني سواء، فجرى مجرى أسماء الفاعلين، ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مُسْتَوٍ، إلا أن سيبويه يستقبح ذلك، لا يجيز مُسْتَوٍ زيد وعمرو، لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يُتَّذَرُ بها لضعفها عن الفعل فلا يُتَّذَرُ بها، ويُجَرِّها مَجْرَى الفعل.

ومعنى الآية إعلامهم أن الله عز وجل يعلم ما غاب عنهم وما شهد.

فقال عز وجل:

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ بِاللَّيْلِ﴾.

أي من هو مستتر بالليل، والليل أُسْتَرِمَ مِنَ النَّهَارِ

وَمَنْ هُوَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ.

أي من هو ظاهر بالنهار في سَرِبِهِ، يقال: خَلَّ لَهُ سَرِبُهُ أي طريقه،

(١) الخزائن الشاهد ٣٨٩ ط السلفية.

فالمعنى الظاهرُ في الطرقاتِ، والمستخفي في الظلماتِ، والجاهر بنطقه والمضمر في نفسه علم الله فيهم جميعاً سواء.

وذكر قطرب وجهاً آخر، ذكر أنه يجوز أن يكون «مُسْتَخْفٍ بالليل». ظاهراً بالليل، وهذا في اللغة جائز، ويكون مع هذا «وسارب بالنهار» أي مُسْتَرٍ، يقال: انسرب الوحشيُّ إذا دخل في كِنَاسِهِ^(١).

والأول بَيِّنٌ، وهو أبلغ في وصف علم الغيب.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾.

أي للإنسان ملائكة يَعْتَقِبُونَ، يأتي بعضهم بِعَقِبِ بَعْضٍ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

المعنى حفظهم إياه من أمر الله، أي مما أَمَرَهُمُ اللهُ تعالى [به]، لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله، كما تقول: يحفظونه عن أمر الله.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

أي لا يلي أمرهم أحد من دون الله.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

خَوْفًا لِلْمُسَافِرِ، لأن في الْمَطَرِ خَوْفًا عَلَى الْمُسَافِرِ، كما قال الله تعالى ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّنْ مَّطَرٍ﴾^(٢). وَطَمَعًا^(٣) لِلْحَاضِرِ لانتفاعه بالمطر، ويجوز أن يكون - والله أعلم - ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفاً لمن يَخَافُ ضُرَّ الْمَطَرِ، لأنه ليس كل بلدٍ ينتفع فيه بالمطر نحو مصر وما أشبهها، وَطَمَعًا لمن يَرْجُو الانتفاع به.

(١) كِنَاسِهِ: جحره ومخبؤه.

(٢) سورة النساء / الآية ١٠٢: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى﴾ والفرض أن الأذى من المطر.

(٣) في الأصل طمع.

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾.

أي التي قد ثقلت بالماء.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه ملك يزجر^(١) السحاب، وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه لأن صوت الرعد من أعظم الأشياء، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٢). وخص ذكر الرعد لعظم صوته - والله أعلم.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾.

جائز أن يكون الواو واو حال. فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله، وذلك أنه أتى في التفسير أن رجلاً من الجاهلية يقال له «أزبد» سأل النبي ﷺ فقال أخبرني عن ربنا أم نحاس أم حديد، فأنزل الله عليه صاعقة فقتلته، فعلى هذا يجوز أن يكون الواو واو حال. ويجوز أن يكون: لما تمم الله أوصاف ما يدل على توحيده وقدرته على البعث قال بعد ذلك ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

أي شديد القدرة والعذاب. ويقال في اللغة ماحلته محالاً، إذا قاوتته، حتى يتبين له أيكما أشد. والمحل في اللغة الشدة، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾.

جاء في التفسير: دعوة الحق شهادة أن لا إله إلا الله، وجائز - والله أعلم - أن تكون دعوة الحق أنه من دعا الله موحداً استجيب له دعاؤه.

(١) بالهامش في نسخه يرجع.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ .

ثم بين الله عز وجل كيف استجابة الأصنام لأنهم دعوا الأصنام من دون الله فقال :

﴿إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِّيهِ إِلَى السَّمَاءِ﴾ .

[أي] إلا كما يستجاب الذي، سبط كَفِّيهِ إلى الماء يدعو الماء إلى فيه، والماء لا يستجيب، فأعلم الله - عز وجل - أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان الماء إلى بلوغ فيه، ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ .

وقال بعضهم : إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه كإنسان على شفير بئر يدعو الماء من قرار البئر ليبلغ فاه، والتفسيران واحد.

وقوله - عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ . جاء في التفسير أن المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً، وجاء أن من الناس من دخل في الإسلام طوعاً ومنهم من لم يدخل حتى فحص عن رأسه بالسيف، أي فسجد ودخل في الإسلام في أول أمره كرهاً. وجائز - والله أعلم - أن يكون طوعاً وكرهاً أن يكون السجود الخضوع لله، فمن الناس من يخضع ويقبل أمر الله فيما سهل عليه، ومنهم من تقبله وإن كان عليه فيه كره.

﴿وِظَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ .

أي وتسجد ظلالهم. وجاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد لله، وقيل وظلالهم أشخاصهم، وهذا مخالف للتفسير.

وقوله : ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ .

أي هل - أو غير الله خلق شيئاً فاشتبه عليهم خلق الله من خلق غيره.

وقوله عز وجل : ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

أي قل ذلك وَيُبينه بما أخبر الله به من الدلالة على توحيده من أول هذه السورة بما يدل على أنه خالق كل شيء، ثم قال - عز وجل - ضارباً مثلاً للكافرين والمؤمنين :

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

أي بما قَدَرَلَهَا مِنْ مِلِّهَا، ويجوز بقدرها أي بقدر مِلِّهَا، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾.

[أي] طافياً عالياً فوق الماء.

﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾.

أي ابتغاء متاعٍ.

﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾.

والذي يوقد عليه في النار ابتغاء حلية: الذَّهَبُ والْفِضَّةُ، والذي يوقد عليه ابتغاء أمتعة الحديد والصفُر^(١) والنحاس والرصاص، وَزَبَدٌ مِثْلُهُ أي مثل زَبَدِ الماء.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾.

[أي] مِنْ زَبَدِ الماء، والزَّبَدُ من خَبَثِ الحديد، والصفُر والنحاس والرصاص.

﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾.

أي فيذهب ذلك لا ينتفع به، والجفاء ما جفا، الوادي، أي رمى به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وأما ما ينفع النَّاسَ مِنَ الماءِ والْفِضَّةِ والذهب والحديد وسائر ما ذكرنا فيمكث في الأرض. فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا الماء

(١) الصفُر النحاس، أو نوع منه، ويُطلق أيضاً على الذهب.

المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي دُكرت لأنها كلها تبقى منتفعاً بها، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الرِّبْد الذي يذهب جُفاءً، وكمثل خبث الحديد، وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به.

وموضع كذلك نصبُ، قال أبو زيد: يقال جَفَأَتِ الرَّجُلَ إذا صَرَغَتْه وأَجَفَأَتِ الْقِدْرُ بِرَبْدِهَا إِذَا أَلْقَتْ رَبْدَهَا فِيهِ، ﴿فِيذْهَبُ جُفَاءً﴾. من هذا اشتقاقه، وموضع «جُفَاءً» نصبٌ على الحال، وهو ممدودٌ. وزعم البصريُّون والكوفيُّون جميعاً أنَّ ما كان مثلَ الْقُمَاشِ وَالْقُمَامِ وَالْجُفَاءِ فهذه الأشياءُ تجيء على مثال فُعَالٍ.

وقوله: عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾.

أي لهم الجنة، وجائز أن يكون لهم جزاء المحسنين، وهو راجعُ إِلَى الْجَنَّةِ أيضاً كما قال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ^(١)﴾. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾.

وسوء الحساب ألا تقبل منهم حسنة ولا يُتَجَاوَزَ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَةٍ، وَأَنْ كُفِّرَهُمْ أَحَبُّ أَعْمَالِهِمْ كما قال: .. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٢) وقيل سوء الحساب أن يُسْتَقْصَى عَلَيْهِ حَسَابُهُ وَلَا يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، وكلاهما فيه عطب^(٣). ودليل هذا القول الثاني: من نوقش الحساب عُدْبٌ، وتكون سوء الحساب المناقشة^(٣).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَذَرَاوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

(١) سورة الرحمن.

(٢) أول سورة القتال.

(٣) استقصاء الحساب أو عدم التجاوز. أي سوء المناقشة.

أي يدفعون، يقال: دَرَأْتُهُ إِذَا دَفَعْتُهُ.
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾.
﴿جَنَّاتٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿عُقْبَى﴾، وعَدْنٌ: إقامة، يقال: عَدَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ فِيهِ.
﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.
موضع «مَنْ» رفع، عطف على الواو في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾^(١) وجائز أن يكون نصباً، كما تقول قد دخلوا وزيداً أي مع زيد.

أعلم الله - عز وجل - أن الأنساب لا تنفع بغير أعمال صالحة فقال:
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِمَّنْ جَرَى ذِكْرُهُ^(٢).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.
أي يقولون سلام عليكم بما صبرتم. هذه مكرمة من الله عز وجل
لأهل الجنة، والمعنى يدخلون عليهم من كل باب يقولون ﴿سلام عليكم﴾،
فأضمر القول ههنا لأن في الكلام دليلاً عليه.
وقوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.
يعني من رجع إلى الحق.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في موضع نصب رَدًّا على مَنْ، المعنى يهدي إليه الذين
آمَنُوا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي إذا ذكر الله بوحدانيته آمنوا به غير
شاكِّين.
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

(١) القاعدة العامة عند البصريين أن لا يعطف على ضمير الرفع المتصل إلا إذا كان هناك فاصل
بينه وبين المعطوف، وورد العطف بغير فاصل وهو ضعيف، فهو هنا مفعول معه فما جوزه الزجاج
هو الأولى والأصح، لأن الضمير فاصل ضعيف.
(٢) أي: (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم)، أي إن كان هؤلاء صالحين ألحقوا بذويهم.

«ألا» حرف تنبيه وابتداء، ومعنى ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِثُ الْقُلُوبُ﴾ أي التي هي قلوب المؤمنين لأن الكافر غير مطمئن القلب.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَ﴾.

القراءة بالرفع في ﴿وَحَسُنَ مَا بَ﴾. عطف على ﴿طُوبَى﴾ كما تقول: الحمد لله والكرامة وإن شئت كان نصباً على ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَ﴾، أي جعل الله لهم طوبى وحسن ما بَ، وطوبى عند النحويين فُعْلَى من الطيب، المعنى العيش الطيب لهم. وجاء في التفسير عن النبي ﷺ أن طوبى شجرة في الجنة، وقيل طوبى لهم حسنى لهم، وقيل طوبى لهم خير لهم. وقيل «طوبى» لهم اسم الجنة بالهندية. وقيل طوبى لهم خيرة لهم، وهذا التفسير كله يشبهه قول النحويين أنها فُعْلَى من الطيب.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى﴾.

تُرك جواب «لو» لأن في الكلام دليلاً عليه، وكان المشركون سألوا النبي ﷺ أن يفسح لهم في مكة ويباعد بين جبالها حتى يتخذوا فيها قطائع ويساتين وأن يُحيي لهم قوماً سموهم له، فأعلمهم الله - عز وجل - أن لو فعل ذلك بقرآن لكان يفعل بهذا القرآن.

والذي أتوهمه - والله أعلم - وقد قاله بغض أهل اللغة، أن المعنى: لو أن قرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى لما آمنوا به. ودليل هذا القول قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١).

(١) سورة الأنعام الآية ١١١.

وقوله - عز وجل -: ﴿أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ﴾ .
قيل إنها لغة للنخع ، يئأس في معنى يَعْلَمُ ، وأنشدوا^(١) .

أقول لهم بالشعب إذ يَسْرُونِي ألم تياسوا أني ابن فارس زهدم
وقرئت: أفلم يتبين الذين آمنوا^(٢) ، وقال بعض أهل اللغة: أفلم يعلم
الذين آمنوا علماً يياسوا معه من أن يكون غير ما علموه .

والقول عندي والله أعلم أن معناه أفلم يئأس الذين آمنوا من إيمان
هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون لأنه قال: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ
جَمِيعاً﴾^(٣) .

﴿جَمِيعاً﴾ منصوبٌ على الحال .
﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ .
قبل سَرِيَّةً ، ومعنى قارعة في اللغة نازلة شديدة تنزل بأمر عظيم .
وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ .

قال سيبويه: المعنى فيما يقص عليكم مثل الجنة ، أو مثل الجنة فيما
يقص عليكم ، فرفعه عنده على الابتداء . وقال غيره: مثل الجنة التي وعد
المتقون مرفوع [على الابتداء] وخبره ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كما تقول:

(١) الشعر لسحيم بن وثيل اليربوعي ، وقيل لولده جابر بن سحيم - وزهدم فارس سحيم ، ويسروني
أي يفتسموني كما تقسم الجزور ، ويروي يأسروني من الأسر لأنه كان قد وقع في سباء ، ويروي
أنني ابن قاتل زهدم ، وهو رجل من عبس - فعلى هذا يكون الشاعر سحيم - ويروي البيت: ألم
يياسوا أني ابن فارس لازم - وعليها يكون الشعر له أيضاً ، ويئأس بمعنى يعلم في لغة هوازن ، ويقال
هي لغة حي من النخع

انظر اللسان (يشس) وشواهد الكشف ١١٠ - والبيت من شواهد النحو الشائعة .

(٢) قرأها جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب .

(٣) وتكون «أن لو يشاء الله» في موضع جر بحرف محذوف أي لأن لو يشاء الله ، والظاهر أنها
تفسيرية .

صفةُ فلانٍ أَسْمَرُ كقولك: فلان أَسْمَر. وقالوا معناها صفة الجنة التي وعد المتقون. وكلا القولين حسن جميل.

والذي عندي - والله أعلم - أن الله عز وجل، عَرَفْنَا أُمُورَ الجنة التي لم نَرَهَا. ولم نُشَاهِدَهَا بما شَاهَدْنَاهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَعَايِنَاهُ. فالمعنى ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ جَنَّةٌ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾. وقوله عز وجل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

أي يمحو الله ما يشاء مما يكتبه الحفظة على العباد ويثبت. قال بعضهم: يمحو الله ما يشاء ويثبت، أي من أتى أَجَلُهُ مُجِئًا، ومن لم يَأْتِ أَجَلُهُ أَثْبَتَ، وقيل يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ أَي يَنْسَخُ مَا أَمَرَ بِهِ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ أَي وَيُبْقِي مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

أي أصل الكتاب.

وقيل يمحو الله ما يشاء ويثبت أي مَنْ قَدَّرَ لَهُ رِزْقًا وَأَجَلًا مَحَا مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ وَأَثَبَ مَا يَشَاءُ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُرَيْنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾.

«إن» أَدْخَلْتَ عَلَيْهَا مَا لَتُوكِذِ الشَّرْطِ. دخلت النون مؤكدة للفعل.

﴿أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ﴾.

عطف على ﴿نُرَيْنَاكَ﴾ وجواب الجزاء: ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ أي علينا الحساب لِنَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ.

والمعنى إما أَرَيْنَاكَ بَعْضَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ مِنْ إِظْهَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، أو توفيناك قبل ذلك، فليس عليك إِلَّا الْبَلَاغُ - كَفَرُوا بِهِ أَوْ

آمنوا. ثم أعلم الله أن بيان ما وعدوا به قد ظهر وتبين فقال عز وجل:
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

أي أو لم يروا أنا قد فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم،
ودليل هذا القول قوله عز وجل في موضع آخر: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ
نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

وقيل في تفسير هذه الآية ما وصفنا، وقيل غير قول. قيل نقصها من
أطرافها موت أهلها. ونقص ثمارها، وقيل نقصها من أطرافها بموت العلماء،
والقول الأول بين.

وقوله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾.

وَقُرِئَتْ: وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ، ومعنى الكفار والكافر ههنا واحد. الكافر اسم
للجنس، كما تقول قد كثرت الدراهم في أيدي الناس، وقد كثر الذرهم في
أيدي الناس.

وقرأ بعضهم وسيعلم الكافرون، وبعضهم وسيعلم الذين كفروا. وهاتان
القراءتان لا تجوزان لمخالفتهما المصحف المجمع عليه، لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

الباء في موضع رفع مع الاسم^(٢)، المعنى كفى الله شهيداً، وشهيداً
منصوب على التمييز.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.

و«من» يعود على الله عز وجل، وقيل في التفسير يعنى به عبد الله بن

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٤.

(٢) الباء حرف جر زائد، ولفظ الجلالة فاعل، ولا معنى لاعتبارها مع الاسم بعدها كلمة واحدة.

سَلَامٌ^(١) وقيل ابن يامين^(٢)، والذي يدل على أنه راجع إلى الله عز وجل - قراءة من قرأ «وَمِنْ عِنْدِهِ» علمُ الكتاب، ومن عنده علم الكتاب لأن الأشبه، والله أعلم - أن الله لا يَسْتَشْهَدُ على خلقه بغيره.

وذلك التفسير جائز لأن البراهين إذا قامت مع إعراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمرٌ مؤكَّد.

(١) عبد الله بن سلام بن الحرث من بني قينقاع أسلم سنة ثمان من الهجرة. وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، روى عنه عدد من الصحابة ومن بعدهم ومنهم ابنه محمد ويوسف. وأوصى معاذ بن جبل أن يؤخذ العلم عن أربعة هم أبو الدرداء، وسلمان الفارسي، وابن مسعود وابن سلام هذا. وكان حصيف الرأي. عندما جاء يعلن إسلامه طلب من رسول الله ﷺ أن يسأل اليهود عنه فإنه سيدهم وقد يطعنونه بعد إسلامه، وهو الذي أشار على علي ألا يخرج من المدينة إلى العراق وقال له: الزم منبر رسول الله ﷺ فإنك إن تركته لا تراه، وفيه نزل من القرآن هذه الآية، وآية «قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم» انظر ترجمته في الإصابة ٤٧٢٥.

(٢) هو يامين بن يامين الاسرائيلي. لما أسلم ابن سلام قال يامين أنا أشهد بمثل ما شهد ونزلت فيه الآية «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله». الإصابة ٩٢١٧.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

مكية إِلَّا اثْنَتَيْنِ مِنْهَا

نزلت بالمدينة ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله ﴿إلى قوله: ﴿وبش
القرار﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الرَّكِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾.

كتاب مرفوع على خبر الابتداء، المعنى هذا كتاب أنزلناه إليك، وقال بعضهم كتاب مرتفع بقوله «الر» و«الر» ليست هي الكتاب إنما هي شيء من الكتاب. ألا ترى قوله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾^(١)، فإنما الكتاب جملة الآيات وجملة القرآن.

وقوله: ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

﴿الظلمات﴾ ما كانوا فيه من الكفر، لأن الكفر غير بَيِّنٍ فَمُثِّلَ بِالظُّلُمَاتِ، والإيمان بَيِّنٌ نَيْرٌ فَمُثِّلَ بِالنُّورِ، والباء متصلة بـيُخْرِجُ، المعنى ليُخْرِجَ النَّاسَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، أي بما أذن الله لك من تعليمهم، ويجوز أن يكون بِإِذْنِ رَبِّهِمْ أنه لا يهتدي مهتدٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ ومشيتته، ثم بَيِّنَ ما النور فقال: ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

(١) أول سورة الحجر.

﴿الحميد﴾ خفض من صفة ﴿العزیز﴾ ويجوز الرفع على معنى الحميدُ الله، ويرتفع الحميدُ بالابتداء وقولك «الله» خبر الابتداء، ويجوز أن يرفع الله ويخفض الحميدُ على ما وصفنا. ويكون اسم الله يرتفع بالابتداء.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَبْتَغُونَهَا عِوَجًا﴾.

أَيُّ يَطْلُبُونَ غير سَبِيلِ الْقَصْدِ وصراطِ الله وهو الْقَصْدُ، والعوج في الدين مبني على فعل، وفي الْعَصَا عَوَجٌ بفتح العين. ونصب ﴿عِوَجًا﴾ على الحال مصدر موضوع في موضع الحال.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

أي بلغة قومه ليعقل عنه قومه، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، الرفع هو الوجه وهو الكلام وعليه القراءة، والمعنى إنما وقع الإرسال للبيان لا للإضلال، ويجوز النصب على وجه بعيد، فيكون ﴿لَنُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ويكون سبب الإضلال الصيرورة إليه كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١)، أي التقطوه فآل ذلك إلى أن صار لهم عدوًّا وحزنًا، ولم يلتقطوه هم ليكون لهم عدوًّا وحزنًا، وكذلك يكون: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، أي فيؤول الأمر إلى أن يضلُّوا فيضلُّهم الله. والقول الأول هو القول وعليه القراءة.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي البرهان الذي دل على صحة نبوته، نحو إخراج يده بيضاء وكون العصا حية.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ﴾.

(١) سورة القصص آية ٨ - وهو يريد أن عدو تحتمل الرفع والنصب - والرفع يأتي على أنه اسم كان، وفي هذه الحالة ترفع حزنًا أيضًا. أي ليحدث لهم عدو وحزن.

أي بَأْن أُخْرِجَ قَوْمَكَ. المعنى أرسلناه بَأْن يخرج قومه ﴿من الظلمات إلى النور﴾، أي من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، و«أَنْ» ههنا يصلح أَنْ يكون في معنى «أَنْ» المخففة، وتكون مُفسِّرةً، ويكون المعنى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج قومك، كَأْن المعنى قلنا له: أخرج قَوْمَكَ^(١)، ومثل هذا: ﴿وانطلق المَلَأُ منهم أَنْ امشوا﴾^(٢)، أي امشوا. والتأويل: قالوا لهم: امشوا.

قال سيبويه تقول كتبت إليه أَنْ قُمْ، وأمرته أَنْ قُمْ، إن شئت كانت «أَنْ» وصلت بالأمر، والتأويل تأويل الخبر، المعنى كتبت إليه أَنْ يَقُومَ وأمرته أَنْ يَقُومَ، إلَّا أَنَّهَا وُصِلَتْ بلفظ الأمر للمخاطب، والمعنى معنى الخبر، كما تقول، أنت الذي فعلت، والمعنى أنت الذي فَعَلَ^(٣)، قال: ويجوز أَنْ يكون في معنى أي، ومثله أرسلت إليه أَنْ مَا أَنْتَ وَذَا.

وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾.

﴿ذَكِّرْهُمْ﴾ عطف على ﴿أَخْرِجْ﴾، وتذكيرهم بأيام الله، أي تذكيرهم بنعم أيَّامِ الله عليهم، وبنقم الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود، أي ذكرهم بالأيام التي سَلَفَتْ لمن كفر وما نزل بهم فيها، وَذَكِّرْهُمْ بنعم الله، والدليل على أن التذكير مشتمل على الإنذار والتَّحْذِير مما نزل بِمَنْ قبلهم قوله عز وجل بعد هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ [وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ]﴾.

أي ألم يأتهم أخبار أولئك والنوازل بهم، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾.

فأعلم الله أن بعد هؤلاء أمماً قد مضى من كان يعلم أنباءها، ومن هذا

(١) أن المفسرة هي التي تسبق بكلام في معنى القول دون حروفه.

(٢) سورة ص الآية ٦.

(٣) أنت وهي في هذا الوضع كالاسم الظاهر - وهو كالغائب - فانت كتبت إليه يقوم - وكتبت إليه أن قم - وأن هنا تفسيرية.

فيل: كذب النَّسَابُونَ لأنهم لا يعلمون من كان بعد هؤلاء، وهذا يروى عن النبي ﷺ.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾.

يروى عن ابن مسعود أنهم عَضُوا أُنَامِلَهُمْ غِيظًا مِمَّا أَتَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وقيل: ﴿رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، أومأوا إلى الرسل أن اسكتوا، وقيل ردوا أَيْدِيَهُمْ، الهاء والميم يرجعان على الرسل، المعنى ردوا أيدي الرُّسُل أي نَعَمَ الرُّسُلُ لَأَن مَجِيئَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ نَعَمٌ، تقول: لفلان عندي يَدٌ أي نِعْمَةٌ، ومعنى فِي أَفْوَاهِهِمْ بِأَفْوَاهِهِمْ، أي ردوا تلك النعم بالنطق بالتكذيب لَمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، والمعنى أَنَّ الرَّدَّ جَاءَ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ، وفي معناها، كما تقول: جلست في البيت، وجلست بالبيت.

وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾.

هذا هو الرَّد^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿استفتحوا﴾ يُعْنَى بِهِ الرُّسُلُ، سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِمْ أَيَّ يَنْصُرُهُمْ، وكل نَصْرٍ فَهُوَ فَتْحٌ، والجَبَّارُ الَّذِي لَا يَرَى لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقًّا، والعنيد الذي يعدل عن الْقَصْدِ، يقال جبار بَيْنَ الْجَبْرِئَةِ، وَالْجَبْرِئَةِ - بكسر الجيم - وَالْجَبْرِئَةِ بكسر الجيم والباء، وَالْجَبْرُوتُ وَالْجَبْرُوتَةُ^(٢)، وَالتَّجْبَارُ وَالْجَبْرِيَاءُ، وَالْجَبْرُوتُ وَالْجَبْرُوتُ.

﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾.

أي جهنم بين يديه، و«وراء» يكون لخلف وقُدَّام، وإنما معناه ما توارى

(١) أي الرَّدَّة والكُفْر.

(٢) الأولى بضم الراء والثانية بفتحها.

عنك أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة، قال
الناطقة: (١)

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وليس وراءَ اللَّهِ للمرءِ مَذْهَبُ
أي ليس بعد مذاهب الله للمرء مذهب .
﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ .
أي مما يسيل من أهل النار من الدَّم والقيح .
﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ .
أي لا يقدر على ابتلاعه، يقال ساغ لي الشراب وأسغته .
﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ .
أي من بعد ذلك .
وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ .

فهو مرفوع على معنى وفيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بِرَبِّهِمْ، أو
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ-فيما يتلى عليكم، وجائز أن يكون - والله أعلم - مثل
الذين كفروا بربهم صفة ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾ (٢)، كأنك قلت: ﴿الذين
كفروا بربهم أعمالهم﴾، كما تقول صفة زيد أسمر، المعنى زيدٌ أسمرٌ وتأويله
أن كل ما يتقرب به الذين كفروا إلى الله فمُحْبَطٌ، قال الله عز وجل: ﴿حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٣). ومثله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) .

(١) من اعتذاريات الناطقة انظر الأغاني ٧/١١، ٢٢ .

(٢) مبتدأ وخبر، أي أعمالهم تحدد صفاتهم، أو صفاتهم ظاهرة من أعمالهم .

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٢: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ والآية ١١٦:
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

(٤) أول سورة القتال .

وقوله: ﴿وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

أي جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع.

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾، وهم الأتباع.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم المتبوعون.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.

أي اتبعناكم فيما دعوتمونا إليه، وتبعاً جمع تابع، يقال تابع وتبع، مثل غائب وغيب، وجائز أن يكون تبع مَصْدَرًا سُمِّيَ به، أي كنا ذوي تبع.

وقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنا أَمْ صَبْرُنَا﴾.

﴿سواء﴾ رفع بالابتداء، و ﴿أَجْرُنَا﴾ في موضع الخبر.

﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ﴾.

أي ما لنا من مهرب ولا مَعْدِلٍ عن العذاب، يقال حاص عن الشيء يَحِصُّ، وَجَاصَ عنه يَحِصُّ في معنى واحدٍ. وهذه اللغة لا تجوز في القرآن ويقال: وقع في حَيْصٍ بَيْصٍ، وَحَاصٍ بَاصٍ وَحَاصٍ بَاصٍ، إذا وقع فيما لا يقدر أن يتخلص منه.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾.

روي أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار قام إبليس عليه لعنة الله خطيباً، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾، أي وَعَدَ من أطاعه الجنة ووعد من عصاه النار، ﴿ووعدتكم﴾ خلاف ذلك وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ. أي ما أظهرت لكم مِنْ حُجَّةٍ.

﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

أي أغويتكم وأضللْتُكُمْ، فاتبعتموني. ذكر الله - عز وجل - أن إبليس.

وما يقوله في القيامة تحذيراً من إضلاله وإغوائه .

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ .

أي ما أنا بمُغيثكم ، ولا أنتم بمُغيثي ، قُرِئَتْ بِمُصْرِخِيَّ - بفتح الياء ، كذا قرأه الناس ، وقرأ حمزة والأعشى بِمُصْرِخِيَّ بكسر الياء ، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين ، وذلك أن ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حُرِّكَتْ إلى الفتح : تقول : هذا غلامي قد جاء ، وذلك أن الاسم المضمَّرَ لِمَا كان على حرف واحد وقد منع الاعراب حرك بأخف الحركات ، كما تقول : هو قائم فتفتح الواو ، وتقول : أَنَا قُمْتُ فتفتح النون ، ويجوز إسكان الياء^(١) لِثِقَلِ الياء التي قبلها كسرة ، فإذا كان قبل الياء سَاكِنٌ حُرِّكَتْ إلى الفتح لا غير ، لأن أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها ، وإذا كان قبلها ساكنٌ صارت حركتها لازمةً لالتقاء الساكنين ، . ومن أجاز بِمُصْرِخِيَّ بالكسر لَزِمَهُ أن يقول : هذه عَصَاي أَتَوَكَّأُ عليها^(٢) ، وأجاز الفراء على وجه ضعيف الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، وأنشد :

قال لها هل لك يا ثافِي قال له مَا أَنتَ بِالْمَرْضِيِّ^(٣)

(١) من غلامي .

(٢) تفتح الياء للسكون قبلها .

(٣) من رجز للأغلب العجلي ، شاعر غضرم من أَرْضِ الرِّجَاز شعراً ، وهو أول من أطال الرجز وكان الرجل قبله يقول البيت أو البيتين يفاخر أو يشاتم وقد شبه العجاج نفسه به فقال :

أني أنا الأغلب أضحي قد نشر

أسلم الأغلب وحسن إسلامه ، وحارب في العراق مع سعد بن أبي وقاص واستشهد يوم نهاوند . انظر الخزائن ٣٣٢ ح ١ ، والبيت في ٢٥٧ ح ٢ ، وفي معاني الفراء ٧٦ ح ٢ ، قال سمعت بعض العرب ينشد . . . فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فينخفض الآخر منها

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعَمَلٌ مثل هذا سهلٌ، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله عز وجل.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ﴾.

إني كفرت بشرككم - أيها التباع - إياي بالله^(١)، كما قال - عز وجل - : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معناه وجيع مؤلم.

وقوله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

ضرب الله - عز وجل - للإيمان به مثلاً، وللکفر به مثلاً، فجعل مثل المؤمن في نطقه بتوحيده والإيمان بنبیه وأتباع شریعته، كالشجرة الطيبة. فجعل نفع الإقامة على توحیده كنفع الشجرة الطيبة التي لا ينقطع نفعها وثمرها، وجاء في التفسير أن الشجرة الطيبة النخلة، والدليل على أن هذا المثل يراد به توحيد الله، والإيمان بنبیه وشریعته قوله - عز وجل - :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

وقوله : ﴿تُوتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

اختلف الناس بتفسير الحين، فقال بعضهم كل سنة، وقال بعضهم : كل

= وإن كان له أصل في الفتح، وجعله مثل مَدِّ اليوم.

وتأ اسم إشارة للمؤث، أي يا هذه في، يعرض عليها أن تزوجه، وذكره المازوقي في شواهد الكشف وقال إنه مجهول القائل. قال البغدادي : وأعلم أن الفراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة والشعر، وقد خفض الياء من مصرخي الأعمش ويحيى بن وثاب.

(١) كفرت بجعلكم لي شريكاً لله.

(٢) سورة فاطر الآية ١٤.

سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وقال بعضهم: غُدُوَّةٌ وَعَشِيَّةٌ. وقال بعضهم: الحين شهران.

وجميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أنَّ الحين اسم كالوقت، يصلح لجميع الأزمان كلها طالَّت أو قصرت. فالمعنى في قوله [تعالى] ﴿تَوَتَّى أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أنها ينتفع بها في كل وقتٍ، لا ينقطع نفعها البتَّة، والدليل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة، أنشدته الأصمعي في صفة الحيَّة والملدوغ^(١).

تناذرهما الراقون منُ سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تُراجعُ

فالمعنى أن السم يخط ألمه في وقت ويعود وقتاً.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾.

قيل إن الشجرة الخبيثة الحنظل وقيل الكوث^(٢).

﴿اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾.

معنى ﴿اجتثت﴾ استؤصلت من فوق الأرض، ومعنى اجتثت في اللُّغَةِ

أَخَذَتْ جُثَّتَهُ بِكَمَالِهَا:

﴿مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾.

فالمعنى أنَّ ذَكَرَ اللَّهُ بِالْتَّوْحِيدِ يَبْقَى أَبَدًا وَيَبْقَى نَفْعُهُ أَبَدًا، وأنَّ الْكُفْرَ

وَالضَّلَالَ لَا ثُبُوتَ لَهُ.

(١) من عينية التي مطلعها:

عفا ذو حسا من فرتني فالقوارع

وقبله:

فبست كاني ساروتني صئيلة من الرقط في أنيابها السم ناقع

انظر الديوان ص ٦٧.

(٢) نبت كالعليق يتسلق أغصان الشجر من غير أن يضرب يعرق في الأرض قال الشاعر:

هو الكوث فلا أصل ولا وَرَقَ وَلَا نسيْمَ ولا ظل ولا شجرُ

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ﴾.

روي أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، فإذا مات المَيِّتُ قيل له: مَنْ
رَبُّكَ وما دِيْنُكَ ومن نَبِيِّكَ، فإذا قال: اللَّهُ ربي ومحمدُ نبيّ والإسلام ديني،
فقد ثَبَّتَهُ اللَّهُ بالقول الثابت في الآخرة لأن هذا بَعْدَ وفاته، وثبّيته في الدنيا،
لأنه لا يلفقه في الآخرة إلا أن يكون ذلك عقدة في الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ
الْبَوَارِ﴾.

والبوار الهلاك والاستئصال.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾.

﴿جهنم﴾ بدل من قوله ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ ومُفسِّرة... وجهنم لم تُصَرَّفْ
لأنها مؤنثة وهي معرفة.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾.

النَّدُ المِثْلُ، بيّن وجه كفرهم.

﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وليُضِلُّوا، قرئ بهما جميعاً.

وقوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

إن شئت حرّكت الياء^(١)، وإن شئت أسكنتها، ويقومون جزم على
جواب الأمر، وفيه غير وجه، أجودها أن يكون مبنياً، لأنه في موضع الأمر،
وجائز أن يكون مجزوماً بمعنى اللام إلا أنها أُسْقِطَتْ، لأن الأمر^(٢) قد دل
على الغائب بقُلْ، تقول: قل لزيد ليضربَ عمرًا، وإن شئت قلت: قل لزيدِ

(١) من عبادي.

(٢) رأي له والأكثرون على الرأي الثاني.

يَضْرِبُ عَمْرًا، ولا يجوز قل يضرب زَيْدٌ عَمْرًا ههنا بالجزم حتى تقول ليضرب، لأن لام الغائب ليس ههنا منها عوض إذا حذفته. وفيها وجه ثالث على جواب الأمر على معنى قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة، لأنهم إذا آمنوا وَصَدَّقُوا، فإن تصديقهم بقوله (١) أمر الله - عز وجل - .

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ .

إن شئت رفعت البيع والخلال جميعاً، وإن شئت نصبتها جميعاً بغير تنوين وإن شئت نصبت أحدهما ورفعت الآخر، فالنصب على النفي بلا، وقد شرحنا ذلك فيما سلف من الكتاب، والخلال والخلة في معنى الصداقة .

وقوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ .

معناه: دائبين في إصلاح ما يصلحانه من الناس والنبات لا يفتران .

﴿وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ .

وتقرأ من كُلِّ ما سألتموه [بتنوين كل]، فموضع «ما» خفض بالإضافة والمعنى من كل الذي سألتموه، ومن قرأ من كُلِّ ما سألتموه، فموضع ما نَصَبٌ، والمعنى وآتاكم من كل الأشياء التي سألتموه (٢) .

فإن قال قائل: فقد أعطى العباد ما لم يسألوا. قيل له ذلك غير ناقض هذه الآية، إذا قال: «وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ الَّذِي سَأَلْتُمُوهُ» لم يوجب هذا أن يكون لم يعطهم غير ما سألوه، ويجوز أن يكون «ما» نفياً، ويكون المعنى وآتاكم من كُلِّ ما لم تسألوه، أي آتاكم كل الشيء الذي لم تسألوه (٣) .

(١) بقبولهم - خبر أن، أي إن تصديقهم يتحقق بقبولهم أمر الله. وانظر الجزء الأول.

(٢) أعطاكم من كل الأشياء التي طلبتموها ولم يحرمكم شيئاً.

(٣) لا يبدو هذا الوجه جيداً - وإنما يكون التقدير أعطاكم من كُلِّ، أي من كل شيء وتكون جملة «ما سألتموه» جملة مستقلة - بمعنى لم تسألوه ولكنه أعطاكم فضلاً منه، بدون سؤال.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

هذا اسم للجنس يقصد به الكافر خاصة، كما قال: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١)، والإنسان غير
المؤمن ظلوم كفار.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾.

يعني مكة

﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

ونقرأ وأجنيبي وبني على أجنيته كذا وكذا إذا جعلته ناحية منه، وكذلك
جنيته كذا وكذا.

ومعنى الدعاء من إبراهيم عليه السلام أن يُجَنَّبَ عبادة الأصنام، وهو
غير عابد لها على معنى ثبتي على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿واجعلنا مسلمين
لك﴾^(٢) أي ثبتنا على الإسلام.

﴿رَبِّ إِنَّهُمْ اضْلَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾.

أي ضلُّوا بسببها، لأن الأصنام لا تعقل ولا تفعل شيئاً، كما تقول قد
فتنتني هذه الدار، أي أنا أحببتها واستحسنتها، وافتنت بها.
﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي فإنك غفور رحيم له إن تاب وإن آمن، لا أنه يقول إن من كفر [فإن
الله غفور رحيم] فإن الله لا يغفر له، ألا ترى قوله في أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^(٣).

(١) أول سورة والعصر - والغرض أن آل في الإنسان للجنس.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٨. (٣) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

أي اجعل أفْتِدَةً جماعةً مِنَ الناس تنزع إِلَيْهِمْ، ويجوز تَهْوِي إِلَيْهِمْ، فمن قرأ تهوي إِلَيْهِمْ فَهُوَ على هَوَى يَهْوِي إذا ارتفع^(١)، ومن قرأ تَهْوِي إِلَيْهِمْ فعلى هَوِي يَهْوِي إذا أحب، والقراءة الأولى هي المختارة.

وقوله عز وجل: ﴿اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

أي واجعل من ذُرِّيَّتِي من يقيم الصلاة.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾.

القراءة بغير ياء [في دعائي] إذا وقفت، فإذا وصلت فأنت بالخيار إن شئت قلت دعاءً بغير ياء، وكانت الكسرة في الهمزة تنوب عن الياء، والأجود إثبات الياء، وإن شئت أسكنتها، وإن شئت فتحتها.

وقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عَدُوٌّ لِلَّهِ، فلما تبينَ لَهُ ذلك تبرأ منه، وقيل إنه يَعْنِي بوالديه هنا آدمَ وحواءَ، وقيل أَيْضاً وَلَوْلَدَيَّ، يعني به إسماعيل وإسحاق، وهذه القراءة ليست بشيء لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.

يعني يوم القيامة، و«يوم» منصوب باغْفِرْ لِي.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ منصوب على الحال، المعنى إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه

(١) كذا بالأصل وهو سهو إذ هو بمعنى سقط ووقع.

أَبْصَارُهُمْ مُهْطِعِينَ أَي مُسْرِعِينَ، قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

بَدَجَلَةٌ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ بِدَجَلَةٍ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ
أَي مُسْرِعِينَ.

و «مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ» رَافِعِيهَا مُلْتَصِقَةٌ بِأَعْنَاقِهِمْ، وَالْمَقْنَعُ الرَّافِعُ،
وَالْمَقْنَعُ الْمَرْتَفِعُ قَالَ الشَّاعِرُ: ^(٢).

يُبَادِرُنَ الْعِضَاةَ بِمُقْنَعَاتٍ نَوَاجِذَهُنَّ كَالْحَدَا الْوَقِيعِ.

يُصِفُ إِبِلًا تَرَعَى الشَّجَرَ وَأَنَّ أَسْنَانَهَا مَرْتَفَعَةٌ كَالْفُؤُوسِ.
وَقَوْلُهُ: «وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ».

أَي مُنْحَرَفَةٌ لَا تَعِي شَيْئًا مِنَ الْخَوْفِ، وَقِيلَ نَزَعَتْ أَفْتَدَتْهُمْ مِنْ أَجْوَاهِهِمْ
قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظُّلْمَاءِ جَوَّوْهَا هَوَاءٌ.
وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ».

الْقِرَاءَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ الْأُولَى، مِنْ «لِتَزُولَ» وَفَتْحِ اللَّامِ الْآخِيرَةِ، هِيَ قِرَاءَةُ
حَسَنَةٍ جَيِّدَةٍ^(٤)، وَالْمَعْنَى وَمَا كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ، أَي مَا كَانَ

(١) هُوَ يُزِيدُ بْنُ مَفْرَغٍ - اللِّسَانُ (مُهْطَعٌ) - الْقُرْطُبِيُّ ٢٧٩/٩.
وَعِجَازُ أَبِي عَيْبَةَ ٣٤٣/١.

(٢) هُوَ الشَّمَاخُ. انْظُرِ اللِّسَانَ (غَضَهُ - قَنَعَ - حَدَا) وَرَوَايَتُهُ هُنَاكَ يَبَاكِرُنَ، وَفِيهِ (عَضَهُ) يَبَادِرُنَ كَمَا هُنَا - وَالْعِضَاةُ كُلُّ شَجَرٍ يَعْظُمُ وَلَهُ شَوْكٌ، وَالوَاحِدُ عَضَةٌ. وَالْحَدَا بِكَسْرِ الْحَاءِ، وَيُرْوَى بِالْفَتْحِ أَيْضًا جَمْعُ حَدَاةٍ، وَهِيَ فُؤُوسٌ صَغِيرَةٌ تَنْقُرُ بِهَا الْحِجَارَةُ، وَأَيْضًا الْفَأْسُ ذَاتُ الرَّاسَيْنِ - يُصِفُ الْإِبِلَ بِأَنَّهَا تَأْكُلُ هَذِهِ الْأَشْجَارَ بِأَسْنَانٍ حَادَّةٍ وَبِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ فَكَأَنَّهَا تَقْتَطِعُهَا بِهِذِهِ الْفُؤُوسِ - وَالْقَمْعُ الْمَقْنَعُ الَّذِي تَنْحِي أَسْنَانُهُ إِلَى الدَّخَالِ.

(٣) لَزْهَرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى يُصِفُ نَاقَتَهُ، وَانْصَعَلَ الْمَنْجَرْدُ شَعْرَ الرَّأْسِ وَالصَّغِيرُ الرَّأْسُ، وَالظُّلْمَانُ جَمْعُ ظُلِيمٍ وَهُوَ وَلَدُ النَّعَامِ، وَالْجَوْجُؤُ الصَّدْرُ، يَقُولُ كَانَ رَحْلُهُ لَيْسَ عَلَى سَنَامٍ نَاقَةٍ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى ظُلِيمٍ غَيْرٍ مَثْقَلٍ بِالطَّعَامِ نَشِيطٌ خَفِيفُ الْحَرَكَةِ. انْظُرِ شَوَاهِدَ الْكَشَافِ ص ٥.

(٤) عَلَى أَنَّ «مَا» نَافِيَةٌ.

مكرهم ليزول به أمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام وثبوتُه لثبوت الجبال الراسية، لأن الله عز وجل وَعَدَ نَبِيَّهٖ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِظْهَارَ دِينِهِ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ فَقَالَ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) ودليل هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾.

أي لا يخلفهم ما وعدهم من نصرهم وإظهار نبوتهم وكلمتهم، ويقرأ ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ على الرفع وفتح اللام الأولى. ومعناه معنى حَسَنٌ صحيحٌ، والمعنى: وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإنَّ الله ينصُرُ دينه، ومَكْرُهُمْ عنده لا يخفى عليه.

فإنَّ قَالَ قَائِلٌ: فهل زالت الجبال لمكرهم؟ فقد روي في بعض التفسير قصة التابوت والنسور، وأن الجبال ظنت أن ذلك أمر من أمر الله عظيم فزالت، وقيل هذا في قصة النمرود ابن كنعان؛ ولا أرى لنمرود ههنا ذكراً^(٢)، ولكنه إذا صحت الأحاديث به فمعناه أنَّ مَكْرَ هؤلاء لو بلغ مكر ذاك لم ينتفعوا به، وأما مَا تُوجِيهِ اللُّغَةُ وخطابُ العَرَبِ فأن يكون المعنى وإن لم يكن جبل قط، زال لمكر المبالغة في وصف الشيء أن يقال: لو بلغ ما لا يُظَنُّ أنه يبلغ ما انتفع به، قال الأعشى^(٣):

(١) سورة التوبة الآية ٣٣، وسورة الصف الآية ٩.

(٢) قصة النسور والتابوت والنمرود - تنسب إلى علي بن أبي طالب وإلى عكرمة، وهي من الإسرائيليات التي لا تصدق - وخلاصتها أن نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه اتخذ تابوتاً حمله أربعة فروخ من النسور ظلت تعلو به يومين حتى غابت عنه الأرض ولم ير الساء تغيرت فأخذ سهماً ورمى للأعلى فعاد إليه ملوثاً بالدم. فقال قد قتلت إله إبراهيم، واتجه نازلاً فسمعت الجبال خفق التابوت فظنت الساعة قد قامت فكادت تنزع وتزول من أماكنها.

وقول الزجاج: لا أرى لنمرود هنا ذكراً - يعني أنه لا مكان لذكره هنا، والقصة كما ترى لا مساغ لصحتها.

(٣) من قصيدته التي أولها:

ألا قل لثيا قبل بنيتها اسلمي تحية مشتاق إليها متيم

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورُقيت أسباب السماء بسلم
لَتَسْتَدْرِجَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْزِهَ وتعلم أنه عنكم غير منجم
فإنما بالغ في الوصف وهو يعلم أنه لا يُرَقَّى أسباب السماء، ولا يَكُونُ
في جُبِّ ثمانين قامةً فيستدْرِجُهُ الْقَوْلُ.

فالمعنى على هذا: لو أزال مكرهم الجبال لما زال أمر الإسلام وما أتى
به النبي ﷺ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾.

وقرئت مخلفٌ وعده رُسُلُهُ، وهذه القراءة التي بَنَصَبِ الْوَعْدِ وَخَفَضِ
الرُّسُلِ شاذَّةٌ رديئة، لا يجوز أن يفرق بين المَضَافِ والمُضَافِ إِلَيْهِ، وأنشدوا
في مثل هذا^(١).

وتباً تصغيرتا، اسم الإشارة للمؤنث، فصغر المبنى والبيتان من شواهد الكشف ومعها البيت:
وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر الفتاة من الدم
انظر شرح شواهد المغني ٢٩٨ - ورواية المروزقي فلو كنت في جب.
وقد ذكر له وجهين من الشرح - وأقربهما أنه تهديد بالهزاء وأنه لا يغلق من لسانه مها غاص في
الأرض أو صعد إلى السماء. وتهزه أي تكرهه وتبغضه وتشرق بهجائي فلا تكاد تسيغنه، وقيل إنه
يصف رجلاً بعدم القدرة على كتم السر - ولكن بعيد - وانظر شرح القصيدة في الديوان تحقيق
محمد حسين.

(١) البيت في ابن يعيش ١٩/٣، ومعاني الفراء ٣٥٨/١، ٨١/٢. ولم يذكر قائله - ويروى زح
القلوص أبو مزادة. وأيضاً رواية فرجتها متمكناً وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة من
شواهد الخزانة - وقد أفاضت في شرحه وتوجيهه وجاء فيها: «وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو
كتاب سيبويه» - وأنه من زيادات الأخفش فظنه الشراح من شواهد سيبويه - ويرجع اختلاف
الشراح الكثيرين إلى مذهب البصريين وسيبويه من عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف
إليه. وهو هنا فصل بينهما بكلمة القلوص، وهي مفعول به.
واختلف في مرجع الضمير في زججتها - فليل للناقة، ومعنى زججتها طعنتها بالزج وهو الحديد
التي في أسفل الرمح - وقيل الضمير للمرأة - يريد القائل أنه زج امرأته بمزجة - وهي آلة الزج -
بكسر الميم - ولم يرضه البغدادي صاحب الخزانة.

فَزَجَّجْتُهَا بِمَزْجَةٍ زَجَّ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَادَهُ

المعنى فزججتها بمزجة زجَّ أبي مزادة القلوص . والقراءة : مُخْلِفٌ وَعْدِهِ
رُسُلُهُ ، كما تقول : هذا مُعْطِي دِرْهَمٍ زَيْدًا .

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ .

إِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ الْيَوْمَ عَلَى النَّعْتِ لِقَوْلِهِ : يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ يَوْمَ تَبْدُلُ
الْأَرْضَ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِقَوْلِهِ ذُو انْتِقَامٍ ، المعنى أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
ذُو انتقامٍ أَي بَيْنَهُمْ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ ، والأرض مرفوعة على اسم
ما لم يسم فاعله ، وَغَيْرَ مَنْصُوبَةٍ عَلَى مَفْعُولٍ مَا لَمْ يَسْمِ فاعله ، تقول : بُدِّلَ
الْخَاتَمُ خَاتَمًا آخَرَ إِذَا كَسَرَ وَصِيغَ صِيغَةً أُخْرَى ، وقد تقول بُدِّلَ زَيْدٌ إِذَا تَغَيَّرَتْ
حَالُهُ ، فمعنى تبديل^(١) الأرض غير الأرض تسيير جبالها وتفجير بحارها وكونها
مستوية لَا يَرَى فِيهَا عِوَجٌ وَلَا أَمْتٌ^(٢) ، فهذا - واللَّهُ أعلم - تبديلها .

﴿وَالسَّمَوَاتِ﴾ .

أَي وَتَبْدُلُ السَّمَوَاتِ غَيْرَ السَّمَوَاتِ ، وَتَبْدِيلُ السَّمَوَاتِ انْتِشَارُ كَوَاكِبِهَا
وَانْفِطَارُهَا وَانْشِقَاقُهَا وَتَكْوِينُ شَمْسِهَا وَخُسُوفُ قَمَرِهَا .

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

أَي خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ بَارِزِينَ

﴿وَوَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ .

= أما زج القلوص - فهو مفعول مطلق - وأبو مزادة شخص يعينه - أي طعنت الناقة بالزج كما يطعن

أبو مزادة ناقة - والقلوص الناقة الشابة - ويروى البيت :

فَزَجَّجْتُهَا مَتَمَكْنًا زَجَّ الْقَلُوصَ أَبُو مَزَادَةَ

ويبدو أن البيت - على كثرة ما أفاض الشراح القدامى والمحدثون فيه - مصنوع لا يصلح للاحتجاج
به .

(١) لعل الأصح أن تكون تبديل الأرض لأنه أخير بمصدر .

(٢) العوج : الانكسار والانخفاض ، وتقدم تفسيره في المعاني والأجسام ، والامت : الارتفاع .

والأصفاد الأغلال، واحدها صَفْدٌ، يقال صَفَدْتُ بالحديد، وَأَصَفَدْتُه،
وصفدتُ في الحديد أكثر، وأصفدته إِذَا أعطيته، وصفدته إِذَا أعطيته أيضاً إلا
أن الاختيار في العطية أصفدته وفي الحديد صفدته، قال الشاعر^(١):

وإن جِئْتَهُ يوماً فَقَرَّبَ مَجْلِسِي وَأَصَفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِداً
معناه أعطاني قائداً.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾.

السربال كل ما لبس، وجعلت سرابيلهم من قطران - والله أعلم - لأن
القطران يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله المبالغة في احراقهم
بغير نار وغير قطران لقدر على ذلك، لكن عَذَّبَ بما يعقل العباد العذاب من
جهته وحذرهم ما يعرفون حقيقته، وقرئت مِنْ قِطْرِ آنٍ، قرأ بها جماعة.
والقِطْر النحاس، وآنٍ قد انتهى مرُّه^(٢).

(١) هو الأعشى، وروايته، في مجاز أبي عبيدة ٢٣٤٥/١، والطبري ١٣/١٥٢: تضيفته يوماً فقرب
مقعدِي - والزمانة الإصابة بمرض مستمر باق على الزمن، والعاهة التي لا تبرأ يقال زمن - كفرح -
يزمن، زَمْنَا وزمانه وزمنة فهو زَمِينٌ، - والصفد والصفد - بفتح الفاء وسكونها - العطاء، يقال
أصفده، وقد يتعدى للمفعولين كما في البيت، وروايته في اللسان (صفد):
تضيفته يوماً فقرب مجلسي: يريد وهب لي قائداً يقودني وأنا أعاني زمانه في جسمي.
(٢) أي بلغ النهاية حتى صار سائلاً.

سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قرئت رُبَّمَا يود بتشديد الباء وتخفيفها، والعرب تقول: رُبَّ رجل جاءني، ويخفقون فيقولون رُبَّ رَجُلٍ، قال الحادرة^(١)
فُسَمِّيَ ما يدريك أن رُبَّ فِتْيَةٍ باكرتْ لَذَّتْهُمْ بِأَدَكْنَ مُتْرَعٍ
يريد سُمِّيَّةَ، فَرَجَّحَ.

(١) الحادرة أو الحويدرة هو قطبة بن أوس الذبياني غلب عليه لقبه ليبت قاله له زياد بن سيار الفزاري وهو:

كانك حادرة المنكبين رصعاء تنقض في حادر
عجوز صفادع محجوبة يطيف بها ولد الحاضر
وكان الحادرة قد تجرد ليترد في غدير، وكان ضخم المنكين أرسح - فغلب عليه اللقب، وهو شاعر جاهلي مقل، وقصيدته هذه جيدة، ذكر صاحب الأغاني جزءاً منها، وذكره ابن سلام في الطبقة التاسعة من الجاهليين، وذكر أربعة أبيات من أول القصيدة، وهي بأكملها في المفضليات والأصمعيات، - ولهذا البيت روايات أخرى ليس بها شاهد. منها: أسمى ما يدريك كم من فتية - والمعنى واحد لأن رب هنا تفيد التكثير، وأول القصيدة:

بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يسمع

ويروى هذا البيت أيضاً رحلت سمية

والقصيدة جيدة، وكان حان إذا تنوشدت الأشعار يقول: هل أنشدت كلمة الحادرة. - وباكرت لذتهم أسرع إليهم لامتعمهم، ويعني بالأدكن المترع الزق المليء بالخم - وانظر الجزء الأول ص ٤٢٥.

ويسكنون في التخفيف فيقولون: رَبُّ رَجُلٍ قد جاءني، وأنشدوا بيت الهذلي:

أَزْهَيْسُرُ إِنْ يَشِبَّ الْقَذَالُ فَإِنِّي رَبُّ هَيْضَلٍ مَرَسٍ لَفَقْتُ بِهِيْضَلٍ^(١)
ويقولون رَبَّتْ رجل، ورَبَّتْ رَجُلٍ، ويقولون رَبُّ رَجُلٍ، فيفتحون الرا
ورُبَّمَا رَجُلٍ جاءني - بفتح الراء، ورَبَّتْما رجل فيفتحون. حكى ذلك قطرب.

فأما تفسير الآية ففيه غير قول، قيل إنه إذا كان يوم القيامة وعاین الکافرُ
القيامة ودَّ لو كان مسلماً، وقيل إنه إذا عاین الموت ودَّ لو أنه مُسلم، وقيل إذا
كان يوم القيامة أخرج المسلمون من النار فودَّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين.
وقيل يُعَيِّرُ أَهْلُ النَّارِ الْكَفَرَةَ الْمُسْلِمِينَ [قائلين] ما نفعكم إيمانُكم، فيغضب
الله عز وجل لذلك، فيخرجهم من النَّارِ فيود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

والذي أراه - والله أعلم - أن الكافر كلما رأى حالاً من أحوال العذاب
ورأى حالاً عليها أحوال المسلم ودَّ لو كان مُسليماً. فهذه الأحوال كلها تحتملها
الآية.

فإن قال قائل: فلم كانت «رُبَّ» ههنا، ورُبَّ للتقليل^(٢)، فالجواب في هذا
أن العرب خوطبت بما تعقله في التهديد، والرجل يتهدد الرَّجُلُ فيقول له:
لَعَلَّكَ سَتَنْدِمُ عَلَى فَعْلِكَ، وهو لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهُ يَنْدَمُ، وتقول له: ربما نَدِمَ
الإنسان من مثل ما صنعت، وهو يعلم أن الإنسان يندم كثيراً، ولكن مجازة أن

(١) لأبي كبير الهذلي من قصيدة قالها في تأبط شرأ وكان أبو كبير قد تزوج أمه وأراد قتله ولكنه خافه،
والقذال ما بين الأذن والقفأ، والهيضل والهيضلة المجموعة من الناس يغزى بهم - والهيضل أيضاً
الناقة العظيمة وأصوات الناس والمرأة النصف والجماعة، والمرس ذو المراساة، وقوة المعالجة،
والمرس: الجبل، ويقال: مرس الجبل إذا وقع بين الخطاف والبكرة فانت تعالجه وتخرجه انظر ديوان
الهذليين ٨٩، والخزانة ١٦٥/٤، وشواهد المغني ٨١.

(٢) أي لماذا اختيرت رب.

هذا لو كان مما يُؤدّ في حَالٍ وَاحِدَةٍ من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف أن يندم على الشيء لوجِبَ عليه اجْتِنَابُهُ. والدليل على أنه على معنى التهديد قوله عز وجل:

﴿ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وجائز أن يكون - والله أعلم - [أن] أحوال يوم القيامة تسكرهم وتشغلهم عن التَّمَنِّي، فإذا أفاقوا مِنْ سَكْرَةٍ من سَكَراتِ الْعَذَابِ ودوا لو كانوا مسلمين. فأما من قال إن رَبُّ يُعْنِي بها الكثير فهذا ضدُّ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ اللُّغَةِ، لأن الحروف التي جاءت لمعنى [تكون] على ما وضعت العربُ. فربَّ موضوعة للتقليل، وكم موضوعة للتكثير، وإنما خوطبوا بما يعقلون ويستفيدون.

وإنما زيدت ما مع رَبُّ ليليتها الفعلُ، تقول رَبُّ رَجُلٍ جَاءَنِي وربما جاءني رَجُلٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾. أي إلا ولها أجل لا تتقدمه ولا تتأخر عنه.

وقوله عز وجل: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾. الآية.

معناه هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ، روى ذلك. قالوا للنبي عليه السلام: لولا أنزل عَلَيْهِ ملك. فقال:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

أي إنما تنزل بآجال أو بوحى من الله.

﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾.

أي لو نزلت الملائكة لم ينظروا، وانقطعت التوبيات، كما قال: ﴿وَلَوْ

أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لِّقَضِي الْأَمْرِ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿١﴾.

وتقرأ ما تنزل الملائكة [إلا بالحق] وما تنزل الملائكة، وما تنزل الملائكة، وما تنزل الملائكة.

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي نحفظه من أن يقع فيه زيادة أو نقصان، كما قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٢).

وقوله عز وجل: ﴿فِي شَيْعِ الْأُولِينَ﴾.

أي في فرق الأولين

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فأعلم الله عز وجل أن سفهاء كل أمة يستهزئون برسُلها.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وتقرأ نسلكه، أي كذلك نسلك الضلال في قلوب المجرمين، أي كما

فعل بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدم من الرسل كذلك نسلك الإضلال

في قلوب المجرمين. ثم بين ذلك فقال:

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾.

أي وقد مضت سنة الأولين بمثل ما فعله هؤلاء، فهم يقتقون آثارهم في

الكفر، ثم أعلم تعالى أنهم إذا وردت عليهم الآية المعجزة قالوا سحر وقالوا:

﴿سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ كما قالوا حين انشق القمر: هذا سحر مستمر، فقال عز وجل:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

ويقراء يعرجون، أي يصعدون ويذهبون ويحيثون ويصلح أن يكون

(١) سورة الأنعام الآية ٨.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢.

﴿يَعْرِجُونَ﴾ للملائكة والناس، وقد جاء بهما التفسير.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾.

وَسُكِّرَتْ، ويجوز سَكِّرَتْ بفتح السين، ولا تَقْرَأَنَّ بها إلا أن ثبتت بها رواية صحيحة.

وفسروا سَكِّرَتْ أَغْشِيَتْ، وَسُكِّرَتْ تَحَيَّرَتْ وسكنت عن أن تَنْظُرَ، والعرب تقول: سَكِّرَتْ الريح تسكُرُ إذا سَكَتْ وكذلك سكر الحر يسكُرُ، قال الشاعر^(١):

جاء الشتاء واجشأ القنبرُ

وجعلت عين الحرور تسكُرُ

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾.

جاء في التفسير نجوماً وكواكب، وقيل منازل الشمس والقمر. وهذه البروج التي يُسَمِّيها الحُسابُ: الجمل، والثور، وما أشبهها، هي كواكب أيضاً، صُوِّرَها على صورِ أسماء أصحابها. فالبروج نجوم كما جاء في التفسير.

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

(١) أورد أبو عبيدة هذا الرجز في أربعة أبيات كما يلي:

جاء الشتاء واجشأ القنبر واستخفت الأنعي وكانت تظهر

وطلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الحرور تسكُر

وهما في اللسان (قبر وسكر) كما هنا. وفي (جتل) الشطر الأول والثالث والرابع

اجشأ تجمع وانكمش - والقنبر طائر كالعصفور أو أكبر قليلاً - يقال قنبر وقبر والواحدة بالياء، ويقال قبراء.

انظر مجاز أبي عبيدة ٣٤٨/١ وفي الطبري ٩/١٣ منسوبة للمثنى بن جندل، والصحيح ما في اللسان (جتل) أنها لجندل بن المثنى - ولعل ما في الطبري خطأ مطبعي. وانظر أيضاً القرطبي ١٢٩/١٠.

معنى رَجِيمٌ قِيلَ مَلْعُونٌ، وجائزٌ أن يكون رَجَمٌ مرجوماً بالكواكب، كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾.

مَوْضِع «مَنْ» نَصَبٌ، المعنى لكن من استرق السمع، وجائز أن يكون في موضع خفض، على معنى ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾. والشُّهُبُ الكواكب المنقضة من آيات الله للنبي عليه السلام، والدليل على أنها كانت انقضت بعد مولد النبي ﷺ أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة، فلما حدثت بعد مولد النبي عليه السلام استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة^(٢).

كأنه كوكب في إثر عَفْرِيةٍ مَسُومٌ في سواد الليل مُنْقَضِبٌ^(٣)
﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾.

كانت الأرض طينة فمدت، وقيل مُدَّتْ من تَحْتَ البيتِ الحرام والرواسي الجبال الثوابت، ومعنى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي من كل شيء مقدور جرى على وزنٍ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ عز وجل لا يُجَاوِزُ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عليه، لا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصاناً. وقيل ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾، أي من كل شيء يُوزَنُ نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ.

(١) سورة الملك الآية ٥.

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٧، واللسان (قضب) والقرطبي ٢٠٣/١٣ - وذيل الأملاني ٦٥.

(٣) العفر والعفرية - بالكسر - وعفارية - بالضم -، والعفرية الداهية، يريد كأنه في سرعته كوكب ينقض في إثر عفريت.

ومسوم أي واضح ظاهر كالذي به علامة تميزه - ومنقضب أي منقض.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ .

موضع «مَنْ» نصبٌ من جهتين إحداهما العطف على معاش، المعنى وجعلناكم من لستم له برازقين، وجائزٌ أن يكون عطفاً على تأويل لكم، المعنى في جعلنا لكم فيها معاش أعشناكم ومن لستم له برازقين .

وفي التفسير أن من لستم له برازقين الدوابُّ والأنعامُ . وقيل في بعض التفسير الوُحُوش . والنحويون يذهبون إلى أن «مَنْ» لا يكادُ أن يكونَ لِغَيْرِ مَا يَعْقِلُ، وقد قال عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(١)، فجاءت «من» لغير الناس إذ وُصِفَ غَيْرُ النَّاسِ بصفاتهم^(٢)، كما جاءت الواو لغير الناس في قوله ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ . والأجود والله أعلم أن يكون «مَنْ» ههنا أعني ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يراد بها العبيد والأنعام والدواب فيكون المعنى جعلناكم فيها معاش وجعلنا لكم العبيد والدوابِّ والأنعام وكُفِّتُمْ مؤونة أرزاقها .

وقوله عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ نَوَاحٍ

﴿لَوَاقِحَ﴾ تأتي بالسحاب، ولواقح تُلْقِح السحاب وتُلْقِح الشجر، وجاز أن يقال للريح لَقَحَتْ إذا أتت بالخير، كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير، وأت بعذاب، كما قال عز وجل: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٣)، ويجوز أن يقال لها لواقح وإن لقحت غيرها لأن معناها النسب .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾

(١) سورة النور الآية ٤٥ .

(٢) كلمة «كل دابة» تجمع كل ما يدب على الأرض مما يعقل وغيره، وفي هذه الحالة توقع «من» على ما لا يعقل .

(٣) سورة الذاريات الآية ٤١ .

قيل فيها غير قول، قيل المستقدمين ممن خلق والمستأخرين ممن يحدث من الخلق إلى يوم القيامة ثم قال:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾.

أي الذي أنشأهم وعلمهم هو يحشرهم مبعوثين كما بدأهم أول خلق:

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أي تديره يجري بحكمة وعلم، وقيل: ولقد علمنا المستقدمين منكم في طاعة الله والمستأخرين فيها، وقيل إنه كانت امرأة حسناء تصلي خلف رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فيمن يُصَلِّي من النساء، وكان بعض من يصلي، يتأخر في آخر الصفوف، فإذا سَجَدَ اطلع إليها من تحت إبطه، والذين لا يقصدون هذا المقصد إنما يطلبون التقدم في الصفوف لما فيه من الفضل.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

فمن قرأ ﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾، فالمعنى هذا صراط مستقيم علي أي على إرادتي وأمري، ومن قرأ «عَلَيَّ» أَرَادَ: طريق رفيع في الدين والحق.

وقوله: ﴿مِنْ صَلَٰلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

الصلال الطين اليابس الذي يصل ليئسه، ومعنى يصل يصوت قال

الشاعر^(١):

رَجَعْتُ إِلَى صَدْرِ كَجَرَةٍ حَتِيمٍ إِذَا قَرَعْتُ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتِ

(١) لعمر بن شاس من رثاء لزوجته أم حسان وقيله:

ألم تعلمي يا أم حسان أنني إذا عبرة نهنتها فتخلت
ونهنت العبرة زجرتها والختتم جرار سود تضرب إلى الحمرة، والمادة التي تصنع منها - والبيت في الأغاني ١٩٩/١١ واللسان (حتتم) ومجاز أبي عبيدة ٢١٩/١ وترجمة عمرو في الأغاني ١٩٦/١١ وما بعدها.

و ﴿مَسْنُونٍ﴾ .

قليل فيه مُتَغَيَّرٌ . وإنما أخذ من أنه على سُنَّةِ الطريق لأنه إنما تَغَيَّرَ إذا قام بغير ماء جارٍ .

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ .

﴿الْجَانَّ﴾ منصوبٌ بفعل مُضْمَرٍ، المعنى وخلقنا الْجَانَّ خلقناه، وخلق الله الملائكة من نور العزَّة، وخلق آدم من ترابٍ وخلق الْجَانَّ مِنْ نَارِ السُّمُومِ .

وقوله عز وجل: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ .

قال سيويه والخليل: ﴿أجمعون﴾ توكيدٌ بعد توكيدٍ، وقال محمد بن يزيد: أجمعون يدل على اجتماعهم في السجود، المعنى فسجدوا كلُّهم في حالٍ واحدةٍ . وقول سيويه والخليل أجود، لأن أجمعين معرفة، فلا يكون حالاً^(١) .

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ .

إبليس مستثنى وَلَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إنما هو من الجن كما قال عز وجل: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢) . وهو منصوب استثناء ليس من الأول، كما قال: ﴿فَأَنَّهُمْ عِدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ .

المعنى لكن إبليس أبى أن يكون .

وقوله عز وجل: ﴿مَالِكٌ لَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

موضع أن نصب بإسقاطٍ في، وإفضاء الناصبِ إلى أن، المعنى أي شيء يقع لك في أن لا تكون مع السَّاجِدِينَ .

وقوله: ﴿فَأَنَّاكَ رَجِيمٌ﴾ .

(١) وإذا كانت حالاً كان يجب أن تنصب لا أن تكون مرفوعة .

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠ .

معناه مَرْجُومٌ مَلْعُونٌ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ :

لجَهنم سَبْعَةُ مَنَازِلَ لِكُلِّ مَنَزِلَةٍ صِنْفٌ مِّمَّنْ يُعَذَّبُ عَلَى قَدَرِ مَنَزَلَتِهِ فِي الدَّنْبِ

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ .

الْغِلُّ الْحِقْدُ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَحْبِسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصِرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَقَدْ نُقُوا وَهَذَبُوا فَخَلَصَتْ نِيَاتُهُمْ مِنَ الْأَحْقَادِ.

﴿إِخْوَانًا﴾ .

منصوب على الحال.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ .

في التفسير لا ينظر بعضهم في قَفَا بَعْضٍ .

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ .

أي لا ينالهم تعب

﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ .

يروى في التفسير أن العبد لو علم قدرَ عَفْوِ اللَّهِ لَمَا أَمْسَكَ عَنْ ذَنْبٍ، وَلَوْ عَلِمَ مَقْدَارَ عَقُوبَةِ لَبَخَعَ نَفْسَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَمَا قَدِمَ عَلَى ذَنْبٍ.

﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ قَالَ سَلَامٌ .

﴿سَلَامًا﴾ منصوب على المصدر كأنهم قالوا سَلَّمْنَا سَلَامًا .

وقوله: ﴿قَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ .

أي خائفون، فإنما وَجِلَ لَمَّا قَدِمَ إِلَيْهِمُ الْعَجَلُ فَرَأَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَجِلَ .

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾.

يقال وَجَلَ يَوْجَلُ، وَيَجَلُ وَيَجَلُّ وَيَجَلُّ، إذا خاف.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

بفتح النون وهو أجود في القراءة، وقرئت: فَبِمَ تُبَشِّرُونَ - بكسر النون -
قرأ بها نافع، والأصل فبم تبشرون فاستثقل النونان، فحذفت إحداهما وقيل
الحذف من الأدغام، كأنها فبم تُبَشِّرُنَّ، بتشديد النون، فحذفت إحدى النونين
لثقل التضعيف، كما قالوا رُبِّمَا، ورُبِّمَا، قال الشاعر في حذف النون:

تراه كالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَاً يسوء الغاليات إذا فليني

يريد فليني^(١).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ [مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ]﴾.

يقال قَنَطَ يَقْنِطُ، وَقَنِطَ يَقْنُطُ، وهما جميعاً جائزتان^(٢)، والقنوط بمعنى

اليأس.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، أي فما أمركم.

وقوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾.

استثناء ليس من الأول، المعنى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ إِلَّا
آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، المعنى إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْعَذَابِ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ.

وقوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

المعنى علمنا أنها لمن الغابرين، وقيل دبرنا إنها لمن الغابرين، وقدرنا
ههنا لا يحتاج إلى تفسير، المعنى إلا امرأته قدرنا أنها لمن الباقيين في

(١) تقدم حـ ١ ص ٢١٦.

(٢) ولغة ثالثة قَنَطَ يَقْنُطُ.

العذاب، والغابر الباقي، قال الشاعر^(١):

فما وني محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى وما غبر

المعنى وما بقي

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

أي جثثك بالعذاب الذي كانوا يشكون في نزوله.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

وتقول: فأسر بأهلك - بقطع الألف ووصلها. وسير الليل يقال فيه أسرى

وسرى ومعنى يقطع من الليل، أي بعدما يمضي شيء صالح من الليل.

﴿وَلَا يُلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾:

أمر ﷺ بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب - والله أعلم -.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

موضع أن نصب، وهو بدل من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ ثم فسر ما الأمر، فالمعنى وقضينا إليه ﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿مُصْبِحِينَ﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ ضِيفِي﴾.

الضيف يوحد وإن وصفت به الجماعة، تقول: هذا ضيف، وهذا ضيف وهؤلاء ضيف. كما تقول: هؤلاء عدل، وإن شئت قلت أضيفان، وضيفان. فمن وحد لأنه مصدر وصف به الاسم، فلذلك وحد، وإنما وحد المصدر في قولك: ضربت القوم ضرباً، لأن الضرب صنف واحد. وإذا كان

(١) هو العجاج - والبيت في الطبري ١١/١٩٨، والقرطبي ٧/٢٤٦ ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ - وما غبر: أي ما بقي.

أَصْنَافًا وَجَمَعْتَ، فَقُلْتَ ضَرَبْتَهُمْ ضَرْبَيْنِ، وَضَرَبْتَهُمْ ضَرْبًا، أَيْ أَجْنَاسًا مِنْ الضَّرْبِ، وَالضَّيْفُ مُصَدَّرُ ضَيْفَتِ الرَّجُلِ أَضَيْفُهُ ضَيْفًا. فَأَنَا ضَائِفٌ، وَالرَّجُلُ مَضِيفٌ إِذَا كَانَ مَفْعُولًا، وَأَضَفْتُهُ إِذَا أَنْزَلْتُهُ.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه: أَلَمْ نَنْهَكَ عَنْ ضَيَاقَةِ الْعَالَمِينَ.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

فالجواب محمول على المعنى، لَأَنَّهُمْ أَرَادُوا الضَّيْفَانَ لِلْفَسَادِ، فَقَالَ لَهُمْ لُوطُ: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي لِأَن نِسَاءَ أُمَّةٍ كُلِّ نَبِيٍّ بِمَنْزِلَةِ بَنَاتِهِ وَأَزْوَاجِهِ بِمَنْزِلَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، الْمَعْنَى النِّسَاءُ عَلَى جِهَةِ التَّزْوِيجِ أَطْهَرَ لَكُمْ.

ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

أَيِ إِنْ كُنْتُمْ مُرِيدِينَ لِهَذَا الشَّأْنِ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّزْوِيجِ بِنَاتِي. ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

هَذِهِ الْآيَةُ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي تَفْضِيلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْنِي قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ لَعَمْرُكَ، جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ قَسَمَ بِحَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَذَلِكَ أَكْثَرَ التَّفْسِيرِ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ: «لَعَمْرُكَ» كَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَسْتُ أُحِبُّ هَذَا التَّفْسِيرَ، لِأَن قَوْلَهُ: كَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، لِأَن الْقُرْآنَ كُلَّهُ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، وَكَلِمَةٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يُقَالَ مَا مَعْنَاهَا^(١).

وَقَالَ سَيُوبَةُ وَالْخَلِيلُ وَجَمِيعُ أَهْلِ اللَّغَةِ: الْعَمْرُ وَالْعُمْرُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي الْقَسَمِ فَتَحَ أَوَّلَهُ لَا غَيْرَ، لَا تَقُولُ الْعَرَبُ إِلَّا لَعَمْرُكَ، وَإِنَّمَا آثَرُوا الْفَتْحَ فِي الْقَسَمِ لِأَن الْفَتْحَ أَخْفَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَكْثُرُونَ الْقَسَمَ بِلَعْمَرِي، وَلَعَمْرُكَ، فَلَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ لَزَمُوا الْأَخْفَ عَلَيْهِمْ.

(١) لَا بَدَّ مِنْ بَيَانِ مَعْنَاهَا.

وقال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف، المعنى لَعَمْرُكَ قَسَمِي، وَلَعَمْرُكَ ما أَقْسِمُ به. وحذف الخبر لَأَنَّ في الكلام دليلاً عليه، المعنى أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمهون، ومعنى يعمهون يتحيرون. وباب القسم قد يحذف معه الفعل، تقول: واللّه لأفعلنّ وتاللّه لأفعلنّ، والمعنى أحلف باللّه، وأحلف واللّه، فيحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف، وكذلك يحذف خبر الابتداء كما ذكرنا.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

أي أخذت قومَ لوط الصيحةُ بالعذاب مشرقين، يقال أشرقنا فنحن مشرقون، إذا صادفوا شروقَ الشمس^(١)، وهو طلوعها، كما تقول أصبحنا إذا صادفوا الصبح. يقال شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت وأشرقت بمعنى واحد، إلا أن معنى «مُشْرِقِينَ» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

معنى من سجيل من طين عليه كتاب^(٢). واشتقاق ذلك من السجل، ودليل هذا التفسير قوله: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٣)، فأعلم أنها من طين وأنها مسومة أي مُعَلَّمَةٌ لعلامات الكتاب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

قيل المتوسِّمُونَ المتفَرِّسُونَ، وقيل المتفكرُونَ. وحقيقته في اللغة المتوسمون النُّظَّارُ المتشَبِّهون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء تقول تَوَسَّمتُ في فلان كذا وكذا، أي عرفت وسم ذلك فيه.

(١) يقال أصبح أي دخل في وقت الصباح وأحصد دخل في وقت الحصاد. ومشرقين من هذا، أي أخذتهم الصيحة وهم في وقت الشروق.

(٢) كتابة. (٣) سورة الذاريات الآية ٣٣ - ٣٤.

﴿وَأَنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾.

أي لطريق واضح بَيِّن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي لعلامة بَيِّنَةٌ للمصدقين.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ﴾.

أي أصحاب الشجر، والأيك الشجر وهو لا أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم الله منهم بكفرهم، قيل إِنَّهُ أَخَذَهُمُ الْحَرُّ أَيَّاماً ثُمَّ اضْطَرَمَّ عَلَيْهِمُ الْمَكَانُ نَاراً فَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ. ومعنى «إِنَّ وَاللَّامِ» التوكيد.

﴿وَأَنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

أي لطريق يُوْتَمُّ أي يُقَصَّدُ فَبَيِّن، وأصحاب الحجر أصحاب واد يقال له الْجَنْجَرُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

قيل: السبع من المثاني هي فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، وإنما قيل لها المثاني لأنها يُثْنَى بها في كُلِّ ركعة من ركعات الصلاة، ويثنى بها مع مَا يُقْرَأ من القرآن. ويجوز - والله - أعلم - أن يكون من المثاني أي مما أُثْنِيَ بِهِ عَلَى اللَّهِ، لأن فيها حَمْدُ اللَّهِ، وَتَوْحِيدُهُ وَذِكْرُ مَلَائِكَتِهِ وَمُلْكُهُ يَوْمَ الدِّينِ.

وروي في التفسير أنه مَا أُعْطِيَتْ أُمَّةٌ كَمَا أُعْطِيَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ من سورة الحمد. فأما دُخُولُ «مِنْ» فهي ههنا تكون على ضربين، تكون للتبعيض من القرآن، أي ولقد آتيناك سبع آياتٍ من جملة الآيات التي يُثْنَى بها عَلَى اللَّهِ - عز وجل - وآتيناك القرآن العظيم، وَيجوزُ أن يكون السبع هي المثاني، وتكون «مِنْ» الصفة ^(١) كما قال عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ^(٢)، المعنى اجتنبوا الأوثانَ، لا أَنْ بَعْضُهَا رِجْسٌ.

(٢) سورة الحج الآية ٣٠.

(١) بيانية.

ويجوز أن يكون المعنى سبعاً مثاني على هذا القياس، ويدل على القول الأول قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾^(١). وقيل سبعاً من المثاني: السبع الطوال، من البقرة إلى الأعراف ست، واختلفوا في السابعة، فقال بعضهم: سورة يونس، وقيل الأنفال وبراءة، وإنما سميت مثاني لذكر الأفاصيص فيها مثناةً. ويجوز «والقرآن العظيم» بالخفض، ولكن لا تقرأن به إلا أن تثبت به رواية صحيحة.

﴿أَزَوَّاجًا مِنْهُمْ﴾ أي أمثالاً في النعم.
﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي ألن جانبك للمؤمنين، أي لمن آمن بك وبما أتيت به ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.

يُروى أن المشركين قالوا أساطير الأولين، وقالوا سحر، وقالوا شاعر، وقالوا كاهن. فقسّموه هذه الأقسام، وعَصَوْهُ ااعضاء.

ويروى أن أهل الكتاب هم المقتسمون، آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، وقالوا نحواً مما روي عن المشركين.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾.

قيل في التفسير أجهز بالقرآن، ويكون - والله أعلم - فاصدع بما تؤمر، أي ابن ما تؤمر به، وأظهره، وأخذ ذلك من الصديق وهو الصبح. قال الشاعر:

كَأَن بِيَاضِ غُرَّتِهِ الصَّدِيعِ^(٢).

(١) سورة الزمر الآية ٢٣.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي، يصف ذنباً، وصدرة:

تَرَى السَّرْحَانَ مُقْتَرِشاً بِذَنبِهِ

وتأويل الصَّدْع في الزجاج، أو في الحائط، أن يبين بعض الشيء عن بعض.
﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

قيل هؤلاء جماعة من المشركين، خمسة نفر كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ فنزلت بهم آفات مات أكثرهم منها، وَعَمِيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ. والخمسة سُمُوا في التفسير منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطَّلِب، والأسود بن عبد يَعُوث. أعلم الله أنهم من المشركين بقوله:

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

أي حتى يأتيك الموت، كما قال عيسى بن مريم: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١) فإن قال قائل كيف تكون عبادة لغير الحي، أي كيف يَعْبُدُ الإنسانَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَإِنَّ مجاز هذا الكلام مجاز «أبدًا»، المعنى اعبد ربك أبدًا، واعبده إلى الممات، لأنه لو قيل: اعْبُدْ ربك - بغير التوقيت - لجاز إذا عبدَ الإنسانَ مَرَّةً أن يكون مُطِيعاً، فإذا قال حتى يأتيك اليقين، أي أَبَدًا وما دمت حياً، فقد أَمَرْتُ بالإقامة على العبادة.

والصديق الفجر (اللسان - صدع).

(١) سورة مريم الآية ٣١.

سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّةٌ

ما سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ .

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ ما وَعَدَهُمُ اللَّهُ به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب، والدليل على ذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾^(١) أي جاء ما وعدناهم به، وكذلك قوله: ﴿آتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾^(٢) وذلك أنهم استعجلوا العذاب واستبطأوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فأعلم الله - عز وجل - أَنَّ ذلك في قُرْبِهِ بمنزلة ما قد أتى، كما قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٣) وكما قال: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾^(٤) .

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

معناه تنزيهه من السوء، كذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ وكذلك

(١) سورة هود الآية ٤٠ .

(٢) سورة يونس الآية ٢٤ .

(٣) سورة القمر / ١ .

(٤) سورة الزلزال الآية ٧٧ .

فسره أهل اللغة، قالوا: معناه تنزيه الله من السوء، وبراءة الله من السوء.
قال الشاعر: (١)

أقول لما جاء في فخره سبحان من علقمة الفاجر
أي براءة منه .

وقوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ .

ويقراً: تُنَزَّلُ الملائكة، ويجوز فيها أوجه لا أعلمه قرىء بها: ينزل
الملائكة، ويُنَزَّلُ الملائكة، وتُنَزَّلُ الملائكة بالروح - والروح - والله أعلم - ما
كان فيه من أمر الله حياة للنفوس والإرشاد إلى أمر الله، والدليل على ذلك
قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ .

المعنى أنذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا، أي مروهم
بتوحيدي، وألاً يشركوا بي شيئاً. ثم أعلم ما يدل على توحيده مما خلق فقال:
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

ارتفع عن الذين أشركوهم به، لأنهم لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون.
وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ .

اختصر ههنا، وذكر قلب أحوال الإنسان في غير مكان من القرآن.
وقوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ .

نصب الأنعام على فعل مضمر، المعنى خلق الأنعام خلقها، مفسر
للمضمر، والدفء ما يدفئهم من أوبارها وأصوافها. وأكثر ما تستعمل الأنعام
في الإبل خاصة، وتكون للإبل والغنم والبقر، فأخبر الله - عز وجل - أن في
الأنعام ما يدفئنا، ولم يقل لكم فيها ما يكنئكم ويدفئكم من البرد، لأن ما ستر

(١) للأعشى تقدم في الجزء الأول ص ١١٠ .

من الحرِّ سَتَرٍ مِنَ الْبَرْدِ، وما ستر من البردِ ستر من الحرِّ، قال الله - عز وجل - في موضع آخر: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(١) فعلم أنها تقي البرد أيضاً، وكذلك إذا قيل: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ﴾ علم أنها تستر من البرد، وستر من الحرِّ.

وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ﴾.

أي ومنافعها ألبانها وأبوالها وغير ذلك .
﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

الإراحة أن تروح الإبل من مراعيها إلى الموضع الذي تقيم فيه وحين تَسْرَحُونَ، أي حين تُخْلُونَهَا للرَّعي، وفيما ملكه الإنسان جمال «وزينة - كما قال عز وجل: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾»^(٢)، والمال ليس يخص الورق والعين دون الأملاك، وأكثر مال العرب الإبل، كما أن أكثر أموال أهل البصرة النخل. إنما يقولون مال فلان بموضع كذا وكذا يعنون النخل.

وقوله: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾.
تقرأ بالفتح والكسر^(٣)، أي لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل لشقَّ عليكم ذلك .
وقوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾.

أي وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب، وكثير من الناس يقولون إن لحوم الخيل والبغال والحمير دلت عليه هذه الآية أنها حرام، لأنه قال في الإبل: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ... وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٤) وقال في الخيل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ولم يذكر فيها الأكل. وقال قوم: لو

(١) الآية ٨١ من هذه السورة.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٦.

(٣) إثقالكم وأثقالكم.

(٤) سورة غافر الآية ٧٩ - ٨٠ وأولها: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا... الخ﴾.

كانت حُرِّمَتْ بهذه الآية لم يحرم النبي ﷺ لحومَ الحُمُرِ الأهلية، ولكفاه ما دَلَّ عليه القرآن. وهذا غلط لأن القرآن قد دَلَّ على أن الخَمْرَ حرام، وقال النبي ﷺ: حُرِّمَتْ الخمرَ بعينها. فذكر النبي ﷺ ما حُرِّمَ في الكتاب بأنه حرام، تأكيداً له وزيادةً في البيان.

ونصب ﴿وَزِينَةً﴾ مفعول لها، المعنى وخلقها زينةً.

وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

أي على الله تبيين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين.
وقوله: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

جائر أي من السبل طرق غير قاصدة للحق.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

أي لو شاء الله لأنزل آيةً تَضْطَرُّ الخلق إلى الإيمان به، ولكنه عز وجل: يهدي من يشاء ويدعو إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقوله: ﴿مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

المعنى أنه ينبت الشجر التي ترعاهما الأبل، وكل ما أثبت على الأرض

فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل: ^(١)

نَعْلُقُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ والخيل في إطعامها اللحم ضَرَر

يعني أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض.

وقوله: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

أي ترعون، يقال: أَسَمْتُ الأبل إذا رعيها، وقد سَامَتْ تسوم وهي

سائمة إذا رعت، وإنما أخذ ذلك من السُومة، وهي العلامة وتأويلها أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات.

(١) في اللسان و (علف). وسمى اللبن لحماً لأنه يثبت اللحم.

وقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾.

معنى ﴿مواجر﴾ جوارى تجري جرياً، وتشق الماء شقاً.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رواسي﴾ جبلاً رواسي ثوابت، ﴿أن تميد﴾ معناه كراهة أن تميد ومعنى تميد

لا تستقر، يقال ماد الرجل يميد ميداً، إذا دبر به والميدى: الذين يدار بهم إذا

ركبوا في البحر، وأن تميد في موضع نصب، مفعول لها.

﴿وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا﴾.

المعنى وجعل فيها رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا، لأن معنى ألقى في الأرض

رواسي جعل فيها رواسي، ودليل ذلك قوله: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾^(١).

وقوله: ﴿وَبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

النجم والنجوم في معنى واحد، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي

الناس وكثرت الدراهم، خلق الله - جل ثناؤه - النجوم لأشياء منها أنها جعلت

زينةً للسماء الدنيا، ومنها أنها جعلت رجوماً للشياطين ومنها أنها يهتدى بها،

ومنها أنها يعلم بها عدد السنين والحساب.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ويقراء تدعون من دون الله بالتاء والياء.

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

يُعنى به الأوثان التي كانت تعبدُها العربُ.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

أي وهم أموات غير أحياء.

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

أي ما يشعرون متى يبعثون، وأيان في موضع نصب بقوله يُبْعَثُونَ ولكنه

(١) سورة عم يتساءلون الآية ٧.

مبني غير منون، لأنه بمعنى الاستفهام فلا يعرب كما لا تعرب كم ومتى وكيف وأين، إلا أن النون فتحت لالتقاء الساكنين.

فإن قال قائل: فهلاً كُسرَتْ، قيل الاختيار إذا كان قبل الساكن الأخير ألف أن يفتح، لأن الفتح أشبه بالألف وأخف معها. وزعم سيويه والخليل أنك إذا رَحَّمت رجلاً اسمه أَسْحَار، قلت يا أَسْحَارَّ - بتشديد الراء - أقبل، ففتحت الراء لالتقاء الساكنين، وكذلك تختار مع المفتوح الفتح، تقول إذا أَمَرْتُ من غُضٌّ: غُضٌّ يا هذا.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

معنى ﴿لا جرم﴾ حق أن الله يعلم، ووجب، وقوله: ﴿لا﴾ ردٌ لفعلهم،

قال الشاعر:

ولقد طعنت أبا فزارة طعنةً جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا^(١)

المعنى أحقت فزارة بالغضب

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

«ما» مبتدأ، و «ذا» في موضع الذي . المعنى ما الذي أنزل ربكم .

وأساطير مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الذي أنزل أساطير الأولين، أي أكاذيب الأولين، واحداً أسطورة .

وقوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

بغير علم﴾ .

(١) تقدم . ورواية البيت في الخزائن ٨٥٠ - برفع فزارة فاعلاً لجرم وإن يغضبوا بدل اشتمال - أي حق غضب فزارة بعده، وجاء البيت في تفسير الفراء ح ٩/٢ - بنصب فزارة بمعنى أن الطعنة كسبتهم الغضب . فزارة مفعول به وقال الأعلام الشتمري أن مذهب سيويه : - حقنها للغضب - والبيت لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل لغيره - وهو يخاطب كرازة العقيلي، وكان طعن أبا عيينة وهو حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري، وانظر العقد ٢١١/٥ - وأبو أسماء جاهلي، وعطية بن عفيف مخضرم له ترجمة في الإصابة ٥٥٦٤ - راجع الشاهد ٨٥٠ في الخزائن، وكتاب سيويه ٤٦٩/١، ومجاز أبي عبيدة ٢١٤٧/١ .

هؤلاء كانوا يصدون مَنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ، وإذا سُئِلُوا عما أتى به قالوا الذي جاء، أساطير الأولين، فأعلم الله - عز وجل - أنهم يحملون بذلك آثام الذين كفروا بقولهم. ولا يُنْقِصُ ذلك من إثم التابع. وقوله: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾.

«ما» في موضع رفع، كما ترفع بنعم وبئس، المعنى ساء الشيء وزُرهم، هذا كما تقول: بئس الشيء.

وقوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾. أي من أساطين البناء التي تعميده^(١).

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ﴾.

يروى أن ذلك في قصة نمرود بن كنعان، بنى صرحاً يَمْكُرُ بِهِ^(٢) فخر سقفه عليه وعلى أصحابه، وقال بعضهم: هذا مثل، جعلت أعمالهم التي عملوها بمنزلة الباني بناء يسقط عليه فمضرة عملهم عليهم كمضرة الباني إذا سقط عليه [بناؤه].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ آيُنْ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُتِّمْتُ تَشَاقُونَ فِيهِمْ﴾.

و﴿تَشَاقُونَ فِيهِمْ﴾ بكسر النون، وقد فسرنا مثل هذا، وإنما... شركائي حكاية لقولهم، والله - جل ثناؤه - لا شريك له. المعنى آين الذين في دعواكم أنهم شركائي.

﴿فَالْقُوا إِلَيْهِمُ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾.

أي ألقوا الاستسلام، وذكر السَّلَمَ، والسَّلَمُ الصُّلْحُ، لذكره المُشَاقَّةَ، وبإزالة المشاقة والمعادة الصلح.

(١) في الأصل الذي يَعْمِدُ. وتصح ببناء الفعل للمجهول.

(٢) يدبر به مكيده.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، بَلَى﴾.

أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء،

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

«ما» و «ذا» كالشيء الواحد، والمعنى أي شيء أنزل ربكم.

﴿قَالُوا خَيْرًا﴾.

على جواب «ماذا» المعنى «أنزل خيراً».

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾.

جائز أن يكون هذا الكلام ذِكْرَ لِيَدُلَّ عَلَى أن الذي قالوه اكتسبوا به حسنة، وجائز أن يكون تفسيراً لقولهم خيراً، وحسنة، بالرفع القراءة. ويجوز ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، ولا تقرأن بها، وَجَوَّزَهَا أن معناها أن «أنزل خيراً» - جعل للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، أي جَعَلَ لَهُمْ مَكافَأَةً في الدنيا قَبْلَ الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى، ولنعم دار المتقين دار الآخرة، ولكن المبيِّن لقوله «دار المتقين» [هو] قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

وهي مرفوعة بإضمار «هي» كأنك لما قلت، ولنعم دار المتقين على جواب السائل أَي دَارُ هِيَ هذه الممدوحة، فقلت: جنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا. وإن شئت رفعت على الابتداء، ويكون المعنى: جنات عَدْنٍ نَعْمَ دَارُ المتقين.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

[أي] لقبض أرواحهم، أو يأتي ما وَعَدَهُمُ اللَّهُ به من عذابه.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾.

أي كذلك فعلوا فاتاهم أمر الله بالعذاب، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.
 وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
 وَلَا آبَاؤُنَا، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

هذه الآية وأشباهاها فيه تنازع وينبغي أن يقف أهل القرآن والسنة على حقيقة تفسيرها لأن قوماً زعموا أن من قال هذا فقد كفر وأن من قال من العباد أن لا يفعل إلا ما شاء الله فقد كفر، وهذا تأويل رديء، وإنما كفر أولئك وكذبوا، لأنهم كانوا يقولون: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء على جهة الهزؤ، والدليل على ذلك أن قوم شعيب قالوا لشعيب: ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(١). فلو قالوا له هذا معتقدين لكانوا مؤمنين^(٢)، وإنما قالوه مستهزئين، وقد اتفقت الأمة على أن الله لو شاء ألا يعبد غيره مَشِيئَةً اضطراراً إلى ذلك لم يقدر أحد على غير ذلك، ولكن الله جل ثناؤه تعبد العبادَ وَوَفَّقَ من أحبَّ تَوْفِيقَهُ، وأضل من أحبَّ إضلالَهُ، وهؤلاء قالوا هذه مُحَقِّقِينَ ما قيل لهم أنهم مكذبون إذ كان الإجماع على أن الله - عز وجل - يقدر على أن يجبر العبادَ على طاعته وأعلم الله أنهم مكذبون كما كذَّبَ الذين من قبلهم فقال:

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾..

أي الإبلاغ الذي يبينون معه أنهم أنبياء.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا لِيِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فأعلم الله أنه بَعَثَ الرُّسُلَ بِالْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ، وهو من وراء الإضلال

والهداية، فقال:

(١) سورة هود الآية ٤٦.

(٢) لو قالوا لشعيب: «إنك لأنت الحليم الرشيد» عن عقيدة ما كفروا ولكنهم قالوه هزواً.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾.
فهذا يدل على أنهم لو قالوا ذلك معتقدين لكانوا صادقين، ثم أكد ذلك فقال:

﴿إِنْ تَخْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾.
وقرئت فإن الله لا يهدي من يضل، كما قال: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾^(١). وفيها وجه ثالث في القراءة.. «لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ» وهو أقل الثلاثة^(٢).
وقوله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾.
﴿وَعْدًا﴾ منصوب مؤكد، المعنى بلى يبعثهم الله وعداً عليه حقاً، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

فهذا على ضربين، جائز أن يكون معلقاً بالبعث، ويكون المعنى: بلى يبعثهم الله ليبيِّن لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، وجائز أن يكون ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ معلقاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا لِّيُبَيِّنَ لَهُمْ اخْتِلَافَهُمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مِن قَبْلِهِ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ﴾.
وقوله - عز وجل - : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

القراءة الرفع^(٣)، وقد قرئت بالنصب، فالرفع على فهو، ويكون على معنى ما أراد الله فهو يكون، والنصب على ضربين أحدهما أن يكون قوله فَيَكُونُ عَطْفًا على «أَن نَّقُولَ فَيَكُونُ». ويجوز أن يكون نصباً على جواب «كن» فـ(قَوْلُنَا) رفع بالابتداء، وخبره «أَن نَّقُولَ»، المعنى إنما قولنا لكل مراد قولنا كن، وهذا خوطب العباد فيه بما يعقلون وما أراد الله فهو كائن على كل حال،

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

(٢) الكوفيون «يَهْدِي» - وضعفه أن معناه من ضلَّ بنفسه فإن الله لا يهديه، والله سبحانه يهدي من يشاء.

(٣) في يكون.

وعلى ما أَرَادَهُ من الإسراع ولو أَرَادَ خَلْقَ الدُّنْيَا - السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - فِي قَدَرٍ لَمَحَ الْبَصَرُ لِقَدَرِ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْعِبَادَ خَوِطَبُوا بِمَا يَعْقِلُونَ، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ سَهُولَةَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، فَأَعْلَمَ أَنَّهُ مَتَى أَرَادَ الشَّيْءَ كَانَ، وَأَنَّهُ إِذَا قَالَ كُنْ كَانَ. لَيْسَ أَنَّ الشَّيْءَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ كَانَ مُوجُودًا، إِنَّمَا الْمَعْنَى: إِذَا أَرَدْنَا الشَّيْءَ نَقُولُ مِنْ أَجْلِهِ «كُنْ» أَيُّهَا الْمُرَادُ فَيَكُونُ عَلَى قَدَرِ إِرَادَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْقَوْمَ أَعْنَى الْمُشْرِكِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(١).

وهو معنى قوله: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾^(٢) أي كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون. ولقد جاء في التفسير أن الحنث الشرك لأن من اعتقد هذا فضلاً أن يحلف عليه فهو مشرك. فقال جلّ وعلا.

﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

أي بلى يبعثهم وعداً عليه حقاً، وحقاً منصوب مصدر مؤكد لأنه إذا قال يبعثهم دل على «وعد بالبعث وعداً».

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْرِئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء قوم كان المشركون يعذبونهم على اعتقادهم الإيمان منهم صهيب وبلال، وذلك أن صهيباً قال لأهل مكة: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، خذوا مالي ودعوني فأعطيهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر الصديق: ربح البيع يا صهيب، وقال عمر: نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، تأويله لو أنه آمن

(١) ترتيب الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

(٢) سورة الواقعة الآية ٤٦.

عذابه وعقابه لما ترك الطاعة ولا جنح إلى المعصية لأمنه العذاب.

ومعنى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾.

[أي] لأنهم صاروا مع النبي ﷺ ودخلوا في الإسلام وسمعوا ثناء الله عليهم.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا يُوحَى﴾.

﴿نوحى إليهم﴾، ويوحى إليهم. أما القراءتان الأوليان فجيدتان والثالثة ضعيفة لذكره أرسلنا. فإن يكون اللفظ على نوحى ويوحى أحسن، لأن نوحى يوافق اللفظ والمعنى، ويوحى إنما هو محمول على المعنى، لأن المعنى: وما أرسل الله إلا رجالاً يوحى إليهم. وإنما قيل لهم لأنهم قالوا لولا أنزل عليه ملك أو جاء مع نذير، فأعلم الله - جلّ وعزّ - أن الرسل بشر إلا أنهم يوحى إليهم. ثم أعلم كيف يستدل على صحة نبوتهم فقال:

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾.

أي بالآيات والحجج، والزُّبُرُ الكُتُبُ، واحدها زُبُورٌ، يقال زَبَرْتُ الكتابَ وَذَبَرْتُهُ بمعنى واحد، قال أبو ذؤيب:

عرفت الديار كرقم الوجي يَذْبُرُهَا الكَاتِبُ الحَمِيرِيُّ^(١)

وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فيها قولان، قيل فاسألوا أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل جميع

(١) يروى: عرفت الديار كرقم الدواة - ويروى «الدَّوِي» وهو بمعنى الدواة، وقال الأصمعي: نظر حميرى إلى كتاب فقال: أنا أعرفه بزبري - وَيُزَوَّى بزبري -، وقيل الزبر العلم واستشهد بهذه الجملة، أي أعرفه بعلمي - انظر ديوان الهذليين ١/٦٤، مجاز أبي عبيدة ٣٥٩/١٥.

(٢) الآية كاملة المعنى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾.

الكتب يعترفون أن الأنبياء كلهم بشر: وقيل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أي فاسألوا مَنْ آمَنَ من أهل الكتاب. ويجوز والله أعلم - أن يكون قيل لهم أسألوا كلَّ من يُدَكِّرُ بعلمٍ وافق أهل هذه الجملة أو خالفهم.

والدليل على أن أهل الذكر أهل الكتب قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾^(١).

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾. أي أفأمنوا أن يفعل بهم ما فعل بقوم لوط، والذين أهلكوا من الأمم السالفة بتعجيل العذاب في الدنيا.

﴿أَوْيَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

عطف على ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾.

﴿أَوْيَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ﴾ أي في تصرفهم في أسفارهم، وسائر ما يَنْقَلِبُونَ فيه.

﴿أَوْيَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾.

أي أو يأخذهم بعد أن يخيفهم، بأن يهلك فرقة فتخاف التي تليها. وقيل على تخوف على تنقص، ومعنى التنقص أن ينتقصهم في أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم.

ويروى عن عُمَرَ قَالَ: ما كنت أدري ما معنى أو يأخذهم على تخوف حتى سمعت قول الشاعر^(٢):

(١) الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.

(٢) هو ابن مقبل (اللسان - خوف).

التامك السنام المرتفع، والمكتنز - وناقة تامك عظيمة السنام وأتمكها المرعى، والقرد التلبيد الشعر - والسفن القشر، مصدر «سفن» بمعنى برى وقشر، والسفن الفأس التي يقشر وينحت بها - والقُدوم. والنبع شجر قوي تتخذ منه القسي - يقول إن ناقتة أضناها السفر وبرأها كما يبري صانع القسي عود النبع فيجعله دقيقاً.

تَخَوْفُ السَّيْرِ مِنْهَا تَأْمِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوْفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفِينِ

يصف ناقة وأن السير تنقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه.

وقوله: ﴿فَإِنْ رَبُّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من رحمته أن أمهل فجعلاً فسحةً للتوبة

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ﴾.

... وتقرأ تتفياً ظلاله.

﴿سُجَّدًا﴾ منصوب على الحال.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

ومعنى ﴿دَاخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ، وهذه الآية فيها نظر، وتأويلها - والله

أعلم - أن كل ما خلق الله مِنْ جِسْمٍ وَعَظْمٍ وَلَحْمٍ وَنَجْمٍ وَشَجَرٍ خَاضِعٌ لِلَّهِ

سَاجِدٌ، والكافر إن كَفَرَ بقلبه وَلِسَانِهِ وَقَصْدِهِ فَنَفْسُ جِسْمِهِ وَعَظْمُهُ وَلَحْمُهُ

وَجَمِيعُ الشَّجَرِ وَالْحَيَوَانِ خَاضِعَةٌ لِلَّهِ سَاجِدَةٌ. والدليل على ذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾^(١).

روي عن ابن عباس أنه قال: الكافر يسجد لغير الله، وظلُّه يسجد لله.

وتأويل الظل تأويل الجسم الذي عنه الظل.

وقوله: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

أي هذه الأشياء مجبولة على الطاعة.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ

وَالْمَلَائِكَةُ﴾.

المعنى ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة

(١) سورة الحج. الآية ١٨.

والملائكة، أي وتسجد ملائكة الأرض، والدليل على أن الملائكة في الأرض أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١) وقوله: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾. أي يخافون ربهم خوف مُخْلِدين^(٤) مُعْظَمِينَ. وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. وصفهم بالطاعة وأنهم لا يجاوزون أمراً له ولا يتقدمونه. وقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾.

قيل معناه دائماً، أي طاعة واجبة أبداً، ويجوز - والله أعلم - أن يكون ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي له الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يَرْضَ، وسهل عليه أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوَصْبُ. والوصْبُ شِدَّةُ التعب. ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

أي أغير الله الذي قد بَانَ لكم أنه وحده، وأنه خالق كل شيء. وأن ما بكم من نعمة فمن عنده، وأنه لو أراد إهلاككم حين كفرتم وألَّا يُنْظِرْكُمْ إِلَى يوم التوبة لَقَدَرَ، وأَعْلَمَ أنه مع إقامة الحجج في أنه واجِدٌ، وأنه أَمْرٌ أَلَّا يُتَّخَذَ معه إله [عبدوا غيره]^(٥) لأنهم قالوا عن الأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

(١) سورة ق. الآية ١٨.

(٢) سورة الرعد. الآية ١١.

(٣) سورة الانفطار. الآية ١٠ - ١١.

(٤) في الأصل مُحْلِينَ.

(٥) زيادة لا بد منها لأن الجملة خالية من الخير.

اللَّهُ زُلْفَى﴾^(١). فأعلم الله - عز وجل - أن لا إله إلا هو، ولا يجوز أن يعبد غيره، وإن قصد التقرب بالعبادة لله وحده، فقال - جل وعلا - :

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

فذكر اثنين توكيداً لقوله إلهين، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

دخلت الفاء، ولا فعل ههنا لأن الباء متصلة بالفعل^(٢)، المعنى ما حل بكم من نعمة فمن الله، أي ما أعطاكم الله من صحة جسم أو سعة في رزق، أو متاع بمال أو ولد فكل ذلك من الله.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ﴾.

أي إليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، يقال: جأ الرجلُ يجأُ جُؤاراً، والأصوات مبنية على فَعَالٍ وفَعِيلٍ، فأما فَعَالٌ فنحو الصُّرَاخ، والجُّؤَارُ، والبُكَاء. وأما الفَعِيلُ فنحو العويل والزئير، والفُعَالُ أكثر.

وقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

هذا خاص فيمن كفر به.

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي ليكفروا بأننا أنعمنا عليهم، أي جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم

(١) سورة الزمر. الآية / ٣.

(٢) «ما» في «وما بكم» إما موصولة وإما شرطية، ولا فعل في حيزها سواء في الصلة أو فعل الشرط، وقد قدر المؤلف فعلاً يتعلق به الجار في «بكم» ولا داعي لهذا غير أنه يجاري الكوفيين في تقدير فعل يتعلق به الجار أما الفاء فلأن الجملة اسمية.

سبياً إلى الكفر كما قال تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾^(١). ويجوز أن يكون ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي ليَجْحَدُوا نعمة الله في ذلك، كما قال :

﴿أَفِينِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وقوله : ﴿فَتَمَتُّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

لم يَأْمُرْهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَتَمَتُّعُوا أَمْرَ تَعَبُدٍ، إنما هو لفظ أَمْرٍ لِيَهْدَدَ كما قال : ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾^(٢). أي فَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ وَأَوْعَدَ وَأَنْذَرَ وَبَالِغَتِ الرُّسُلُ فَمَنْ اخْتَارَ بَعْدَ ذَلِكَ الْكُفْرَ وَالتَّمَتُّعَ بِمَا يَبَاعِدُ مِنَ اللَّهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ. وقد بين الله عاقبة الكفر والمعصية بالحجج البالغة والآيات البينات.

وقوله : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

[هو] معنى قوله [تعالى] : ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾^(٣) فجعلوا نصيباً يتقربون به إلى الله تعالى، ونصيباً يتقربون به إلى الأصنام والحجارة.

وقوله : ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

أي تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهُ^(٤) سؤال توبيخ حتى تعترفوا به على أَنْفُسِكُمْ، وتَلْزِمُوا أَنْفُسَكُمْ الْحُجَّةَ.

وقوله : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾.

لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ معناه تنزيهاً له من السوء. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

(١) سورة يونس . الآية ٨٨ .

(٢) سورة الإسراء . الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الأنعام . الآية ١٣٦ .

(٤) في الأصل عن سؤال توبيخ .

لَا يَشْكُرُونَ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ لَا غَيْرَ، الْمَعْنَى سُبْحَانَهُ وَلَهُمُ الشَّيْءُ الَّذِي يَشْتَهُونَ
 كَمَا قَالَ: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾^(١). فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَمْ لَا يَكُونُ الْمَعْنَى
 وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ. قِيلَ الْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: جَعَلَ لِنَفْسِهِ
 مَا يَشْتَهِي، وَلَا يَقُولُونَ جَعَلَ زَيْدٌ لَهُ مَا يَشْتَهِي، وَهُوَ يَعْنِي نَفْسَهُ، ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّهُمْ
 يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ. [فَقَالَ]:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

فَيَجْعَلُونَ لِمَنْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ خَالِقُهُمُ الْبَنَاتِ اللَّائِي مَحَلُّهُنَّ مِنْهُمْ هَذَا
 الْمَحَلَّ^(٢). وَمَعْنَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا، مُتَغَيِّرًا تَغْيِيرًا مَغْمُومًا. وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَ
 مَكْرُوهًا: قَدْ اسْوَدَّ وَجْهُهُ غَمًّا وَحُزْنًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ سَوَدَّتْ وَجْهَ فُلَانٍ
 وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾.

قِيلَ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا حَزَبَ امْرَأَتُهُ الْمَخَاضُ تَوَارَىٰ لِكَيْ يَعْلَمَ
 مَا يُؤَلَّدُ لَهُ، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا سُرَّ بِهِ وَابْتَهَجَ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَىٰ اكْتَأَبَ بِهَا وَحَزِنَ،
 فَمِنْهُمْ مَنْ يَيْئُدُ وَلَدَهُ^(٣)، يَذْفِيهَا حَيَّةً، أَوْ يَمْسِكُهَا عَلَىٰ كِرَاهَةٍ وَهَوَانٍ. فَقَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي
 التُّرَابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

أَيَّ الْأَسَاءَةِ حُكْمُهُمْ فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ وَفِي جَعْلِهِمْ لِلَّهِ الْبَنَاتِ وَجَعْلِهِمْ
 لَأَنْفُسِهِمُ الْبَنِينَ، وَنَسَبِهِمْ لِلَّهِ اتِّخَاذَ الْوَلَدِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ يَوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

مَعْنَى ﴿عَلَيْهَا﴾ عَلَى الْأَرْضِ، وَدَلَّ الْإِضْمَارُ عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ الدَّوَابَّ إِنَّمَا
 هِيَ عَلَى الْأَرْضِ.

(١) سُورَةُ الطُّورِ آيَةُ ٣٩.

(٢) يَنْسِبُونَ الْبَنَاتِ لِلَّهِ، وَمَكَانَةُ الْبَنَاتِ فِي أَنْفُسِهِمْ هَذِهِ الْمَكَانَةُ الْبَغِيضَةُ.

(٣) وَلَدَهُ، أَيُّ الْمَوْلُودِ الَّذِي وَلَدَ لَهُ، وَوُلِدَ تَطَلَّقَ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

جاء في التفسير [أنه] قوله: لا إله إلا الله، وتأويله أن الله - جل ثناؤه - له التوحيد، ونفي كل إله سواه.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

أي يجعلون لله البنات اللاتي يكرهونهن.

وقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾.

﴿أَنَّ﴾ بدل من ﴿الكذب﴾ المعنى وتصف ألسنتهم أَنَّ لهم الحُسْنَى، أي يصفون أن لهم - مع فعلهم هذا القبيح - من الله جل ثناؤه - الجزاء الحسن^(١).

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾.

«لَا» رد لقولهم. المعنى - والله أعلم - ليس ذلك كما وصفوا، جرم أن لهم النار، المعنى جَرَمَ فعلهم هذا أن لهم النار، أي كسب فعلهم أن لهم النار. وقيل إِنَّ «أَنَّ» في موضع رفع، ذكر ذلك قطرب، وقال المعنى أن لهم النار.

﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾.

فيها أربعة أوجه: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بإسكان الفاء وفتح الراء، ومُفْرَطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وفتحها، ومُفْرَطُونَ - بإسكان الفاء وكسر الراء، ومُفْرَطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها.

فأما تفسير مُفْرَطُونَ، ومُفْرَطُونَ فجاء عن ابن عباس، متروكون وقيل عنه: مُعْجَلُونَ. ومعنى الفَرَط في اللغة: التَّقدم، وقد فرط إليّ منه قول أي

(١) يدعون أن الله سيجزيهم جزاء حسناً، مع هذا الفعل القبيح الذي فعلوا.

تَقَدَّمَ، فمعنى مُفْرَطُونَ مُقَدَّمُونَ إِلَى النار، وكذلك مُفْرَطُونَ، ومن فَسَّرَ متروكون فهو كذلك، أي قد جُعِلُوا مُقَدَّمِينَ فِي الْعَذَابِ أَبَدًا متروكين فيه.

ومن قرأ مُفْرَطُونَ، فالمعنى أَنَّهُ وَصَفَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ فَرَطُوا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَعْمَلُوا فِيهَا لِلْآخِرَةِ. وتصديق هذه القراءة قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(١).

وَمَنْ قَرَأَ مُفْرَطُونَ، فالمعنى على أَنَّهُمْ أَفْرَطُوا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَمَا تقول: قد أفرط فلان في مكروهي. وتأويله أَنَّهُ آثَرَ الْعَجْزَ وَقَدَّمَهُ^(٢).

وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً [لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]﴾.

يَنْصَبُ ﴿رَحْمَةً﴾ الْمَعْنَى: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا هُدًى وَرَحْمَةً، أَي مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ إِلَّا لِلْهُدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ لَهُ. ويجوز: وَهُدًى وَرَحْمَةً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، الْمَعْنَى: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلْبَيَانِ وَهُوَ - مَعَ ذَلِكَ - هُدًى وَرَحْمَةً.

﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾.

وَتَقْرَأُ نُسْقِيكُمْ، وَيُقَالُ سَقَيْتُهُ وَأَسْقَيْتُهُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ^(٣). قَالَ سَيِّبُوهِ وَالْخَلِيلُ سَقَيْتُهُ كَمَا تَقُولُ نَاوَلْتُهُ فَشَرِبَ. وَأَسْقَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ سَقِيًّا، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَحْتَمِلُ الْمَذْهَبَيْنِ^(٤):

(١) سورة الزُّمَرِ ٥٦.

(٢) تأويل لا جرم أَنَّ لَهُمُ الْعَذَابَ. أَن هُؤُلَاءِ آثَرُوا الرَّاحَةَ.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالفتح. من الثلاثي.

(٤) هو لبيد بن ربيعة العامري. . والبيت في ديوانه ١٢٨/١، ورواه أبو عبيدة في مجازة ٣٥٠/١،

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْسِدٍ وَأُسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَلَالٍ
وهذا البيت وضعه النحويون على أنه سَقَى وَأُسْقَى بمعنى واحد، وهو
يحتمل التفسير الثاني .

والأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال هو
الأنعام وهي الأنعام. نسقيكم مما في بطونه، وفي موضع آخر ﴿مما في
بطونها﴾^(١). فاعلم الله - عز وجل - أن في إخراجِه اللَّبَنِ ﴿مِنْ بَيْنِ قَرْتٍ وَدَمٍ﴾ دليلاً
على قدرة لا يقدر عليها إلا الله الذي ليس كمثله شيء .

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .
أي فيما بيننا علامة تدل على توحيد الله .

وقالوا في تفسير قوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ إنه الخمر من قبل أن تحرم،
والرزق الحسن يؤكل من الأعناب والتُمُورِ . وقيل إن معنى السكر الطعم
وأنشدوا:

جعلت أعراض الكرام سَكَرًا^(٢)

أي جعلت دَمَهُم طُعْمًا لك . وهذا بالتفسير الأول أشبه، المعنى جعلت
تتخمر بأعراض الكرام، وهو أبين - فيما يقال: الذي يتبرك^(٣) في أعراض
الناس .

== والأعلم الشتمري ٢٣٥/٢ وكذلك في اللسان (سقى) . والذي أنكره هو الأصمعي، قال لو كان
شاعراً مطبوعاً ما استعمل غير لغة قومه ولا يستعمل لغتين: وانظر معاني الفراء ١٠٨/٢ .

(١) سورة المؤمنون الآية ٢١ .

(٢) قال أبو عبيدة في مجازة ٣٦٣/٥ أنه لجندل ولم يبين من هو جندل وأبو عبيدة هو الذي جعل السكر
الطعام، ولم يقله غيره، وأنكر ذلك الزجاج، انظر اللسان (سكر) . والطبري ٨٤/١٤، والقرطبي
١٢٩/١٠ .

(٣) نخوض فيها كما يبرك الجمل في مبركه .

وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾.

وَبُيُوتًا. فمن قرأ بُيُوتًا بِالضَّم فهو القياس، مثل كعب وكُعُوب وقلْب وقلُوب، ومن قرأ بُيُوتًا بالكسر فهذا لم يذكر مثله أَحَدٌ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ لأنهم لا يجيزون مثله. ليس في الكلام مثل فَعْلٌ وَلَا فِعُول، والذين قرأوا به قلبوا الضمة إلى الكسرة من أجل الياء التي بعدها.

ومعنى الوحي في اللغة على وجهين يرجعان إلى معنى الإعلام والإفهام فمن الوحي وَحْيُ اللَّهِ إلى أنبيائه بما سمعت الملائكة من كلامه، ومنه الإلهام كما قال الله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ إلى ﴿بَانَ رَبُّكَ أُوحَىٰ لَهَا﴾^(١) معناه أَلْهَمَهَا. فالله أوحى إلى كل دَابَّةٍ وَذِي رُوحٍ في التماس منافعها واجتناب مضارها، فذكر من ذلك أمر النحل، - وواحدُ النَّحْلِ نحلة، مثل نخل ونخلة - لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر بأن أَلْهَمَهَا اتخاذ المنازل والمساكن، وأن تأكل من كل الثمرات على اختلاف طعومها. ثم سهل عليها سبيل ذلك فقال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا﴾ أي قد ذللها الله لك وسهل عليك مَسَالِكَهَا.

ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾^(٢).

فهي تأكل الحامض والمر وما لا يُوصَف طعمه فَيُحِيلُ اللَّهُ ذلك عَسَلًا يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها ولكنه قال: ﴿مِنْ بُطُونِهَا﴾، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلا في البطون فيخرج بعضها من الفم كالرَّيْق الدائم

(١) تمام الآية: ﴿وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بَانَ رَبُّكَ أُوحَىٰ لَهَا﴾ سورة الزلزلة، (٢ - ٥).

(٢) الآية: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾.

الذي يخرج من فم ابن آدم، فالتحل يخرج العسل من بطونها إلى أفواهها.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

في هذا قولان، قيل إن الهاء يرجع على العسل، المعنى في العسل شفاء للناس. وقيل إن الهاء للقرآن، المعنى في القرآن شفاء للناس وهذا القول إذا فسّر علم أنه حسن، المعنى فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن الله واحد شفاء للناس. والتفسير في العسل حسن جداً.

فإن قال قائل: قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره العسل، فكيف يكون فيه شفاء للناس، فجواب هذا أن يقال له الماء حياة كل شيء فقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يصادف من علة في البدن، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة، لأن الجلاب^(١) والسكنجين^(٢)، إنما أصلهما العسل، وكذلك سائر المعجونات. وهذا الاعتراض في أمر العسل إنما هو اعتراض جهلة لا يعرفون قدرة في النفع، فأما من عرف مقدار النفع فهو وإن كان من غير أهل هذه الملة فهو غير رافع أن في العسل شفاءً.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

أي منكم من يكبر ويُسُّنُّ حتى يذهب عقله خَرَفاً فيصير بعد أن كَانَ عَالِماً جَاهِلاً، والمعنى - والله أعلم - ﴿لكيلا يَعْلَمَ بعد علمٍ شَيْئاً﴾ أي ليريكُم من قدرته أنه كما قدر على إِمَاتَتِهِ وإِحْيَائِهِ أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل. وأعلم - عز وجل - أن الموت والحياة بيده، وأنه [الإنسان] قد

(١) الجلاب: ماء الورد: فارسي معرب.

(٢) السكجنين: فارسي أيضاً معرب وهو شراب عذب يتطيب به.

يَتَغَذَّى بِالْأَغْذِيَةِ الَّتِي يَتَعَمَّدُ^(١) فِيهَا الْغَايَةَ فِي الصَّلَاحِ وَالْبَقَاءِ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ فِي مِقْدَارِ مُدَّتِهِ شَيْئاً.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَآدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾.

أي قد فضل الله المَلَكَ عَلَى مَمَالِكِهِمْ، فجعل المملوك لا يقدر على مِلْكٍ مع مَوْلَاهُ وأعلم أن المالك ليس يَرُدُّ على مملوكه من فضل ما في يده حتى يستوي حالهما في المِلْكِ. وقيل لهم: إنكم كلكم من بني آدم، وأنتم لا تسوون بينكم فيما ملكت أيمانكم، وأنتم كلكم بَشَرٌ. فكيف تجعلون بعض الرزق الذي رزقكم الله له، وبعضه لأصنامكم، فتشركون بين الله وبين الأصنام، وأنتم لا تَرْضَوْنَ لأنفسكم فيمن هو مثلكم بالشركة.

وقوله: ﴿أَفَبِعِنتَمِ اللَّهِ يُجْحَدُونَ﴾.

فيها وجهان: يجوز أن يكون، أَفَبِأَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اتَّخَذْتُمْ النِّعَمَ لتجحدوا وتشركوا به الأصنام. وجائز أن يكون ﴿أَفَبِعِنتَمِ اللَّهِ﴾: أفبما أنعم الله عليكم بأن يَبْنِيَّ لكم ما تحتاجون إليه تجحدون.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾.

جاء في التفسير أن الله خلق حَوَاءً مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلاعِ آدَمَ، فهو معنى جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً أي من جنسكم.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدةً﴾.

اختلف الناس في تفسير الحَفْدة، فقول الأولاد، وقول البنات وقول الأختان، وقول الأصهار، وقول الأعوان. وحقيقة هذا أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل

(١) عمد وقصد، بأن اختار.

من الأزواج بنين وَمَنْ يَعاوُنْ على ما يحتاج إليه بِسُرْعَةٍ وطاعةٍ، يقال حَفَدَ يَحْفَدُ حَفْدًا وَحَفْدًا وَحَفْدَانًا إذا أَسْرَعَ. قال الشاعر: (١)

حَفَدَ الْوَلائدُ بَيْنَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ بِأَكْفِهِنَّ أَزِمَةً الْأَجالِ

معناه أَسْرَعُوا في الخِدمة.

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾.

أي لا تجعلوا لله مثلاً لأنه واحد لا مثل له، جَلَّ وعَزَّ، ولا إله إلا هُوَ - عَزَّ وَجَلَّ. ثم ضرب لهم المثل فقال:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾.

فأعلم الله - جَلَّ وعَزَّ - أَنَّ الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مقتدرًا على الإنفاق مالكا والآخر عاجزاً لا يقدر على أن ينفق لا يَسْتَوِيَانِ، فكيف بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تَعْقِلُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الذي هو على كل شيء قدير، وهو رازقُ جميع خلقه، فبين لهم أَمْرَ ضلالتهم وبعْدِهِم عن الطريق في عبادتهم الأوثان، ثم زاد في البيان فقال جَلَّ وعَزَّ:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

والأبكم المطبق الذي لا يسمع ولا يُبْصِرُ ولا يَعْقِلُ، ثم قال:

﴿وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾.

أي على وليه

﴿إِنَّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى

صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

(١) البيت في اللسان (حَفَدَ) ولم أتف على قائله.

أي هل يستوي القادر التام التمييز والعاجز الذي لا يحس ولا يأتي بخير، فكيف يسوون بين الله وبين الأحجار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
ومعناه - والله أعلم - : ولله علم غيب السموات والأرض.
﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾.

والساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم. فأعلم الله - عز وجل - أن البعث والإحياء في قدرته ومشيبته ﴿كلمح البصر أو هو أقرب﴾ ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها.
وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وإمهاتكم - بالكسر^(١) -، والأصل في «أمهات» أمات، ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوا هاء في قولهم أهرقت الماء، وإنما أصله أركت الماء، والأفتدة جمع فؤاد مثل غراب وأغربة. ولم يجمع فؤاد على أكثر العدد، لم يقل فئدان، مثل غراب، وغربان.

ثم دلهم - سبحانه - على قدرته على أمر الساعة بما شاهدوا من تدبيره فقال:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾.
﴿جَوِّ السماء﴾ الهواء البعيد من الأرض، وأبعد منه من الأرض السكاك، ومثل السكاك اللوح، وواحد السكاك سُكَاكَةٌ^(٢).
وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾.

(١) كسر الهمزة.

(٢) اللوح والسكاك والسكاكة - الهواء بين السماء والأرض - تقول لا أفعله ولو نزوت في السكاك، أي في السماء.

أَي مَوْضِعاً تَسْكُنُونَ فِيهِ .

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾ .

والأنعام اسم للإبل والبقر والغنم

وقوله: ﴿تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَنَعْتُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ .

معنى تستخفونها، أي يخف عليكم حملها في أسفاركم وإقامتكم،
ويقرأ يوم ظعنكم، وظعنكم .

﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاناً وَمَتاعاً إِلَى حِينٍ﴾ .

الأوبار للإبل، والأصواف للضأن، والأشعار للمعز. والأثان متاع
البيت، ويقال لمتاع البيت أيضاً، الأهرة^(١)، ويقال: قد أثّ يثّ أثاً إذا صار
ذا أثان.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾ .

أي جعل لكم من الشجر ما تستظلون به

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾ .

واحد الأكنان كن، على وزن حمل وأحمل، ولا يجوز أن يكون
واحدها كناناً، لأن جمع الكنان أكنة. أي جعل لكم ما يكننكم .

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ .

كل ما لبسته فهو سربال. من قميص أو درع أو جوشن^(٢) أو غيره، قال

اللّه عز وجل: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾^(٣)، وقال تقيكم الحرّ ولم يقل تقيكم
البرد لأن ما وقى من الحرّ وقى من البرد .

(١) الأهرة - بوزن عقة متاع البيت - قالوا: بيت حسن الأهرة والظهرة والعقار، وهو متاعه، والظهرة

ما ظهر منه والأهرة ما بطن، والجمع أهرة وأهرات .

(٢) الجوشن اسم الحديد الذي يلبس من السلاح .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٥٠ .

وقوله: ﴿وَسَرَّائِيلَ تُقَبِّلُكُمْ بِأَسْكُمْ﴾.

أي جعل لكم ذُرُوعاً تَتَّقُونَ بها في الحروب مِنْ بَأْسِ الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ.
وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلَمُونَ﴾.

أكثر القراء تُسْلِمُونَ، ويقرأ لعلكم تُسْلَمُونَ، أي لعلكم إِذَا لبستم
الدروع في الحرب سَلِمْتُمْ من الْجِرَاحِ، ثم قَالَ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ:
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

أي عليك أَنْ تبلغ الرسالة وتأتي بالآيات الدالة على النبوة.
وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾.

أي يعرفون أَنَّ أمر النبي ﷺ حق ثم ينكرون ذلك.
وقوله: ﴿فَالْقُوا إِلَهُمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

أي لما رأى الذين أَشْرَكُوا ما كانوا يشركون بالله غير نَافِعِهِمْ وَجَحَدَتْهُمْ
أَلِهَتُهُمْ كما قال الله جل وعز: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ
ضِدًّا﴾^(١).

وقوله: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

روي في التفسير أَنَّ الَّذِي زِيدُوا^(٢) عِقَابُهَا أَنِيَابُ كَالنَّحْلِ الطَّوَالِ،
وقيل أيضاً: انهم يخرجون من حَرِّ النَّارِ إِلَى الزَّمْهِرِيرِ، فَيُيَادِرُونَ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ
إِلَى النَّارِ.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

كُلُّ نَبِيٍّ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِهِ، وهو أعدل شَهِيدٍ عليها.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

(٢) العذاب الذي زيدوه.

(١) سورة مريم الآية ٨٢.

تبيان: اسمٌ في معنى البيان، ومثل التَّبيان التَّلَقاء، وَلَوْ قُرِئَتْ تَبْيَاناً على وزنِ تَفْعَالٍ لَكَانَ وجهاً، لأنَّ التَّبيانَ في معنى التَّبيين، ولا تجوز القراءة به لأنه لم يَقْرَأْ به أَحَدٌ من القُرَّاء.

وقوله: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

يقال: وَكَّدْتُ الأمر، وَأَكَّدْتُ الأمر. لغتان جَيَّدَتَانِ، والأصل الواو، والهمزة بدل منها.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾.

﴿أَنْكَاثًا﴾ منصوب لأنه في معنى المضمر لأن معنى نكثت نقضت، ومعنى نقضت نكثت^(١)، وواحد الانقاض نكث وهو ما نُقِضَ بَعْدَ أن غزل، قال الشاعر: (٢).

ترعيةٌ تعرفُ الأرباعَ ضجعتُه له نِكَاثٌ مِنَ الأنجادِ والفُصلِ

وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾.

أي غشاً بينكم وَغِلاً. ودَخَلًا منصوب لأنه مفعول له، المعنى: تتخذون أيمانكم للغش والدَّخَل، وكل ما دَخَلَهُ عَيْبٌ قِيلَ هو مَدْخُول، وفيه دَخَلٌ.

وقوله: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾.

لتغترَّ إحداهُمَا بالأخرى، وأربى مأخوذٌ من رَبَا الشيء يَرْبُو إذا كثر.

وقوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾.

يقال نَفِدَ الشيء يَنْفَدُ نَفَاداً وَنَفْداً إذا فَنِيَ.

(١) على هذا هو مفعول مطلق، ويمكن أن يكون حالاً، ومثله قولهم:

قطعتُه إِرْباً إِرْباً، أي جعلته قِطْعاً

(٢) الترية الذي يصلح المال على يديه ويحيد رعي الإبل. وترعى نادر والأرباع جمع رُبْع ورُبْعَة، وهو الفصل الذي ينتج في الربيع.

وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

قيل لَنَرُزُقْنَهٗ حَلَالًا، وقيل ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ الجنة. وموضع: ﴿أَرْبَى﴾ رفع المعنى: أن تكون أمةٌ هي أكثرُ من أمةٍ، وزعم الفراء أن موضع ﴿أَرْبَى﴾ نصب و﴿هي﴾ عمادٌ، وهذا خطأ، «هي» لا تدخل عماداً ولا فصلاً^(١) مع النكرات، وشبهه بقوله: ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً﴾^(٢). و«تجدوه» الهاء فيه معرفة، وأمة نكرة.

وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ليس معناه استعذ بالله بعد أن تقرأ، لأن الاستعاذة أمرٌ بها قبل الابتداء، وهو مستعمل في الكلام، مثله إذا أكلت فقل بسم الله، ومثله في القرآن: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٣) فالهيئة^(٤) قبل الصلاة، والمعنى إذا أردتم ذلك فافعلوا.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ﴾.

أي إذا نسخت آيةً بآيةٍ أخرى عليها فيها مشقة.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

أي قالوا قد كذبتنا.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكََاذِبُونَ﴾.

(١) وجه المنع عنده أن «أربى» إذا جعلت «هي» فصلاً تكون صفة، ويبقى الكلام ناقصاً. ولا نوافقه على ما ذهب إليه.

(٢) آخر سورة المزمل. سورة ٧٣ الآية ٢٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٦. (٤) التهيؤ والاستعداد.

أي إنما يفترى الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذبوا بها، فهؤلاء أكذب الكذبة.

وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾.

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على البدل من الكاذبين ومفسر^(١) عن الكاذبين، ولا يجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ رفعا بالابتداء، لأنه لا خبر ههنا للابتداء، لأن قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾.

ليس بكلام تام، وبعده:

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

فقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ خبر ﴿مَنْ﴾ التي بعد ﴿لكن﴾^(٢)

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾.

أعلم الله عز وجل نبيه ما يقولونه بينهم.

وقوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾.

ويقرأ «يُلْحِدُونَ»، أي لسان الذي يميلون القول إليه أعجمي.

وقيل هذا غلام كان لحويطب^(٣) اسمه عايش^(٤)، أسلم وحسن إسلامه.

(١) مبين المراد من الكاذبين، فيكون التقدير إنما يفترى الكذب هؤلاء، وهم الكاذبون، لأنهم هم الذين كفروا بعد إيمانهم.

(٢) يمكن أن تكون جملة ﴿إلا من أكرهه وقلبه مطمئن﴾ - إلى - ﴿صدراً﴾ جملة معترضة وتكون ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ هي الخبر، والمعنى من كفر عامداً غير مكره، فعليه غضب الله. وعلى الوجه الذي ذكره - تكون ﴿من﴾ في ﴿من كفر بالله﴾ مبتداً لم يذكر خبره - ولهذا هو يجعلها بدلاً عما قبلها.

(٣) هو حويطب بن عبد العزى، قرشي عامري. أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفات قلوبهم، عاش مائة وعشرين سنة ومات في خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر في الاستيعاب اسمه بأنه حوط. - انظر الإصابة ١٨٨٢، وص ٣٩١ - هامشه ترجمة حوط بالاستيعاب.

(٤) لم أقف على ترجمة لصحابي يسمى عائشاً غير عائش بن الصامت الذي كان يسمى الناسك. ويبدو أنه غير هذا لأنه كان سيد بني نهد في الجاهلية. . على أنه اختلف في اسمه فقيل اسمه يعيش، =

﴿وَهَذَا لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ﴾.

يقال: عَرَبَ الإنسانَ يَعْرُبُ عُرُوبَةً وَعَرَابَةً وَعُرُوبَةً.

وقوله: ﴿مُبِينٌ﴾.

وصفه بالبيان كما وصفه بأنه عَرَبِيٌّ، ومعنى عربي أن صاحبه يتكلم بالعربية وَمَعْنَاهُ مُعْرَبٌ: ﴿مُبِينٌ﴾.

وقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

«أَنَّ» يصلح أن تكون في موضع رَفَعَ على أَنَّ «لَا» رَدُّ للكلام، والمعنى وجب أَنَّهُمْ، ويجوز أن تكون «أَنَّ» في موضع نَصَبٍ على أن المعنى جَرَمَ فَعَلُهُمْ هذا أنهم في الآخرة هُمُ الْخَاسِرُونَ. ومعنى جَرَمَ كَسَبَ، والمجرم الكاسِبُ، وأكثر ما يستعمل للذنوب.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من بعد الفَعْلَةِ التي فعلوها. وهذه الآية في قصة عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ^(١) وأصحابه حين عَذَّبَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فَأَكْرَهُوهُمْ على أن تركوا الإيمان، وكفروا بالسننهم وفي قُلُوبِهِمْ وَنِيَّاتِهِمُ الْإِيمَانُ، ثم هربوا منهم وهاجروا إلى النبي (ﷺ) فلحقهم جمعٌ من أهل مكة فقاتلوهم حتى نَجَّاهُمُ اللَّهُ منهم، وصبروا على جهادهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾.

وقيل هو غلام نصراني كان يسمى جبلا وقيل كانا اثنين.

(١) هو سيدنا عمار بن ياسر بن عامر حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم - أحد سبعة أظهروا إسلامهم بمكة أول من أظهروه، وأسرتهم من المعتدين في الإسلام. شهد المشاهد كلها - وقطعت أذنه في موقعة اليمامة، وقتل يوم صفين وهو يحارب في صف علي. انظر الإصابة ٥٦٩٩.

﴿يَوْمٌ﴾ منصوب على أحد شيئين ، على معنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، يَوْمٌ تأتي ﴿ويجوز أن يكون بمعنى اذكر لأن معنى القرآن العِظَةُ والإنذارُ والتذكير. أي اذكر يوم تأتي كل نفس أي كل إنسان يُجَادِلُ عن نفسه .

ويروي أنه إذا كان يومُ القيامة زَفَرَتْ جهنمُ زَفْرَةً فلا يبقى ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلَّا جَسَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وقال يا رب نفسي نفسي ، وتصديق هذا قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . . .﴾ الآية (١) .

وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ .

المعنى - والله أعلم - وضرب الله مثلاً مثل قرية كانت آمنة مطمئنة .
﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ .

أي واسعاً من كل مكان .

الذي جاء في التفسير أنه يعني بها مكة ، وذلك أنهم كانوا قد آمنوا الجُوعَ والخوفَ لأنَّ الله جل ثناؤه جَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، فَأَرْزَأَهُمْ تَأْتِيهِمْ فِي بِلَدِهِمْ وَكَانَ حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ .

﴿فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ .

و[قد] جاعوا حتى بلغوا إلى أن أكلوا الوبر بالدم ، وبلغ منهم الجوع الحال التي لا غَايَةَ بَعْدَهَا . وأنعم جمع نعمة ، وقالوا شِدَّةً ، وأشدَّ . وقال قطرب : جائز أن يكون جمع نُعَمٍ وأنعمٍ ، مثل وِدٍّ وأوَدٍّ .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

عَذَبَهُمُ اللَّهُ بالسيف ، القتل .

(١) سورة عبس الآيات ٣٤ - ٣٧ .

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾.

في الكذب ثلاثة أوجه، قرئت الكَذِبُ، وقرئت الكُذْبُ، وقرئت الكَذِبُ، فمن قرأ - وهو أكثر القِراءة - الكَذِبُ فالمعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكَذِبَ: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾. ومن قرأ الكَذِبُ كان ردًا على ما المعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب^(١). ومن قرأ الكُذْبُ فهو نعتٌ للآلسنة، يقال لِسَانٌ كُذُوبٌ وَاللِّسَنَةُ كُذُوبٌ. وهذا إنما قيل لهم لِمَا كانوا حَرَمُوهُ وَأَحْلَوْهُ، فقالوا: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾^(٢)، وقد شرحنا ذلك في موضعه.

وقوله: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾.

المعنى متاعهم هذا الذي فعلوه متاع قليل. ولو كان في غير القرآن لجاز فيه النُصْبُ: متاعاً قليلاً، على أن المعنى يَتَمَتَّعُونَ كذلك متاعاً قليلاً.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾.

جاء في التفسير أنه كان آمَنَ وَحْدَهُ، وفي أكثر التفسير أنه كان مُعَلِّمًا للخير وإماماً حَنِيفاً قِيلَ أُحِذْ بِالْخِتَانَةِ، وحقيقته في اللغة أن الحنيف المائل إلى الشيء لا يزول عنه أبداً، فكان عليه السلام مائلاً إلى الإسلام غير زائل عنه، وقالوا في القَانِتِ هو المطيع، والقَانِتُ القائم بجميع أمر الله - جل وعزَّ -.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿لم يك﴾ أصلها لم يكن، وإنما حُذِفَتِ النُّونُ عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يَمْضِي من الأفعال وما يُسْتَأْنَفُ، وأنها مع ذلك قد أشبهت

(١) فهي بدل مِن «مَا» والمعنى لا تقولوا للوصف الكذب من ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٩ وانظر شرحها فيما سبق.

حُرُوفَ اللّين لأنها تكون عَلَامَةً كما تكون حروف اللّين عَلَامَةً، وَأَنَّهَا غُنَّةٌ تخرج من الأنف. فلذلك احتملت الحذف.

وقوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

الكلام يَدُلُّ على أنهم ألزموا آية نبوة موسى عليه السلام. وجاء في التفسير أنه حَرَمَهُ بَعْضُهُمْ وَأَحَلَّهُ بَعْضُهُمْ. وَهَذَا أَدَلُّ مَا جَاءَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي السَّبْتِ، وَقَدْ جَاءَ كَثِيرٌ^(١) فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِأَنْ يَتَّخِذُوا عِيداً فَخَالَفُوا وَقَالُوا نَرِيدُ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ فَرَّغَ فِيهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنْ عِيسَى أَمَرَ النَّصَارَى أَنْ يَتَّخِذُوا الْجُمُعَةَ عِيداً فَقَالُوا لَا يَكُونُ عِيدُنَا إِلَّا بَعْدَ عِيدِ الْيَهُودِ فَجَعَلُوهُ الْوَاحِدَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.

جاء في التفسير: «الحكمة» النبوة، و«الموعظة» القرآن، ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

أي جادلهم غير فَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ. أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

سُمِّيَ الْاَوَّلُ عَقُوبَةً، وَإِنَّمَا الْعَقُوبَةُ الثَّانِي - لِازْدِوَاجِ الْكَلَامِ لِأَنَّ الْجَنْسَيْنِ فِي الْفِعْلِ مَعْنَى وَاحِدٍ. وَمِثْلُهُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٢) فَالثَّانِي لَيْسَ بِسَيِّئَةٍ وَلَكِنَّهُ سُمِّيَ بِهِ لِتِفْقِ اللَّفْظِ، لِأَنَّ مَعْنَى الْقَتْلِ وَاحِدٌ وَقَدْ بَيَّنَّا نَظِيرَ هَذَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرُوهٌ لِّلَّهِ﴾.

وجاء في التفسير أن المسلمين همُّوا بأن يمثلوا بالمشرَكين، لأنهم كانوا

(١) أي جاء كلام كثير، ولو نصبت ظرفاً أو مفعولاً وجعل المصدر فاعلاً كان أولى.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠.

قد مثَّلُوا بِهِمْ، فَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ بِأَنْ يَزِيدُوا فِي الْمَثَلَةِ، فَأَمَرُوا بِأَنْ لَا يَزِيدُوا
وَجَائِز - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يَكُونَ مَعْنَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(١) أَي مِنْ
فُعِلَ بِهِ مَا يَجِبُ فِيهِ الْقِصَاصُ فَلَا يُجَاوِزُ الْقِصَاصَ إِلَّا بِمِثْلِ.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.
هو مثل قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).
وقوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

ضَيْقٌ، فِي مَعْنَى ضَيْقٍ مُخَفَّفٍ، مِثْلُ مَيْتٍ وَمَيْتٍ. وَجَائِزُ أَنْ يَكُونَ
بِمَعْنَى الضَّيْقِ، فَيَكُونُ مُصَدِّراً لِقَوْلِكَ ضَاقَ الشَّيْءُ يَضِيقُ ضَيْقاً.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.
أَيِ إِنْ اللَّهَ نَاصِرُهُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣). فَقَدْ وَعَدَ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ بِالنُّصْرِ.

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

قوله - عز وجل - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ .

﴿سبحان﴾ منصوب على المصدر، المعنى : أسبح الله تسييحاً . ومعنى سبحان الله في اللغة تنزيه الله عن السوء ، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ (٢) .

وقوله : ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ .

معناه سَيرَ عبده، يقال أُسْرِيتُ وَسَرَيْتُ إِذَا سِرْتُ لَيْلًا، وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال الله جل وعز: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ (٣) هذا من سَرَيْتُ ومعنى يَسْرِي يمضي (٤) .

أسرى الله سبحانه بالنبي ﷺ من المسجد الحرام وهو مكة، والحرم كله مسجد، فأسرى الله به في ليلة واحدة من المسجد الحرام من مكة إلى بيت المقدس وهو قوله - جل وعز: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ .

أجرى الله حول بيت المقدس الأنهار وأنبث الثمار، فذلك مَعْنَى بَارَكْنَا

حوله .

(١) في الأصل ذكرت البسملة قبل العنوان باسم السورة وكونها مكية .

(٢) أي ما جاء في الأحاديث من قوله ﷺ (سبحان الله فمعناه كذلك .

(٣) سورة والفجر الآية ٤ .

(٤) حذفت الياء في القرآن لتوافق الفواصل .

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ .
أي لنري محمداً .

فأراه الله في تلك الليلة من الأنبياء ، وآياتهم ما أُخْبِرَ بِهِ فِي غَدِ تِلْكَ
الليلة أهل مكة فقالوا للنبي ﷺ إِنَّ لَنَا فِي طَرِيقِ الشَّامِ إِبِلًا فَأَخْبِرْنَا خَبَرَهَا ،
فَخَبَّرَهُمْ بِخَبَرِهَا ، فقالوا فمتى تقدم الإبل علينا ، فأخبرهم أنها تَقْدُمُ فِي يَوْمِ
سَمَاءَ لَهُمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وأنه تَقْدَمُهَا جَمَلُ أَوْرُق ، فخرجوا في ذلك
اليوم ، فقال قائل : هذه الشمس قد أشرقت ، وقال آخر فهذه الإبل قد أقبلت
يقدمها جمل أورق كما قال محمد ﷺ فلم يؤمنوا بعد ذلك .

وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .
أي دللناهم به على الهدى .
﴿أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ .

أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رُبًّا .
وقوله: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ .

القراءة بنصب ذُرِّيَّة . وقرأ بعضهم ذِرِّيَّة - بكسر الذال - والضم أكثر .
وَذُرِّيَّةُ فُعْلِيَّةٌ مِنَ الذَّرِّ ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى النِّدَاءِ ، كَذَا أَكْثَرُ الْأَقْوَالِ الْمَعْنَى : يَا
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ . وَإِنَّمَا ذَكَرُوا بِنَعْمِ اللَّهِ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ أَنْجَى أَبْنَاءَهُمْ مِنَ
الْفِرْقِ بِأَنَّهُمْ حَمَلُوا مَعَ نُوحٍ . وَيَجُوزُ النَّصْبُ عَلَى مَعْنَى أَلَّا تَتَّخِذُوا ذِرِّيَّةً مِنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ مِنْ دُونِي وَكِيلًا ، فَيَكُونُ [الْفِعْلُ] تَعَدَّى إِلَى الذَّرِّيَّةِ وَإِلَى
الْوَكِيلِ ، تَقُولُ : اتَّخَذْتُ زَيْدًا وَكِيلًا ، وَيَجُوزُ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ عَلَى
مَعْنَى : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا
مَعَ نُوحٍ﴾ . وَيَجُوزُ الِرْفَعُ فِي ﴿ذُرِّيَّةً﴾ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْوَاوِ ، وَالْمَعْنَى ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ
دُونِي وَكِيلًا﴾ أَي لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةً ، وَلَا تَقْرَأَنَّ بِهَا إِلَّا أَنْ تُثَبِّتَ بِهَا

رواية صحيحة، فإن القراءة سنة لا يجوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾.

معناه أعلمناهم في الكتاب، وأوحينا إليهم، ومثل ذلك قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾^(١). ومعناه وأوحينا إليه.

وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢) معناه خلقهن وفرغ منهن، ومثل هذا في الشعر قوله:

وعليهما مَسْرُودَتَانِ^(٣) قضاهما داودُ أو صنع السوابغ تبّع

معناه عملهما. وجملة هذا الباب أن كل ما عُمِلَ عَمَلًا محكمًا فقد قُضِيَ، وإنما قيل للحاكم قاضٍ لأنه إذا أمر أمرًا لم يُردَّ أمره، فالقضاء قَطْعُ الأشياء عن إحكام، والمعنى إنا أوحينا إليهم لُتُفْسِدُنَّ في الأرضِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا. معناه لَتَعْظُمَنَّ وَلِتَبْغُنَّ، لأنه يقال لكل مُتَجَبِّرٍ قَدْ عَلَا وَتَعْظُمَ.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾.

المعنى فإذا جاء وعد أولي المرتين.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

يروى أنه بعث عليهم بختنصر.

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾.

أي فطافوا في خلال الديار ينظرون هل بقي أحدٌ لَمْ يَقْتُلُوهُ، والجوس

طلب الشيء باستقصاء.

(١) سورة الحجر الآية ٦٦.

(٢) سورة فصلت الآية ١٢.

(٣) تقدم.

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ .

أي رددنا لكم الدولة .

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ .

أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّارًا^(١)، ويجوز أن يكون نفيراً جمع نَفَرٍ كما يقال: العبيد والكلب والضَّئِن والمُعِز^(٢) . ونفيراً منصوب على التَّمييز .

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ .

وتقرأ لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ، المعنى فإن جاء وعد الآخرة ليسوء الوجوه وقد قرئت لَنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ - بالنون الخفيفة - ومعناه لِيَسُوءَا الوعد وُجُوهَكُمْ، والوقف عليها لِيَسُوءَا . والأجود ليسوء بغير نون، وَلِيَسُوءُوا . ويجوز: لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ، ويكون الفعل للوَعْدِ على الأمر، ولا تقرأ به، ويجوز لِنَسُوءَ بالنون في موضع الياء .

وقوله: ﴿وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ .

معناه لِيُذَمِّرُوا، ويقال لكل شيء منكسرٍ من الرُّجَاجِ والحديد والذَّهَبِ تَبَرٌّ، ومعنى ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي لِيُذَمِّرُوا في حالِ عُلُوِّهِمْ عليكم .

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ .

معناه حَبْسًا، أَخَذَ من قوله: حَصَرْتُ الرَّجُلَ إِذَا حَبَسْتَهُ فهو منحصور وهذا حَصِيرُهُ أي مَحْبِسُهُ، والحصير المنسوج إنما سَمِيَ حَصِيرًا لأنه حَصَرَتْ

(١) يُقَالُ رَجُلٌ نَاصِرٌ مِنْ قَوْمٍ نُصَّارَ، أَي جَعَلْنَا نَصْرَاءَ كَمَا أَكْثَرُ .

(٢) أَي عَبْدٌ وَعَبِيدٌ وَضَائِنٌ وَضَائِنٌ . . .

طاقاته بعضها مع بعض. والجَنَّبُ يقال له الحَصِيرُ^(١) لأن بعض الأضلاع محصورٌ مع بعض.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

أي للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله - عز وجل - [أي] شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان برُسُلِهِ، والعملُ بطاعَتِهِ، وهذه صفة الحال التي هي أقوم الحالات.

وقوله: ﴿وَيَدْعُو الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾.

المعنى إن الإنسان رُبَّمَا دَعَا على نفسه وولده وأهله بِالشَّرِّ غَضَبًا كما يدعوا لنفسه بالخير، وهذا لم يُعَرِّ منه بشرٌ.

ويروى أن النبي ﷺ رفع إلى سَوْدَةَ^(٢) بنت زَمْعَةَ أسيراً، فَأَقْبَلَ يَتْنُ بِاللَّيْلِ، فقالت له: ما بالكَ تَتْنُ فَشَكَا أَلَمَ الْقَدِّ وَالْأَسْرِ.

فَأَرْخَتْ مِنْ كِتَافِهِ، فَمَا نَامَتْ أَخْرَجَ يده وهرب، فلما أصبح النبي ﷺ دعا به فأعلم شأنه، فقال اللهم اقطع يديها، فرفعت سودةُ يديها تتوقع الاستجابة، وأن يقطع الله بديها، فقال النبي ﷺ وإني سألت الله أن يجعل دعائي ولعنتي على من لا يستحق من أهلي - رحمةً، فقولوا لها لأنني بشرٌ أغضب كما يغضب البشر لَتَرُدُّ سودة يديها. فأعلم الله - عز وجل - أن الإنسان خلق عجباً، فهذا علق عليه جملة البشر من آدم إلى آخر ولده.

والإنسان ههنا في معنى الناس.

(١) جانب الإنسان وشقه يسمى حِجْرًا.

(٢) هي أم المؤمنين زوج رسول الله (ص)، قرشية عامرية تزوجها السكران بن عمرو، فتوفي عنها فتزوجها رسول الله (ﷺ)، و كانت أول أزواجه بعد خديجة - كانت من الزهاد وكانت تضحك رسول (ﷺ) بكلامها أحياناً - لم لها عمر غرارة مليئة بالدرهم ففرقتها وماتت في خلافة عمر وقيل ماتت سنة أربع وخمسين. إصابة ٦٠٦.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ .

أي علامتين يدلان على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء وتدلان على عدد السنين والحساب .

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ .

أي جعلنا آية الليل دليلاً عليه بظلمته .

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

أي جعلناها تضيء لكم لتبصروا كيف تصرفون في أعمالكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ، ويروى أن القمر كان في ضياء الشمس فمحا الله ضياءه بالسواد الذي جعل فيه .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ .

أي بيناه تبييناً لا يلتبس معه بغيره ، والاختيار النصب في «كل» ، المعنى في النصب : لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ولتعلموا عدد السنين ، وفصلنا كل شيء تفصيلاً ، و «كل» منصوب بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ، وهو ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ ويجوز «وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً»^(١) . وكذلك النصب والرفع في قوله : ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ إلا إني لا أعلم أحداً قرأ بالرفع .

وجاء في التفسير : طائره ، أي خيره وشره ، وهو - والله أعلم - ما يتطير من مثله من شيء عمله كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، وكما يقال للإنسان إنمي في عنقك ، وإنما يقال للشيء اللازم له : هذا في عنق الإنسان ، أي لزومه له كلزوم القلادة له من بين ما يلبس في العنق .

﴿وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾ .

(١) هو اسم مشتغل عنه بضميره - فيجوز فيه الرفع والنصب .

وفي هذه أربعة أوجه: ويُخْرِجُ له، ويُخْرِجُ له، أي وَيُخْرِجُ اللَّهُ له^(١).
وَيُخْرِجُ له. أي وَيُخْرِجُ عمله له يَوْمَ الْقِيَامَةِ كتاباً، وكذلك يُخْرِجُ له
عمله يوم القيامة.

﴿كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾ منصوب على الحال.
وقوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

﴿بنفسك﴾ في موضع رفع، وإن كان مجروراً بالباء، ولو كان في غير
القرآن جاز. . كفى بنفسك اليوم حسيبة، والمعنى كفت نفسك حسيبة، أي
إذا كنت تشهد على نفسك فكفاك بهذا. وحسيباً منصوب على التمييز.
وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

يقال: وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازِرٌ وَزَرًا، وَوَزَرًا، وَزَرَةً، ومعناه آثِمٌ يَأْتُمُ إثمًا.

وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما أن الآثِمَ والمُذْنِبَ، لا يؤخذ
بذنبه غيره، والوجه الثاني أنه لا ينبغي للإنسان أن يعمل بالإثم لأن غيره عمله
كما قالت الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

أي حتى نبين ما به نُعَذِّبُ، وما من أجله نُدْخِلُ الجنة.

وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾.

تقرأ أَمَرْنَا مُخَفِّفَةً على تقدير فعلنا، وتقرأ أَمَرْنَا مترفيها على تقدير أفعلنا،
ويقرأ أَمَرْنَا - بتشديد الميم - ، فأما من قرأ بالتخفيف فهو من الأمر، المعنى
أمرناهم بالطاعة ففسقوا، فإن قال قائل: أأست تقول: أمرت زيدا فضرب
عمراً، فالمعنى أنك أمرته أن يضرب عمراً فضربه، فهذا اللفظ لا يدل على

(١) الأربعة الأوجه هي تخرج له، بالنون - وتخرج له - بالبناء للفاعل والمفعول من خرج: ويخرج من
أخرج.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٢٢.

غير الضرب، ومثل قوله: أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا ففَسَقُوا فِيهَا. من الكلام: أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي. فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الْفَسْقُ مُخَالَفَةُ أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. وقد قيل: إنما معنى أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا كَثَرْنَا مَتْرَفِيهَا، والدليل على هذا قول النبي ﷺ خير المال سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ^(١) ومُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أي مُكَثَّرَةٌ^(٢)، والعرب تقول قَدْ أَمَرَ بَنُو فُلَانٍ إِذَا كَثُرُوا، قال الشاعر:

إِنْ يُغَبِّطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمِرُوا يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْهَلِكِ وَالنَّفْدِ^(٣)
ويروى بالنقد - بالقاف^(٤) - ومن قرأ أَمَرْنَا فتأويله أَكْثَرْنَا، والكثرة ههنا يصلح أن يكون شيئين، أحدهما أن يكثر عدد المترفين، والآخر أن تكثر جِدَّتُهُمْ وَيَسَارُهُمْ. ومن قرأ أَمَرْنَا بالتشديد، فمعناه سَلَطْنَا مَتْرَفِيهَا أي جعلنا لَهُمْ إِمْرَةً وَسُلْطَانًا.

(١) جاء الحديث في اللسان (أمر) خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة، والسكة الطريقة المصطفة من النخل، ومأبورة بمعنى ملقحة - يقال أمر وأمر - بالتخفيف والتشديد - وقيل السكة سكة الحرث، والمأبورة المصلحة لأجله، والمأمورة الكثيرة التناج والنسل، يقولون أمر الله المهرة أي كثر ولدها، وأمر القوم أي كثروا، وأمرهم الله فأمروا، ومنه حديث أبي سفيان: أمر أمر ابن أبي كيشة وارتفع شأنه - والحديث يصف خيراً قال بأنه من الحرث أو من التناج.

(٢) البيت في اللسان «أمر» منسوب للبيد - وروايته به - للهالك والنكد. . ورواية النفد التي هنا تعني النفاد والفناء.

(٣) بمارئى به لبيد بن ربيعة العامري أخاه أربد، الذي أصابته صاعقة ذهبته به وبجمله بدعوة رسول الله ﷺ عليه وكان أراد قتله، وفيه نزلت الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾، وكان لبيد لا يزال على شركه، ورثى أربد بعدة مرات هذه المراثية من جياها - والبيت السابق على هذا البيت هو:

كل بني حرة مصيرهم قل، وإن أكثرت من العدد
ويغبطوا: يصيرون في حالة حسنة يغبطهم الناس عليها، ويهبطوا: تسوء حالهم وأمرؤا بمعنى كثروا - ورواية البيت في اللسان (أمر) يصيروا للهالك والنكد ورواه ابن هشام ح ٢٣٧/٤ - كما هنا - والنفد يعني النفاد والفناء.

(٤) النقد - بفتح القاف - أرادل الناس وسفلتهم، يقال هو أذل من نقد، ورب مثر أذل من نقد، ومعنى البيت حيثئذ أنهم مها كثروا ينتهوا إلى الذلة والهوان.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

أي أهلكنا عدداً كبيراً من القرون، بأنواع العذاب، نحو قوم لوط وعاد وثمود ومن ذكّر اسمه وقروناً بين ذلك كثيراً، وموضع كم النصب بقوله أهلكنا.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ لُرِيدُ﴾^(١).

أي من كان يريد العاجلة بعمله، أي الدنيا، عجل الله لمن أراد أن يعجل له ما يشاء الله، أي ليس ما يشاء هو، وما يشاء بمعنى ما نشاء^(٢)، ويجوز أن يكون المضمر في نشاء «من»، المعنى عجلنا للعبد ما يشتهي، إذا أراد الله ذلك^(٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.

لأنه لم يرد الله بعمله

﴿يَصْلَاهَا مَذْمُومًا﴾.

ومذموماً في معنى واحد.

﴿مَذْهُورًا﴾.

أي مباحداً من رحمة الله. يقال: دَحَرْتُهُ أَذْخَرُهُ دَحْرًا وَدُحُورًا إذا باعدته عنك. ثم أعلم الله - عز وجل - أن يعطي المسلم والكافر وأن يرزقهما جميعاً فقال:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾.

أي نُمِدُّ المؤمنين والكافرين مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

معناه أَمَرَ رَبُّكَ

(١) في الأصل ما نشاء وما يشاء لمن يريد.

(٢) أي قرئت عجلنا له فيها ما يشاء - وهي بمعنى عجلنا له ما يشتهي إذا أردنا ذلك.

(٣) عجلنا له ما نشاء - من كان يريد العاجلة عجلنا له منها ما نشاء - فتكون في معنى «من».

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

أي أمر أن يحسنوا بالوالدين^(١)

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾.

ترفع ﴿أحدهما﴾ يَبْلُغَنَّ، و﴿كلاهما﴾ عطف عليه، ويقرأ: يَبْلُغَنَّ عندك الْكِبَرَ، ويكون أَحَدُهُمَا أو كِلَاهُمَا بَدَل من الألف.

وقوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾.

في قوله «أف» سبع لغات: الكسر بغير تنوين، والكسر بتنوين، والضم بغير تنوين، وبتنوين، وكذلك الفتح بتنوين، وبغير تنوين، وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها، وهي «أفي» بالياء، فأما الكسر فلالتقاء الساكنين، وأف غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم تُنَوَّنْ فهي مَعْرِفَةٌ، وإذا نُوِّنَ فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقٍ في الأصوات، والفتح لالتقاء الساكنين أيضاً، والفتح مع التضعيف حسن لخفة الفتحة وثقل التضعيف والضم، لأن قبله مضموماً - حسنُ أيضاً، والتنوين فيه كله على جهة النكرة.

والمعنى: لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما، ومعنى أفُ التن، وقيل ان أفُ وسخ الأظفار، والتفُ الشيء الحقير نحو وسخ الأذان أو الشظية تؤخذ من الأرض. ومعنى الآية: لا تقل لهما ما فيه أذى بتبرم، أي إذا كبراً، أو أسناً فينبغي أن تتولَّى من خِدْمَتِهِمَا مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخِدْمَتِكَ، ولا تنهرهما بمعنى: لا تنتهرهما، أي لا تكلمهما ضجراً صائحاً في أوجهِهما، يقال نهَرته أنهره نهراً، وانتهرته أنتهره انتهاراً، بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

(١) على هامش الاصل: نسخة وأمر.

وَتَقْرَأُ الذَّلَّ - بكسر الذال - ومعنى [اخفضن لهما] جناح الذَّلِّ، أي اِلْنُ لهما جانبك مُتَذَلِّلًا لهما، من مبالغتك في الرحمة لهما، ويقال: رجل ذليل بَيْنَ الذَّلِّ، وقد ذل يَذِلُّ ذُلًّا، وذَابَةٌ ذُلُول. بَيْنَ الذَّلِّ، ويجوزان جميعاً في الإنسان.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾.

الأواب بمعنى التواب، والراجع إلى الله في كل ما أمر به، المقلع عن جميع ما نهى عنه، يقال قد آب يؤوب أوباً إذا رجع.

وقوله: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾.

معناه لا تسرف، وقيل: التبذير النفقة في غير طاعة الله، وقيل كانت الجاهلية تنحر الإبل وتُبْذِرُ الأموال، تطلب بذلك الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها، فأمر الله - عز وجل - بالنفقة في وجوهها فيما يُقَرَّبُ منه ويزلف عنده.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.

أي يفعلون ما يسول لهم الشيطان.

وقوله: ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾.

﴿عَنْهُمْ﴾ هذه الهاء والميم يرجعان على [ذي] القربى والمسكين وابن السبيل، ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾، أي وإن أعرضت عنهم، ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا، أي لطلب رزق من ربك ترجوه ﴿فَقُلْ لهما قَوْلًا مَيْسُورًا﴾، ﴿ابتغاء﴾ منصوبٌ لأنه مفعول له، المعنى: وإن أعرضت عنهم لابتغاء رحمة من ربك.

وروي أن النبي ﷺ كان إذا سئل وليس عنده ما يعطى أمسك انتظار الرزق يأتي من الله - جل وعز - كأنه يكره الرَّدَّ، فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ لهما قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. كان عليه السلام إذا سئل فلم يكن عنده ما يعطي قال: يَرْزُقُنَا

اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ. فتأويل قوله: ﴿مَيْسُورًا﴾ واللَّهُ أعلم أنه يكسر عليهم فقرهم بدعائه لهم .

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ .

معناه لا تبخل ولا تسرف . ﴿فتقعد﴾ منصوب على جواب النهي ، و﴿محسوراً﴾ أي قد بالغت في الحمل على نفسك وحالك حتى تصير بمنزلة من قد حَسِرَ، والحسير والمحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء .

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ .

﴿خشية إِمْلَاقٍ﴾ منصوب لأنه مفعول له ، والإِمْلَاق الفقر، يقال أُمْلِقُ يُمْلِقُ إِمْلَاقًا .

وكانوا يدفنون البنات إِذَا وَلَدْنَ لَهُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ، فضمن الله - عزَّ وجلَّ - لهم رزقهم، فقال :

﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ .

وهي الموءودة، كانوا يَذْفِنُونَ الابنة إِذَا وَلَدَتْ حَيَّةً .

وقوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ ، وتقرأ خَطَأً كبيراً . فمن قال خِطْئاً: بالكسر فمعناه إثمٌ كثيراً، يقال قد خطئ الرجل بخطأً خِطْئاً: إثمٌ يَأْتُمُ إثمًا «وخطأً كبيراً» له تأويلان أحدهما معناه إن قتلهم كان غير صواب يقال: قد أخطأ يخطئ إخطاءً، وخطأً، والخطأ الاسم من هذا لا المصدر، ويكون الخطأ من خطئ يخطئ خطأً إِذَا لم يصب مثل لَجَجَ يَلْجَجُ قال الشاعر^(١) .

والناس يَلْحَوْنَ الأمير إِذَا هُمُ خطئوا الصواب وَلَا يُلَامُ المرشدُ

(١) البيت في اللسان (أمر) - والمعنى أن الناس يلقون اللائمة على قائدهم إِذَا هُمُ أخطأوا، ولا ينبغي أن يلام المرشد .

وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

أي وساء الزنا سبيلاً. وسبيلاً منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

حَرَّمَ اللَّهُ قتل المؤمن إلا أن يَرْتَدَّ بَعْدَ إِيمَانِهِ، أو يقتل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا، أو يزني بعد إِحْصَانٍ. كذلك قال قتادة في تفسير هذه الآية.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾.

أي من غير أن يَأْتِيَ بواحدة من هذه الثلاث.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾.

الأجود إدغام الدال في الجيم، والإظهار جِدُّ بالـغ، لأنَّ الجيم من وسط اللسان، والدال من طرف اللسان^(١)، والإدغام جائز لأنَّ حروفَ وَسَطِ اللِّسَانِ قد تقرب من حروف طرف اللسان.

وَوَلِيُّهُ الذي بَيَّنَّه وَبَيَّنَّه قرابة توجب المطالبة بِدَمِهِ. . فإن لم يكن له ولي فالسلطان وَلِيُّهُ، و«سُلْطَانًا» أي حجة.
وقوله: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾.

القراءة الجزم على النهي، ويقرأ بالياء والتاء جميعاً، وتقرأ فلا يُسْرِفُ بالرفع^(٢). والإسراف في القتل قد اخْتَلَفَ فيه، فقال أكثر الناس: الإسرافُ أنْ يُقْتَلَ الوليُّ غيرَ قَاتِلٍ صَاحِبِهِ، وقيل: الإسراف أن يقتل هو القاتل دُونَ السُّلْطَانِ، وكانت العرب إذا قُتِلَ منها السَّيِّدُ وكانَ قَاتِلُهُ خَبِيسًا لم يرضوا بأنْ يُقْتَلَ قَاتِلُهُ وربما لم يرضوا أن يُقْتَلَ واحدٌ بواحدٍ حتَّى تُقْتَلَ جماعة بواحدٍ.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

(١) وأيضاً الدال حرف قلقة، وهي لا تظهر مع الإدغام.

(٢) أي لا ينبغي له أن يسرف في القتل.

أَيُّ ان القَتِيل إِذَا قَتَلَ بِغَيْرِ حَقِّ فَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَمَّا
نَصْرَتُهُ فِي الدُّنْيَا فَقَتْلُ قَاتِلِهِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فإِجْزَالُ الثَّوَابِ لَهُ، وَيُخْلَدُ قَاتِلُهُ
النَّارَ، وَمَنْ قَرَأَ فَلَا يَسْرِفُ - فِي الْقَتْلِ - بِالرَّفْعِ - فَالْمَعْنَى أَنَّ وَلِيَّهِ لَيْسَ بِمُسْرِفٍ
فِي الْقَتْلِ إِذَا قَتَلَ قَاتِلَهُ وَلَمْ يَقْبَلِ الدِّيَّةَ.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

أَيُّ لَا تَدْخَرُوا مِنْ مَالِهِ، وَلَا تَأْكُلُوا - إِذَا أَقْبَضْتُمْ^(١) [عليه] - إِلَّا مَا يُسْكُنُ
الْجَوْعَةَ، وَلَا تَكْتَسُوا إِلَّا مَا سَتَرَ الْعَوْرَةَ، وَلَا تَقْرَبُوهُ إِلَّا بِالإِصْلَاحِ لِلْمَالِ حَتَّى
يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَشُدُّهُ أَنْ يَبْلُغَ النِّكَاحَ، وَقِيلَ: أَشُدُّهُ أَنْ يَأْتِيَ لَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً،
وَبُلُوغُ أَشُدِّهِ هُوَ الْإِحْتِلَامُ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ ذِي عَاهَةٍ فِي عَقْلِ وَأَنْ
يَكُونَ حَازِمًا فِي مَالِهِ.

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أُدْرِي مَا الْعَهْدُ، وَالْعَهْدُ كُلُّ مَا عُوْهِدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ
مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْمَوَاقِيقِ فِيهِ عُهُودٌ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا
عَاهَدْتُمْ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.

وَالْقِسْطَاسُ جَمِيعًا - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - قِيلَ: الْقِسْطَاسُ هُوَ الْقَرْسَطُونُ^(٣)
وَقِيلَ الْقِفَانُ^(٤)، وَالْقِسْطَاسُ مِيزَانُ الْعَدْلِ، أَيُّ مِيزَانُ كَانَ مِنْ مَوَازِينِ الدَّرَاهِمِ
أَوْ غَيْرِهَا.

(١) صححت في هامش النسخة - إذا جعتم - وهو الأوفق لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ
وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

(٢) سورة النحل ٩١.

(٣) كلمة أعجمية اسم للميزان لنوع منه.

(٤) هو القبان الذي يوزن به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

معنى ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أن الوفاء أحسن من النقصان، ويجوز أن يكون المعنى أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

أي لا تقولن في شيء بما لا تعلم.

فإذا نُهيَ النَّبِيُّ ﷺ - مع حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وتوفيق الله إِيَّاهُ - أن يقول بما لا يعلم، فكيف سائر أُمَّتِهِ والمسرفين على أَنْفُسِهِمْ.

يقال قفوت الشيء أَقْفَوْهُ قَفْوًا إذا اتَّبَعْتَ أثره، فالتأويل لا تُتَّبَعُ لِسَانُكَ من القول ما ليس لك به علم، وكذلك من جميع الْعَمَلِ^(١).

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ شواهد عليك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

فالجوارح شواهدُ على ابن آدم بعمله، ويقرأ.. وَلَا تَقْفُ ما ليس لك به عِلْمٌ بإسكان الفاء وضم القاف، من قاف يقوفُ - وكأنه مقلوب من قفا يقفو، لأن المعنى واحد.

وقوله: ﴿كُلُّ أَوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

فقال ﴿مَسْئُولًا﴾، وقال: ﴿كَانَ﴾، لأن «كل» في لفظ الواحد؛ فقال ﴿أولئك﴾ لغير الناس، لأن كل جمع أَشْرَتْ إِلَيْهِ من الناس وغيرهم ومن الموات فلفظه «أولئك» قال جرير:

(١) عطف على من القول.

(٢) سورة النور ٢٤.

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام^(١) وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

ويقرأ مَرَحًا - بكسر الراء -، وزعم الأخفش أن مَرَحًا أجود من مَرِحًا، لأن مَرِحًا اسمُ الفاعِل. وهذا - أعني المصدر - جيّد بالغ، وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكّد في الاستعمال تقول: جاء زيد ركضاً، وجاء زيد راكضاً، فركضاً أوكّد في الاستعمال لأن ركضاً يدل على توكيد الفعل. ومَرَحًا بفتح الراء أكثر في القراءة.

وتأويل الآية: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَخْتَالًا وَلَا فَخُورًا
﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.

قالوا: معنى ﴿تَخْرِقُ الْأَرْضَ﴾ تقطع الأرض، وقيل تثقب الأرض، والتأويل ان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال.
﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

سيئه في معنى خطيئته، وكان أبو عمرو لا يقرأ سَيِّئُهُ، ويقرأ سَيِّئَةً، وهذا غلط، لأنَّ في الأفاضيص سيئاً وغير سيءٍ، وذلك أن فيها ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وفيها: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، و﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي اقربوه بالتي هي أحسن^(٢).

ففيما جرى من الآيات سيء وحسن، فسيئته بلا تنوين أحسن من سيئته

(١) من ميمية له مشهورة، انتقدت سكينه بنت الحسين بيتاً منها، وهو يتغزل غزلاً عفيفاً فيقول:

لولا مراقبة العيون أريننا مقل المها وسوالف الأرام

طرقك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

انظر شواهد الكشف ١٧٧ - والديوان، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قراءة أبي عمرو تقتضي أن كل ما ذكر من السيئات والواقع أن فيه حسنات.

ههنا. ومن قرأ سَيِّئَةً جَعَلَ «كَلَامًا» إِحَاطَةً بِالْمَنِيِّ عَنْهُ فَقَطْ، الْمَعْنَى كُلُّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَانَ سَيِّئَةً.

وقوله: ﴿فَتَلَقَّى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا﴾.

أي مباعداً من رحمة الله.

وقوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ﴾.

كانت الكفرة من العرب تزعم أن الملائكة بنات الله، فَوُبُخُوا، وقيل لهم: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ﴾، أي اختار^(١) لكم ربكم صَفْوَةَ الشَّيْءِ وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ غَيْرَ الصَّفْوَةِ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾.

أي بينا.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

أي ما يزيدهم التَّبَيُّنُ إِلَّا نُفُورًا، كما قال الله - عز وجل - : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٢).

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾.

فمن قرأ كما تقولون فعلى مخاطبة القائلين

﴿إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

أي لتقربوا إلى ذي العرش، كما قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾^(٣). وقال بعضهم: ﴿إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، أي لكانوا مضادين له يطلبون الانفراد بالربوبية.

(١) في الهامش إشارة إلى نسخة: أفيختار.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٣) الإسراء الآية ٥٧.

والقول الأول عليه المفسرون .

وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ .

قيل إنَّ كُلَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ يُسَبِّحُ بحمده وإنَّ صَرِيرَ السَّقْفِ وَصَرِيرَ الْبَابِ من التسبيح لله عز وجل . ويكون - على هذا - الْخِطَابُ للمشركين وحدهم من قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ .

وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء مِمَّا عَلِمَ اللَّهُ بِهِ ، لَا يُفْقَهُ مِنْهُ إِلَّا مَا عَلَّمْنَا .

وقال قوم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي ما من شيء إلا وفيه دَلِيلُ أن الله خَالِقُهُ، وأن خَالِقَهُ حَكِيمٌ مُبْرَأٌ مِنَ الْأَسْوَءِ ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ .

أي ولكنكم أيها الكفار لَا تَفْقَهُونَ أثر الصُّنْعَةِ في هذه المخلوقات .

وهذا ليس بشيء لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مُقَرَّرِينَ بأن الله خَالِقُهُمْ وخالق السموات والأرض ومن فيهنَّ، فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها .

وقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ .

قال أهل اللغة معنى ﴿مَسْتُورًا﴾ ههنا في موضع سائر، وتأويل الحجاب - والله أعلم - الطَّعْجُ الذي على قلوبهم . ويدل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ .

والأكنة جمع كِنَان وهو ما سَتَرَ .

ومعنى أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه، وقيل معناه ألا يفقهوه والمعنيان واحد، غير أن كراهة أجود في العربية.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا﴾، الحجاب منع الله إياهم من النبي - عليه السلام - ويجوز أن يكون ﴿مستوراً﴾ على غير معنى ساتر، فيكون الحجاب ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.

الوقر ثقل السَّمْع، والوقر أن يحمل الإنسان وقْرَهُ وقوله: ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾.

﴿نُفُورًا﴾ يحتمل مذهبتين أحدهما المصدر. المعنى: وَلَوْ نَافِرِينَ نُفُورًا ويجوز أن يكون نُفُورًا جمع نَافِرٍ، فيكون نَافِرٍ وَنُفُورٌ، مثل شاهدٍ وشهود.

وقوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾.

﴿نجوى﴾ في معنى المصدر، أي وَإِذْ هُمْ ذَوُو نَجْوَى، والنجوى اسم للمصدر، وكانوا يستمعون من النبي ﷺ ويقولون بَيْنَهُمْ: هو سَاحِرٌ وهو مَسْحُورٌ وما أشبه ذلك من القول. وقال أهل اللغة في قوله: ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ قولين:

أحدهما أن مَسْحُورًا ذُو سَحَرٍ، وَالسَّحَرُ الرُّثَّةُ، وقالوا: إِنَّ تَتَبَعُونَ إِلَّا مِنْ لَهُ سَحَرٌ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ الطَّعَامَ، قال ليبيد.

فإن تسألينا فيم نحنُ فإننا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحُورِ^(١)

(١) اللسان (سحر) أمالي المرتضى ٣/٣٧ - معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٢. والسحر الخديعة - أي هذا الأنام المخدوع. أما على تخريج الزجاج فمعناه الأنام الذي (سَحَر) ولا معنى له أيضاً يكون مشتقاً من اسم جامد.

وقالوا: مَسْحُورًا أَي قَدْ سَحَرُوازِيلَ عَنْ حَدِّ الِاسْتِثْوَاءِ

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

الرُّفَاتُ التُّرَابُ، والرُّفَاتُ أَيضاً كُلُّ شَيْءٍ حُطِمَ وَكُسِرَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا النِّحْوِ فَهُوَ مَبْنِي عَلَى فُعَالٍ، نَحْوُ الْفَتَاتِ وَالْحَطَامِ وَالرُّفَاتِ وَالتُّرَابِ.

وقوله: ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فِي مَعْنَى مُجَدِّدٍ.

وقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾
إِنْ هَذَا الْخَلْقُ هُوَ الْمَوْتُ، وَقِيلَ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ نَحْوَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ.

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فِيهِ لُطْفٌ وَغُمُوضٌ، لِأَنَّ الْقَائِلَ يَقُولُ: كَيْفَ يُقَالُ لَهُمْ
كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا
يَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ خَالِقُهُمْ، وَيَنْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعِيدُهُمْ خَلْقًا آخَرَ، فَقِيلَ
لَهُمْ اسْتَشْعِرُوا أَنْكُمْ لَوْ خُلِقْتُمْ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ حَدِيدٍ لِأَمَاتِكُمُ اللَّهُ ثُمَّ أَحْيَاكُمْ،
لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي بِهَا أَنْشَأَكُمْ - وَأَنْتُمْ مَقْرُونَ أَنَّهُ أَنْشَأَكُمْ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ - بِهَا
يَعِيدُكُمْ، وَلَوْ كُنْتُمْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ كُنْتُمْ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ فِي
صُدُورِكُمْ^(١).

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يَعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ
إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾.

أَي فَيَسْجُدُونَ رُءُوسَهُمْ تَحْرِيكَ مِنْ يَبْطُلُ الشَّيْءُ وَيَسْتَبْطِئُهُ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾.

(١) - الْأَمْرُ بِمَعْنَى افْتَرَضُوا أَنْكُمْ كَذَلِكَ.

يقال أَنْغَضْتُ رَأْسِي إِذَا حَرَكْتُهُ أَنْغِضُهُ إِنْغَاضاً، وَنَغَضْتُ السُّنَّ تَنْغِضُ نَغْضاً، وَنَغَضُ بِرَأْسِهِ يَنْغِضُ نَغْضاً إِذَا حَرَّكَهُ، قَالَ الْعِجَاجُ.

أَسْكَ نَغْضاً لَا يَنِي مُسْتَهْدَجاً^(١)

وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾.

أي يعيدكم يوم القيامة.

ومعنى تستجيبون بحمده. تستجيبون مقبرين بأنه خالفكم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

معنى ذكر داود ههنا أن الله - جل ثناؤه - أعلم أنه قد فضل بعض النبيين على بعض، أي فَلَا يُنْكِرُوا تَفْضِيلَ مُحَمَّدٍ ﷺ وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور.

وقوله: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

أي ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهتكم.

وجاء في التفسير أشياء في هذه الآية، منها أنه قيل: قل ادعوا العُزَيْرَ وعيسى لأن النصراني واليهود زعموا أن هؤلاء آلهتهم، فأعلمهم الله - عز وجل - أنهم لا يملكون كشف ضر عنهم ولا تحويلاً من وَاحِدٍ إِلَى آخَرَ، وقيل إنه يُعْنَى به الملائكة لأنَّ منهم من كان يعبد الملائكة. وقيل إن قوماً من

(١) يصف ظلياً - جاء في اللسان (نغض).

واستبدلت رسومه سفنجا أَصْكَ

وقال أنه يروى أسك، والاسك الصغير الأذن - والأصك مضطرب الركبتين والمراقيب. والنغض الذي يحرك رأسه - وهو وصف بالمصدر. ومستهدج، وهديج بمعنى عدا. وجاء الشطر في (هدج) أصك - بالصادر وفي (سفج) - : جاءت، من أسها سفنجا - والسفح السريع والطويل أي ولدته أسود.

العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم أولئك نفر من الجن ولم يعلم بهم من كان يعبدهم، فقبل فادعوا هؤلاء فإنهم لا يملكون ضرراً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ .
بالياء والتاء .

﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، و﴿الذين﴾ رفع صفة لهم، و﴿يبتغون﴾ خبرُ الابتداء، المعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة، والوسيلة والسؤال، والسؤال والطلب، في معنى واحد.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ .

إن شئت ﴿أيهم﴾ كان رفعاً بالابتداء، والخبر ﴿أقرب﴾، ويكون المعنى يطلبون إلى ربهم الوسيلة - ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به، فإن قال قائل: فالذي أنكر عليهم [هو] التوسل بغير عبادة الله إلى الله، لأنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾^(١)، فالفرق^(٢) بين المتوسلين إلى الله بمحبة أنبيائه وملائكته وصالحيه عباده أنهم يتوسلون بهم موحدين لله عز وجل، لا يجعلون له شريكاً في العبادة، والكفار يتوسلون بعبادة غير الله، فجعلوا الكفر وسيلتهم.

ويجوز أن يكون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلاً من الواو في يبتغون^(٣) فالمعنى يبتغي أيهم هو أقرب الوسيلة إلى الله، أي يتقرب إليه بالعمل الصالح .

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ .

أي الذين يزعمون أنهم آلهة يرجون ويخافون .

(١) سورة الزمر آية ٣ .

(٢) جواب الشرط في «فإن قال قائل» .

(٣) ليس مثل هذا البذل مطرداً، وخرج عليه «وأسروا النجوى الذين ظلموا» وهو ليس بجيد .

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .
 أي ما من أهل قرية إلا سيهلكون، إما بموت وإما بِعَذَابٍ يَسْتَأْصِلُهُمْ .
 ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ .

أي مكتوباً
 ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ .
 «أَنْ» الأولى نصبٌ، و«أَنْ» الثانية رفع .

المعنى ما منعنا الإرسالَ إلا تكذيبُ الأولين . والتأويل أنهم سألوا
 الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب، لما كذبوا بها، فنزل عليهم
 العذاب، والدليل على أنهم سألوا تلك الآيات قولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ
 مُوسَى﴾ (١)، فأعلم الله -جل ثناؤه- أن موعِدَ كفار هذه الأمة الساعة، فقال:
 ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمُ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ (٢) . فأخبرهم إلى يوم القيامة رحمة منه
 وتفضلاً .

﴿وَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ .

ويقراء مُبْصِرَةً، فمن قرأ مُبْصِرَةً، فالمعنى تبصرهم، أي تبين لهم، ومن
 قرأ مُبْصِرَةً فالمعنى مبينة، ﴿فَظَلَّمُوا بِهَا﴾، أي فظلموا بتكذيبها .

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ .

جاء في التفسير: أحاط بهم أي كُلُّهُمْ في قبضته، وعن الحسن أحاط
 بالناس أي حال بينهم وبين أن يقتلوك أو يغلبوك كما قال - عز وجل - ﴿وَاللَّهُ
 يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٣) .

(١) سورة القصص ٤٨ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٦ .

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧ .

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير أنها رؤيا بيت المقدس حين أُسْرِيَ به، وذلك أنه ارتدَّ بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء به، وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً، وجاء في التفسير أنه ﷺ رأى في منامه قوماً يرقون المناير فساء ذلك، فاعلم ﷺ أنه عطاء في الدنيا.

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾.

قيل في التفسير الملعون أكلها، وهي شجرة الزقوم التي ذكرها الله في القرآن فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ، طَعَامَ الْأَثِيمِ﴾^(١) وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَيْسُوا مِنْهَا الْبُطُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾^(٣) فافتتن بها المشركون، فقال أبو جهل: ما نعرف الزقوم إلا أكل التمر بالزبد فتزقموا^(٤)، وقال بعضُ المشركين: النار تأكل الشجر فكيف ينبت فيها الشجر، فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾.

فإن قال قائل: ليس في القرآن ذكر لعينها، فالجواب في ذلك لعين الكُفَّار وهم آكلوها، وجواب آخر أيضاً أن العرب تقول لكل طعام مكروه وَضَارٌّ مَلْعُونٌ.

وقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

(١) سورة الدخان ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة الصافات ٦٦ .

(٣) سورة الصافات الآية ٦٤ .

(٤) من معاني الزقوم أنه الزيد بالتمر، ونبات بالبادية له زهر باسميني الشكل، وشجرة بأريجها، من الغُور لها ثمر كالتمر حُلُو عَفِصٌ ولِنَوَاهُ رُهْنٌ عظيم المنافع لأمراض البرد، والزُّقْمُ اللَّقْمُ . . . وقول أبي جهل: تَزَقَّمُوا أي كلوا الزقوم .

المعنى لِمَنْ خلَقته طِيناً، وطِيناً منصوب على جهتين: إحداهما التمييز،
 المعنى لمن خلَقته مِنْ طِينٍ، ويجوز أن يكون «طيناً» منصوب على الحال،
 المعنى أنك أنشأته في حال كونه من طين.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.

جاءت ﴿قَالَ﴾ ههنا بغير حرف عطف لأنه على معنى قال اسجد لمن
 خَلَقْتُ طِيناً^(١).

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ في معنى أخبرني؛ فالكاف لا موضع لها، لأنها ذكرت
 في الخطاب توكيداً، وموضع ﴿هَذَا﴾ نصبٌ بَأَرَأَيْتَ، والجواب محذوف المعنى
 أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لم كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ وقد خَلَقْتَنِي من نارٍ وَخَلَقْتَهُ
 من طِينٍ، فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى: ﴿لَاخْتَنَكُنْ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

لأستأصلنهم بالإغواء لهم، وقيل لأستولين عليهم. والذي تقول العرب:
 قد احتنكت السنة أموالنا إذا استأصلتها، قال الشاعر:

نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَفْتُ جَهْدًا عَلَى جَهْدِ بَنِي وَأَضْعَفْتُ
 وَاحْتَنَكْتُ أَمْوَالَنَا وَجَلَّفْتُ^(٢)

وقوله: ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾.

أي مَوْفَرٌ، يقال منه وَفَرْتُهُ أَفْرُهُ فَهُوَ مَوْفُورٌ، قال زهيرٌ:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره، ومن لا يتقي الشتم يشتم^(٣)

(١) فصل «أَرَأَيْتَكَ». عما قبله، لأن في الكلام حذفاً تقديره، قال أسجد لمن خلقت طِيناً، قال الله تعالى نعم اسجد لمن خَلَقْتُ طِيناً، قال... الخ.

(٢) الرجز في القرطبي ٢٨٧/١٠، ومجاز أبي عبيدة ٣٨٤/١، والطبري ٧٥/١٥ والجهاد والمشفقة، وجلت أي ذهبت بالمال وأضررت به، ويقال للسنة الشديدة جالفة.

(٣) من معلقته. انظر الزوزني ص ٨٨.

وقوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾.

معناه استدعهم استدعاء تستخفهم به إلى إجابتك، وبصوتك تفسيره بدعائك، وقيل بصوتك بأصوات الغناء والمزامير.

وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾.

أي أجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايذك، وقيل في التفسير: خَيْلُهُ وَرَجَلُهُ كل خيل يسعى في معصية الله فهي من خيل إبليس، وكل مَاشٍ في معصية فهو من رجال إبليس^(١)، وَرَجُلٌ جمع رَاجِل، ويجوز وَرَجَالِكَ فيكون جَمْعُ رَاجِلٍ وَرَجَالٍ مثل صاحب وصحاب. وجائز أن يكون لإبليس خيل وَرَجَالٌ.

وقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

أي مرهم أن يجعلوا من أموالهم شيئاً لغير الله كما قال الله سبحانه: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾^(٢). وما قالوه في السائبة والبحيرة.

والشركة في الأولاد قولهم: عبد العزى، وعبد الحرث. وقيل شركته في الأولاد يعنى به أولاد الزنا، وهو كثير في التفسير، وكل معصية في ولد أو مال فإبليس اللعين شريكهم فيها.

قوله: ﴿وَعِذُّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

فإن قال قائل فكيف يجوز أن يؤمر إبليس أن يقال له شاركهم في الأموال والأولاد وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وعيذهم بأنهم لا ييغثون؟ فإذا فعل ذلك فهو مطيع، فالجواب في ذلك أَنَّ الأمر على ضربين، أحدهما متبع لا

(١) في الأصل من رجاله إبليس.

(٢) سورة الأنعام ١٣٦.

غير، والثاني إذا تقدمه نهي عما يؤمر به فالمعنى في الأمر الوعيد، والتهديد^(١) لأنك قد تقول: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلت: أدخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها ولكنك توعدته وتهذبه وهذا في اللغة والاستعمال كثير موجود، ومثله [في القرآن]: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٢). وقد نهوا أَنْ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَأَنْ يَعْمَلُوا بِالْمَعَاصِي.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.
أي من أخلص فلا حجة لك عليه ولا سلطان.
﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

أي كفى بالله وكيلا لأوليائه، يعصمهم من القبول من إبليس.

وقوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾.

تفسير ﴿يزجي﴾ يسير، وقد زجيت قدمت الشيء، وهذا الكلام ذكر معطوفاً على قوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ وقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فالمعنى أنه يبعثكم الذي بدأ خلقكم، والابتداء والإنشاء أشد من الإعادة. ثم أعلمهم أن الذي قدر على تسخير الفلك في البحر-والفلك كالجبال - قادر على إعادتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٣) أي كالجبال.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾.

الإنسان ههنا يعنى به الكفار خاصة.

وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

الحاصب التراب الذي فيه الحصباء، والحصباء حصى صغار.

(١) في الأصل التهديد.

(٢) سورة فصلت ٤٠.

(٣) سورة الرحمن ٢٤.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾.
أي لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم، ولا من يتبعنا بأن يصرفه عنكم^(١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.
تأويله أن الله - جل ثناؤه - فضلهم بالتميز، وبأن سخر لهم ما في السموات والأرض ويحملهم في البر والبحر.
﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ ولم يقل عَلَى كُلِّ مَنْ خَلَقْنَا، لأن الله - جل وعلا - فضل الملائكة، فقال: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢). ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوان الذي لا يعقل ولا يميز. وجاء في التفسير أن فضيلة ابن آدم أنه يمشي قائماً وأن الدواب والإبل والحمير وما أشبهها تمشي منكبة، وأن ابن آدم يتناول الطعام بيديه ويرفعه إلى فيه، وأن سائر الحيوان يتناول ذلك بفيه. وهذا الذي في التفسير هو بعض ما فُضِّلَ به ابن آدم. وفضله فيما أعطي من التمييز ورزق من الطيبات وبُصِّرَ من الهدى مع ما لا يحصى من النعم عليه كثير جداً.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.
وتقرأ يوم يدعوا - بالياء - كل أناس بإمامهم، يعني به يوم القيامة، وهو منصوب على أذكر يوم يدعو كل أناس بإمامهم، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو كل أناس بإمامهم، ومعنى بإمامهم

(١) تبع بمعنى مطالب، يقال: فلان تبع على فلان أي مطالب بحقه أي لن تجدوا متصراً لكم أو مطالباً بنصركم.

(٢) سورة النساء الآية ١٧٢.

بدينهم الذي أنتموا به، وقيل بكتابهم، والمعنى واحد. ويدل عليه ﴿فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾.

أي من كان على حق أعطي كتابه بيمينه.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

المعنى ولا يظلمون مقدار فتيل، والفتيل القشرة التي في شق النواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾.

أي في هذه الدنيا.

﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾.

وهذا من عمى القلب، أي هو في الآخرة أشدَّ عمى^(١). وتأويله أنه إذا عمي في الدنيا، وقد عرفه - جل وعلا - وجعل له إلى التوبة وصلة، وفسخ له في ذلك إلى وقت مماته، فعمي عن رشده ولم يتب في الآخرة لا يجد متاباً ولا متخلصاً مما هو فيه، فهو في الآخرة أشدَّ عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

أي وأضل طريقاً، لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية فقد حصل على عمله.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينا إِلَيْكَ لَيَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾.

معنى الكلام كادوا يفتنونك، ودخلت «إن» واللام للتوكيد، وتأويله أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نتركك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا، فقال ﷺ في نفسه، وما علي أن أفعل ذلك والله يعلم ما في نفسي، وأتمكن من استلام الحجر. هذا مما جاء في التفسير^(٢).

(١) لا يؤخذ هذا من الآية لأن أعمى ليست أفعال تفصيل وإنما هي صفة

(٢) وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون كذلك ألم يكن يعلم أنه قدوة للمسلمين؟ وهل يقبل نبي

التوحيد أي لو أن من الشرائع

وجاء في التفسير أيضاً أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: اطرده عنك سقاط الناس ومواليهم وهؤلاء الذين راثحتهم رائحة الضأن، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، فقالوا: اطرده هؤلاء إن كنت أرسلت إلينا حتى تجلس إلينا ونسمع منك فهم النبي أن يفعل في ذلك ما يستدعي به إسلامهم، فتوعده الله - عز وجل - فيه أشد الوعيد وعصمه الله من أن يمضي ما عزم عليه، فقال:

﴿وَإِذْ لَا تَتَذَوِّكَ خَلِيلاً﴾.

أي إن فعلت ما أرادوا لاتخذوك خليلاً:

﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾.

وحكيته ﴿تركن﴾ بضم الكاف. يقال ركن يركن، وركن يركن، فتوعده الله في ذلك أشد التوعد، فقال:

﴿إِذْ لَا ذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾.

والمعنى لو ركنت إليهم في ذلك الشيء القليل^(١) إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات لأنك أنت نبي ويضاعف لك العذاب على عذاب غيرك لو جنى هذه الجناية كما قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾^(٢) لأن درجة النبي ودرجة آله الذين وصفهم الله فوق درجة غيرهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

كانوا قد كادوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة فأعلمهم الله أنهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا بعده إلا قليلاً، وقيل ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾، أي ليقتلوك.

(١) أي لو ركنت إليهم ركوناً قليلاً.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠.

وقوله: ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾.

﴿سُنَّةٌ﴾ منصوب بمعنى أنا سنننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك من رُّسُلِنَا، أنهم إذا أخرجوا نبهم من بين أظهرهم أو قتلوه لم يلثمهم العذاب أن ينزل بهم، وكان خروج النبي ﷺ من مكة مهاجراً بأمر الله.

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

ذُلُوكِ الشمس زوالها وميلها في وقت الظهيرة، وكذلك ميلها إلى الغروب هو ذُلُوكُهَا أيضاً، يقال: قد دَلَكْتَ بَرَّاحَ وَبِرَّاحٍ^(١). أي قد مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشُعَاعَ عن بصره براحتة، قال الشاعر^(٢):

هذا مقام قدمي رَبَّاحٍ للشمس حتى دلكت براح

وقوله: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

أي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

﴿وَقَرَّانَ الْفَجْرِ﴾.

أي فأقم قرآن الفجر، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، لأن قوله أَقِمِ الصلاةَ وَأَقِمِ قرآنَ الفجر قد أمر أن

(١) بفتح الباء وبكسرهما.

(٢) من رجز قطرب، وقد ورد في اللسان (برح، ربح) وروايته - حتى دلكت براح. والشطر الأول فقط في (ذلك). ورباح اسم ساقية، بني على الكسر مثل حزام - ودلكت براح تعبير عربي - أي مالت الشمس حتى أن الشخص ليضع راحته على جبهته ليقى عينيه وهج الشمس. فهي جمع راحة - أي زالت بوضع الراح على الجبهة وجاء في معاني الفراء ١٢٩/٢ - ذيب أيضاً، وشرحه بأن رباح اسم الساقية وذبيب أي طرد الناس. وروي البيت أيضاً - حتى دلكت بَرَّاحَ - بفتح الباء، وهو اسم الشمس - أي حتى دلكت الشمس، ودلوکها زوالها إما ظهراً أو عند الغروب - واختار الأزهري في الآية أن الدلوک بمعنى الزوال لجميع أوقات الصلوات الأربع - عدا الصبح، والصبح يبينه - وقرآن الفجر.

نقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً، فلا تكون صلاةً إلا بقراءة.

وقوله: ﴿إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.

جاء في التفسير أن ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر، وملائكة النهار يحضرونها أيضاً.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾.

يقال تهجد الرجل إذا سهر، وهجد إذا نام، وقد هجدته إذا نوّمته قال
ليبيد:

قلت هجدنا فقد طال السرى وقدّرنا إن خنا الدهر غفل^(١)

وهذه نافلة لك زيادة للنبي ﷺ خاصة ليست لأحد غيره لأن الله - جل وعز - أمره بأن يزداد في عبادته على ما أمر به الخلق أجمعون، لأنه فضله عليهم، ثم وعده أن يبعثه مقاماً محموداً.

والذي صحت به الرواية والأخبار في المقام المحمود أنه الشفاعة.

وقوله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

ومُدْخَلَ صِدْقٍ، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

وجاء في التفسير أدخلني مدخل صدق الجنة، وأخرجني مخرج صدق، أي وأخرجني من مكة إلى المدينة. وجاء أيضاً مُدْخَلَ ومخرج صدق دخوله

(١) الديوان ١٢/٢، واللسان (هجد - خنى) وأما المرتضى ١٠/٣ يصف صديقاً له غلبه النعاس في السفر، لأنه مترف لم يتعود المشقة والابتدال. وخنا الدهر شدائده ومشقاته، وقوله:

ومجود من صبايات الكرى عايطف التمرق صدق المبتذل

والمجود هو الذي غلبه النعاس، والنعاس يسمى الجود، والتمرق والنمرقة ما يجلس عليه الراكب فوق الرجل، ورجل صدق ضد رجل سوء. والتبذل ترك الصون - والرجل المتبذل الذي يلي العمل بنفسه أي إن صاحبه كان بجهد نفسه في مقاومة النوم، وهريقول له هجدنا ونم فقد طال سرائنا.

المدينة وخروجه من مكة. وجاء مُدْخَلٌ صدق ومخرج صدق الإدخال في الدين والخروج من الدنيا وهو على الحق، وجاء أيضاً - وهو حسن - دخوله في الرسالة وخروجه مما يجب عليه فيها ﷺ وكل ذلك حسن. فمن قال مُدْخَلٌ - بضم الميم - فهو مصدر أدخلته مُدْخَلًا، ومن قال مُدْخَلٌ صدق فهو على أَدْخَلْتُهُ فَدْخَلْ مُدْخَلٌ صدق، وكذلك شرح مخرج مثله.

وقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.

أي اجعل نصرتي من عندك بتسليطي بالقدرة والحجة، وقد أجاب الله - عز وجل - دعاءه وأعلمه أنه يعصمه من الناس، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

معناه على طريقته وعلى مذهبه، ويدل عليه: ﴿فَرِيقٌ كُفُّوا أَعْلَامَهُمْ﴾ هو أَهْدَى سَبِيلًا.

أي أَهْدَى طريقاً. ويقال هذا طريق ذو شَوَاكِل، أي يَتَشَعَّبُ منه طرق جماعة^(٤).

وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

سألت اليهود النبي ﷺ عن الروح وهم مقدرون أن يجيبهم بغير ما عَلِمَ من تفسيرها، فأعلمهم أن الروح من أمر الله، ثم قال:

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣. وسورة الصف الآية ٩.

(٤) طرق كثيرة.

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

فقالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة، وفيها الحكمة، وَقَدْ تَلَوْتَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١). فاعلمهم الله - عز وجل - أَنَّ عِلْمَ التَّوْرَةِ قَلِيلٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٢) أَيِ مَا نَفِدَتْ الْحِكْمَةُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالتَّوْرَةُ قَلِيلَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَلِمَاتِ اللَّهِ. وقليل وكثير لَا يصح^(٣) إِلَّا بِالْإِضَافَةِ، فَإِنَّمَا يَقُلُ الشَّيْءُ عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ يَكْثُرُ عِنْدَ مَعْلُومٍ هُوَ أَقْلُ مِنْهُ.

وقد اختلف الناس في تفسير الروح فقليل إن الروح جبريل ومن تناول ذلك فدليلة قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ وقيل إن الروح خلق - لخلق بني آدم - في السماء. وقال بعض المفسرين: ^(٤) إن الروح إنما يعنى به القرآن، قال: ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٥) وكذلك قيل: الروح من أمر ربي. ، وتأويله تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب وحياة النفس فيما تصير إليه من الخير عند الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

أَيِ لَوْ شِئْنَا لَمَحَوْنَاهُ مِنَ الْقُلُوبِ وَمِنَ الْكُتُبِ حَتَّى لَا يُوجَدَ لَهُ أَثَرٌ. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٧.

(٣) القلة والكثرة أمور إضافية، فالشيء الكثير قد يكون قليلاً بالنسبة لشيء آخر أكثر.

(٤) في الأصل وقال بعض تفسراً بمعنى ادعى التفسير.

(٥) سورة الشورى الآية ٥٢.

أي لا تجد من يتوكل في رد شيء منه .
وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

استثناء ليس من الأول، والمعنى ولكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين . ثم احتج الله عليهم بعد احتجاجه بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ بالقرآن فأعلمهم - وهم العرب العاربة أهل البيان، ولهم تأليف الكلام - فقال لهم :

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ .
والظهير المعين .

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ .

هذا قولهم بعد أن انقطعت حجتهم ولم يأتوا بسورة من القرآن ولا دفعوا أن يكون معجزة، فاقترحوا من الآيات ما ليس لهم، لأن الذي أتاهم به من القرآن وانشقاق القمر وما دلهم به على توحيد الله أبلغ وأعجز في القدرة مما اقترحوا، فقالوا: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ .
والينبوع تقديره تقدير يفعل، من نبع الشيء .

وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ [تَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا]، أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ .

وكِسْفًا، فمن قرأ كِسْفًا جعلها جمع كِسْفَةٍ، وهي الْقِطْعَةُ، ومن قرأ كِسْفًا فكأنه قال أو تَسْقِطُهَا طَبَقًا عَلَيْنَا، واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته .

وقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَّ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ .

في «قَبِيلٍ» قولان، جائز أن يكون . تأمرُ بهم حتى نراهم مقابلة . وأن يكون قبيلًا كقبيل، يقال قَبِلْتُ بِهِ أَقْبِلْ قِبَالَه، كقولك: كفلت به أكفل كَفَالَةً،

وكذلك قول الناس: قد تقبل فلان بهذا أي تكفل به.

وقوله: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه بيت من ذهب، وأصل الزخرف في اللغة والزخرفة الزينة، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾^(١) أي أخذت كمال زينتها. وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته، ولا شيء في تزيين بيت وتحسينه، وزخرفته كالذهب. فليس يخرج ما فسروه عن الحق في هذا.

وقوله: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقْيِكَ﴾.

يقال في الصعود: رقيت أرقى رقياً، ويقال فيما تداويه بالعوذة: رقيت أرقى رقيةً ورقياً.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾.

أي حتى تنزل علينا كتاباً يشهد بنبوتك.

فأعلم الله - جل ثناؤه - أن ذلك لو نزل عليهم لم يؤمنوا فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

فإذا كانوا يدعون فيما يعجز عنه أنه سحر فكيف يوصل إلى تبصيرهم والتبيين لهم بأكثر مما أتى به النبي ﷺ من الآية الباقية، وهي القرآن، ومن الأنباء ما يدبرونه بينهم وبما يخبرهم به من أخبار الأمم السالفة، وهو لم يقرأ كتاباً ولا خطه يمينه، وقد أنبأ ﷺ ودل على نبوته كل ما يخطر بالبال.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾.

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧.

موضع أن نصب .

وقوله : ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ .

موضع ﴿أَنْ قَالُوا﴾ رفع ، المعنى ما منعهم من الايمان إلا قولهم : ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ .

فأعلم الله أن الأعدل عليهم ، والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم وأعلمهم أن ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي يمشون مستوطنين الأرض ﴿لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ ، لأنه لا يُرْسَلُ إلى خلق إلا ما كان من جنسيه .

وقوله : ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ .

قالوا للنبي ﷺ من يشهد لك بأنك رسول الله ، فقال : الله يشهد لي و﴿كفى بالله شهيداً﴾ في موضع رفع ، المعنى كفى الله شهيداً ، وشهيداً منصوب على نوعين ، إن شئت على التمييز ، كفى الله من الشهداء ، وإن شئت على الحال ، المعنى كفى الله في حال الشهادة .

وقوله : ﴿كَلِمًا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ .

أي كلما خمدت ، ونضجت جلودهم ولحومهم بدلهم الله غيرها ليدوقوا العذاب .

وقوله : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ .

هذا جواب لقولهم : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ فأعلمهم الله - جل وعلا - أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحاً وبُخلاً ، فقال :

﴿إِذَا لَأْمَسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ قُتُورًا﴾ .

يعنى بالإنسان ههنا الكافر خاصة كما قال - عز وجل : - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَكَنُودٌ ﴿١﴾ ، أي لكفور ، ﴿وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ - أي من أجل حب الخير وهو المال لبخيل .

فأما ﴿أَنْتُمْ﴾ فمفروق بفعل مضمر ، المعنى قل لو تملكون أنتم - لأن لو يقع بها الشيء لوقوع غيره ، فلا يليها إلا الفعل ، وإذا يليها الاسم عمل فيها الفعل المضمر ، ومثل ذلك من الشعر قول المتلمس : (٢) .

ولو غير أحوالي أَرَادُوا تَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِسْماً
المعنى لو أراد غير أحوالي .
والقُتُورُ : البخيل .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ .
قيل في التفسير إنها أخذ آل فرعون بالسنين وهي الجذب حتى ذهبت ثمارهم ، وذهبت من أهل البوادي مواشيهم . ومنها إخراج موسى يده بيضاء للناظرين ، ومنها إلقاؤه عصاه فإذا هي ثعبان مبین ، وأنها تلقفت إفك السحرة ، ومنها إرسال الله عليهم الطوفان - نعوذ بالله منه ، والجراد والقمل والضفادع والدم ، فذلك (٣) تسع آيات . وقد قيل إن البحر (٤) منها . ومن آياته انفجار الحجر ولكنه لم يُرو في التفسير (٥) .

(١) سورة والعاديات الآية ٦ .

(٢) المتلمس هو جرير بن عبد المسيح ، وأحواله بنو يشكر ، كان نديماً لعمرو بن هند مع ابن أخته طرفة ، وقصة صحيفته مشهورة ، وكان قد نشأ في أحواله بني يشكر فسأل عمرو بن هند خاله الحرت فتردد في نسبه فقال عمرو ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين ، فلما بلغ ذلك المتلمس قال هذه القصيدة يعاتب خاله ، وهي الأصمعية ٩٢ ، وانظر الخزانة ٧٣/٣ ، وخواشي أمالي المرتضى ص ٤ ، ٥ ، ح ١ ، واللسان (وسم) والكامل ١٦٤/١ .

والعرانين جمع عرنين وهي الأنوف - والميسم الحديدية التي يكوى بها ، وعلامة الكي ، وهو المراد هنا .

(٣) أي فهذا الذي ذكر ، والأولى أن تكون قتلك .

(٤) أي جعله طريقاً ييسر ليمر عليه .

(٥) لم يرو من الآيات التسع لأنه لم يكن من الآيات التي واجه بها فرعون ، وإنما هو من آياته لبني إسرائيل في التيه .

وقوله: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ .
 لم يَجِدْ فَرَعَوْنُ ما يدفع به الآيات إلا إقراره على نفسه بأنه ظان أن
 موسى مسحور، فأعلمه الله أن فرعون قد بين أنها آيات فقال :
 ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ .
 يعنى الآيات .
 ﴿الْأَرْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ .

وقرأ بعضهم لقد علمت - بضم التاء - والأجود في القراءة لقد علمت -
 بفتح التاء - لأن علم فرعون بأنها آيات من عند الله أكد في الحجة عليه ،
 ودليل ذلك قوله عز وجل في فرعون وقومه : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ
 ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(١) .

وقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فَرَعُونَ مُثْبُورًا﴾ .
 أي لأظنك مهلكاً، يقال: ثُبر الرجل فهو مثبور إذا هلك .
 وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ .
 أي فأراد فرعون أن يستفز موسى وقومه من الأرض فجائز أن يكون
 استفزارهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية .
 ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ .

وقوله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ .
 أي آتينا بكم من كل قبيلة، واللفيف الجماعات من قبائل شتى .
 وقوله: ﴿وَوَقَرْنَا فَرَقْنَاهُ﴾ .
 وتقرأ فَرَقْنَاهُ - بالتشديد، وقرآناً منصوبٌ بفعل مُضْمَرٍ، المعنى: وما

(١) سورة النمل الآية ١٤ .

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر من عصي الله بالنار،
وقرآنًا فرقناه^(١).

أنزل الله عز وجل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل على
النبي ﷺ في عشرين سنة، فرقه الله في التنزيل ليفهمه الناس، فقال:

﴿لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.

ومكث جميعاً، والقراءة بضم الميم.

وقوله: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

لأن الذي يخر وهو قائم يخر لوجهه، والأذن مجتمع اللحيين وهو عضو
من أعضاء الوجه، وكما يتبدى المبتدىء يخر فأقرب الأشياء من وجهه إلى
الأرض الأذن، وسجداً، منصوب على الحال.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

معناه ما كان وعد ربنا إلا مفعولاً.

وإن واللام دخلتا للتوكيد.

وقوله: ﴿قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾.

لما سمعت العرب ذكر الرحمن قالت: أئدعوننا إلى اثنين إلى الله وإلى
الرحمن. واسم الرحمن في الكتب الأولى المنزل على الأنبياء. فأعلمهم الله
أن دعاءهم الرحمن ودعاءهم الله يرجعان إلى شيء واحد فقال: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾
المعنى أي أسماء الله تدعوا ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾.

المخافتة الإخفاء، والجهر رفع الصوت، وكان النبي ﷺ إذا جهر

(١) اسم منصوب على الاشتغال، أي وفرقنا قرآنًا فرقناه.

بالقرآن سب المشركون القرآن، فأمره الله - جل وعز - ألا يعرض القرآن
لسبهم، وألا يخافت بها مخافتةً لا يسمعها من يصلي خلفه من أصحابه .

﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ .

أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافة .

وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمُلْكِ﴾ .

يعاونه على ما اراد .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ .

أي لم يحتج إلى أن ينتصر بغيره .

﴿وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ .

أي عظمه عظمةً تامةً .

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة إن معناه الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّمًا ولم يجعل له عِوَجًا. ومعنى قَيِّم مستقيم، والعِوَجُ - بكسر العين - فيما لا يرى له شخص، وما كان له شخص قيل^(١) فيه عَوَج بفتح العين، تقول: في دينه عِوَجٌ، وفي العصا عَوَجٌ - بفتح العين -.

وتأويله الشكر لله الذي أنزل على محمد الكتاب مستقيماً ولم يجعل له عِوَجًا، أي لم يجعل فيه اختلافاً كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

وقوله: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾.

أي لينذرهم بالعذاب البأس^(٣).

﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ مِنْ قِبَلِهِ.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يُعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

(١) في الأصل قلب.

(٢) سورة النساء الآية ٨٢.

(٣) الشديد ذي البأس.

المعنى بأن لهم أجراً حسناً.

وقوله: ﴿مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

﴿مَا كُنْتُمْ﴾ منصوب على الحال في معنى خالدين.

وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

وتقرأ كلمة بالرفع والنصب، فمن نصب فالمعنى كبرت مقاتلهم ﴿أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كلمة، فكلمة منصوب على التمييز. ومن قرأ كلمة بالرفع فالمعنى عظمت كلمة هي قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ويجوز في كبرت كبرت كلمة - بتسكين الباء، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

تأويله فلعلك مهلك نفسك، وقال بعضهم قاتل نفسك، والمعنى واحد، قال الشاعر: (١)

ألا أيهذا الباخعُ الوجدُ نفسه لشيءٍ نحتَه عَنْ يَدَيْهِ المقادر
المعنى ألا أيهذا الذي أهلك الوجد نفسه.
ومعنى ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾، أي مِنْ بَعْدِهِمْ.
﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

يعنى بالحديث القرآن، و ﴿أَسَفًا﴾ منصوب لأنه مصدر في موضع الحال (٢)،

(١) هو ذو الرمة. أي الحزين الأسف لشيء لا أمل له في إدراكه. والبيت في اللسان (بخع) والطبري ١٢٠/١٥ والقرطبي ٣٤٨/١٠، ومجاز أبي عبيدة ٣٩٣/١٥ - ونحته مخفف من نحتته بمعنى بعدته.

(٢) واضح أنه تمييز، أي يخع نفسه من الأسف.

والأسفُ المبالغة في الحزن أو الغضب. يُقالُ قد أسِفَ الرَّجُلُ فهو أسيفٌ وآسِفٌ، قال الشاعر: (١)

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضباً
وقوله: ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

أي لنختبرهم، وأيُّهم مرفوعٌ بالابتداء، إلا أن لفظه لفظ الاستفهام المعنى ليخبر أهذا أحسن عملاً أم هذا، فالمعنى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾، أي اختباراً ومحنة، فالحسنُ العمل من زهد فيما زُينَ له من الدنيا، ثم أعلمهم أنه مبيدٌ ومُفْنٍ ذلك كله مقال: ﴿وإِنا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

والصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، والجرز الأرض التي لا تنبت شيئاً كأنها تأكل النبت أكلًا، يقال أرض جرز، وأرضون أجزاز.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.
والرقيم قيل إنه اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، والكهف كالفتح وكالعار في الجبل، وقيل إن الرقيم اسم القرية التي كانوا فيها، وقيل إن الرقيم لوح كان فيه كتاب^(٢) في المكان الذي كانوا فيه - والله أعلم.

وقيل كان المشركون سألوا النبي ﷺ عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وذلك أنهم أعياهم أمر النبي ﷺ بمكة فصارت جماعة منهم إلى يثرب فأعلمت جماعة من رؤساء اليهود بقصة رسول الله ﷺ فقالت اليهود إن اسمه عندنا مكتوب وأن يبعث على فترة من الرسل فاسألوه عن هذه الأشياء فإن أجاب عنها فهو نبي، فصارت الجماعة من المشركين إلى مكة وجمعوا

(١) في اللسان (خضب) منسوباً للأعشى، وفي معاني الفراء ١/١٢٧، قال رجل، ورجل أسيف أي حزين، وكشحا الرجل جأيتاه، و«كفا مخضباً» يريد كان يده مقطوعة.
(٢) كتابة.

جمعاً كثيراً، وسألوا النبي ﷺ عن هذه الأشياء. فأعلمهم أنه لا يعلمها، وأنه إن نزل عليه وحى بها أعلمهم. فروى بعضهم أنه قال: سأخبركم بها ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عنه الوحي أياماً ونزلت: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

فأخبرهم النبي ﷺ بما أوحى الله إليه وأنزله الله في كتابه مما دل على حقيقة نبوته. ثم أعلم الله عز وجل أن قصة أصحاب الكهف ليست بعجبية من آيات الله، لأننا نشاهد من خلق السموات والأرض وما بينهما مما يدل على توحيد الله ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف فقال جل وعز:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.

[أي] حتى نُبَيِّنَ قِصَّتَهُمْ

وقوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾.

ومعنى أَوَى إليه صاروا إليه وجعلوه مأواهم، والفتية جمع فتى مثل غلام وغُلَمَة، وصَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ، وَفَعَلَةٌ من أَسْمَاءِ الجمع، وليس ببناء يقاس عليه، لا يجوز غراب وغُرْبَة، ولا غنى وغنية.

وقوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾.

أي أعطينا من عندك رَحْمَةً، أي مَغْفِرَةً وِرْزْقًا.

﴿وَهَمِيَ عُلْنًا مِنْ أَمْرِنَا رُشْدًا﴾.

يجوز في ﴿رُشْدًا﴾ رُشْدًا إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقْرَأُ بها ههنا لأن فواصل الآيات على فَعَلٍ نحو أَمَدٍ وَعَدَدٍ^(١)، فَرُشْدٌ أَحْسَنُ في هذا المكان أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك.

(١) فواصل الآيات في هذه السورة على فَعَلٍ. نحو أَمَدٍ أَحْسَنُ عملاً، صعيداً جرّاً، كانوا من آياتنا عجباً. فيحسن اطراد الفاصلة.

وقوله ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ .

معنى ﴿ضربنا على آذانهم﴾ منعناهم أن يسمعوا، لأن النائم إذا سمع انتبه. فالمعنى أنماهم، ومنعناهم والسمع. و﴿عددًا﴾ منصوب على ضربين أحدهما على المصدر، المعنى نَعْدُ عَدَدًا، ويجوز أن يكون نعتاً للسنين، المعنى سنين ذات عَدَدٍ، والفائدة في قولك عدد في الأشياء المعدودات أنك تريد تأكيد كثرة الشيء لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مِقْدَارُهُ ومقدار عده، فلم يحتج إلى أن يُعَدَّ، فإذا كثر احتاج إلى أن يُعَدَّ، فالعدد في قَوْلِكَ أَلَمْتَ أَيَّامًا عَدَدًا أنك تُريدُ بها الكثرة. وجائز أن تؤكد بعددٍ معنى الجماعه في أنها قد خرجت من معنى الواحد.

فمعنى قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ .

أي بعثناهم من نومهم، ويقال لكل من خرج من الموت إلى الحياة أو من النوم إلى الانتباه مبعوث. وتأويل مبعوث أنه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرف والانبعاث.

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ .

الأمَد الغاية، و﴿أَمَدًا﴾ منصوب على نوعين، وهو على التمييز مُنْصُوبٌ وإن شئت كان منصوباً على أحصى أَمَدًا فيكون العامل فيه أحصى، كأنه قيل لنَعْلَمَ أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء، ويكونُ مُنْصُوبًا بلبثوا^(١)، ويكون أحصى متعلقاً بـ (لما) فيكون المعنى أي الحزبين أحصى للْبُثْمِ في الأمد.

وقوله: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ .

أي قد قلنا إذن جوراً. و﴿شَطَطًا﴾ منصوب على المصدر، المعنى لقد قلنا

(١) هذا هو الوجه الثاني فيكون ظرفاً.

إِذَنْ قَوْل شَطَط. يقال شط الرَّجُلُ وأَشْطَ إذا جار، قال الشاعر: (١)

أَلَا يَا لَقَوْمِي قَدْ أَشْطَتْ عَوَاذِلِي وَيَزْعُمَن أَنِّي أَقْصَرُ الْيَوْمَ بَاطِلِي
وقوله: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.

أنكر الفتية عبادة قومهم، وأن يعبدوا مع الله غيره، فقالوا هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون. ولولا في معنى هلاً، المعنى هلا يأتون
عليهم بحجة بَيِّنَةٍ، ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة.

وقوله: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾.
موضع ما نصب، المعنى إذا اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون إلا الله
فإنكم لن تتركوا عبادته.

﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾.

أي اجعلوا الكهف مأواكم

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

أي يَنْشُرْ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ

﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾.

يقال هو مِرْفَقُ اليد بكسر الميم وفتح الفاء، وكذلك مِرْفَقُ الأمر مثل
مِرْفَقِ الْيَدِ سواء. قال الأصمعي: لا أعرف غير هذا. وقرأتِ الْقُرَاءُ مَرْفَقًا.

(١) البيت للأحوص. وهو ابن عبد الله بن عاصم بن ثابت، حمى الدبر. شاعر مقدم لولا أن خطت
منه أفعاله الدنيئة، له أخبار شائنة، يجيد الغزل والفخر والمدح، ولشعره رونق، شبب بالأشراف من
نساء المدينة، ونفاه سليمان بن عبد الملك إلى دهلك - جزيرة بالبحر الأحمر تقابل مصوع - وشفع له
قوم لدى عمر بن عبد العزيز في خلافته فلم يشفعهم وبقي هناك حتى أعاده يزيد بن عبد الملك.
انظر الخزانة ٢٣٢/١. واللسان (شطط، وشواهد المغني ٦٣٤/٢، والطبري ٢٠٧/١٧، - أشط
بمعنى أبعد يريد بالغن في لومي.

بفتح الميم وكسر الفاء. وذكر قطرب وغيره من أهل اللغة اللغتين جميعاً في مَرَفَقِ الأمر ومِرَفَقِ اليَدِ. وقالوا جميعاً المِرَفَقُ لليد بكسر الميم. هو أكثر في اللغة وأجود.

وقوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾.

في ﴿تَزَاوَرُ﴾ ثلاثة أوجه: تَزَاوَرُ، وتَزَوَّرُ - بغير ألف، على مثال تَحَمَّرُ، وتَزَوَّارٌ على مثال تحمازٌ، ووجه رابع تَزَاوَر. والأصل فيه تتزاور فادغمت التاء في الزاي.

﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾.

﴿تَقَرَّبُ مِنْهُمْ﴾ بكسر الراء، وتَقَرَّبُ مِنْهُمْ - بضم الراء.. والكسر القراءة عليه، وتأويله تعدل عنهم وتتركهم، قال ذو الرمة:

لها طُعنٌ يَقْرَضُنْ أَقْوَارَ مُشْرِفٍ شمالاً وعن أيماهن الفوارس^(١).

يَقْرَضُنْ يتركن، وأصل القرض القطع والتفرقة بين الأشياء، ومن هذا قولك: أَقْرِضْنِي دِرْهَمًا، تأويله اقطع لي مِنْ مَالِكَ دِرْهَمًا.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أي في متسع منه

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

قيل إِنَّ بَابَ الكهفِ كانَ بِإِزَاءِ بَنَاتِ نَعَشٍ، فلذلك لم تكن الشمس

(١) رواية البيت في ديوانه ٣١٣ إلى ظعن - والظعن جمع ظعينة - والمشرق الجبل المرتفع - وأقواز جمع قوز وهو الكتيب، والنقا الصغير المنعطف، وتشبه به أعجاز النساء - وجاء البيت في مجاز أبي عبيدة ٣٩٦/١ - «يقرض أجواز مشرف» - والأجواز جمع جوز، ما يجتازه المار، كالأبعاد. وفي اللسان (قوز) كما هنا - وانظر الطبري ١٥/١٣٠، والقرطبي ١٠/٣٥٠، واللسان (قرض).

تطلع عليهم وهذا التفسير ليس بَيِّن، إنما جعل الله فيهم هذه الآية لأن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

أكثر اللغة فهو المهتدي بإثبات الياء، وفي المصحف في هذا الموضع بغير ياء وهذا في هذا الموضع كالذي في الأعراف، فهذا هو الوجه، وهو في الأعراف بالياء^(١) وفي الكهف بغير ياء.. وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة ولا يجوز في الأفعال، لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم. وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن [مع الاسم] الألف واللام، نحو مهتدٍ ومُقتَدٍ، فأدخلت الألف واللام وترك الحذف على ما كان عليه. ودلت الكسرة على الياء المحذوفة.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

الأيقاظ المتبهون، والرقود النيام، وواحد الأيقاظ يقظ ويقظان والجمع أيقاظ، قال الراجز^(٢):

ووجدوا إخوانهم أَيْقَاظًا

وقيل في التفسير إنهم كانوا مُفْتَحِي الأعين، الذي يراهم يتوهمهم متبهين وقيل لكثرة تقلبهم يظن أنهم غير نيام، ويدل عليه ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ ويجوز وتَحْسَبُهُمْ، وتحسبهم.

﴿وَكَلْبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

والوصيد فناء البيت، وفناء الدار.

(١) في سورة الأعراف آية ١٧٨ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(٢) هو العجاج، والبيتان في الطبري ١٣١/١٥ وجزاز أبي عبيدة ٣٩٧/١٥ وروايته هناك: ووجدوا إخوانهم.

وقوله: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

بكسر الواو، وتقرأ لو أطلعت عليهم بضم الواو، والكسر أجود، لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة، فكسرت الواو لالتقاء الساكنين، وهذا هو الأصل، وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو، ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضمُّ هناك أحسنُ منه ههنا. نحو ﴿أَوْ أَنْقُصْ﴾^(١) - واو انقص بالضم والكسر -

وقوله: ﴿لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾.

﴿فِرَارًا﴾ منصوب على المصدر، لأن معنى وَلَّيْتُ فَرَزْتُ منهم.

﴿وَلَمَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾.

وَرُعْبًا وَرُعْبًا، وَرُعْبًا منصوب على التمييز، تقول: امتلأت ماء وامتلات فَرَقًا، أي امتلات مِنَ الْفَرَقِ ومن الماء.

وقيل في التفسير انهم طالت شعورهم جداً وأظفارهم، فلذلك كان الرائي لورآهم لَهَرَبَ مِنْهُمْ مَرْعُوبًا.

وقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾.

فيها أَرْبَعَةٌ أوجه - بفتح الواو وكسر الراء، وبوَرِقِكُمْ بتسكين الراء وبوَرِقِكُمْ - بكسر الواو وتسكين الراء، يقال وَرِقٌ، وَوَرِقٌ، وَوَرِقٌ، كما قيل: كَبِدٌ، وَكَبِدٌ، وَكَبِدٌ. وكسر الواو أردوها. ويجوز «بِوَرِقِكُمْ» تدغم القاف في الكاف وتَصِيرُ كافاً خَالِصَةً^(١).

وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾.

﴿أَيُّهَا﴾ مرفوع بالابتداء، ومعنى أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا، أي أي أهلها أَزْكَى طَعَامًا، وَأَزْكَى خبر الابتداء، وطعاماً منصوب على التمييز. وقيل: إن تأويل

(١) في أول سورة الزمل: ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نَفْثَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ومثله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾

(٢) وهو إدغام ردى.. لاجتلاب السكون، ولأن الحرفين غير متجانسين ولسوء النطق.

أَزْكَى طَعَاماً أَحَلَّ طَعَاماً، وَذَكَرُوا أَنَّ الْقَوْمَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مَجُوساً، وَكَانُوا لَا يَسْتَنْظِفُونَ ذَبَائِحَهُمْ^(١)، وَقِيلَ: أَزْكَى طَعَاماً، أَيِ طَعَاماً لَمْ يُوْخَذْ مِنْ غَضَبٍ، وَلَا هُوَ مِنْ جِهَةٍ لَا تَحِلُّ.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾.

وَفَلْيَأْتِكُمْ - بِإِسْكَانِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا - وَالْقِرَاءَةُ بِإِسْكَانِ اللَّامِ. وَالْكَسْرُ جَائِزٌ.

قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

قِيلَ لَا يُعْلِمَنَّ بِكُمْ، أَيِ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ فَلَا يُوقِعَنَّ إِخْوَانَهُ فِيمَا يَقَعُ فِيهِ.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾.

أَيِ يَقْتُلُوكُمْ بِالرَّجْمِ، وَالرَّجْمُ مِنْ أَخْبَثِ الْقَتْلِ.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.

«إِذَا» تَدُلُّ عَلَى الشَّرْطِ، أَيِ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى مِلَّتِهِمْ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

أَيِ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، أَيِ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَيَزِدَادُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾.

أَيِ يَتَنَازَعُونَ فِي أَمْرِهِمْ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «إِذْ» مَنْصُوباً بِقَوْلِهِ إِعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ الْمَعْنَى وَكَذَلِكَ إِعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ أَيِ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ إِذْ وَقَعَتِ الْمَنَازَعَةُ فِي أَمْرِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً بِقَوْلِهِ: لِيَعْلَمُوا، أَيِ لِيَعْلَمُوا فِي وَقْتِ مَنَازَعَتِهِمْ.

(١) لَا يَخْتَارُونَهَا نَظِيفَةً.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

هذا يدل - والله أعلم - أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لأن المساجد للمؤمنين.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿ثلاثة﴾ مرفوع بخبر الابتداء، المعنى سيقول الذين يتنازعون في أمرهم؛ هم ثلاثة رابعهم كلبهم.

﴿رجماً بالغيب﴾.

أي يقولون ذلك رجماً، أي ظناً وتخرصاً. قال زهير^(١)

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجم

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

دخول الواو ههنا واخراجها من الأول واحد، وقد يجوز أن يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تم.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

روي عن ابن عباس أنه قال، كان أصحاب الكهف سبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم، وقول ابن عباس إذا صح عنه فهو من أوثق التفسير.

وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾.

أي لا تأت في أمرهم بغير ما أوحى إليك، أي أفت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك.

(١) البيت الثامن والعشرون من معلقته - يتحدث عن حرب «داحس والغبراء» والحديث المرجم

حديث الظن والتخمين. الزوزني ٨٢ ط صحيح

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ﴾ .

أي في أصحاب الكهف .

﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ .

أي من أهل الكتاب .

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ .

موضع أن نصب، المعنى: لا تقولنَّ إني أفعل أبداً إلا بمشيئة الله، فإذا قال القائل: إني أفعل ذلك إن شاء الله فكأنه قال: لا أفعل إلا بمشيئة الله^(١) .

وقوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ .

أي أي وقت ذكرت أنك لم تستثن، فاستثن، وقل: إن شاء الله .

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ .

أي قل عسى أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف .

وقوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ .

جائز أن يكون سنين نصباً، وجائز أن تكون جرأ . فأما النصب فعلى معنى فلبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة، ويكون على تقدير آخر «سنين» معطوفاً على ثلاثٍ عطف البيان والتوكيد، وجائز أن تكون سنين من نعت المائة، وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال الشاعر^(٢)

(١) أي عمل قلت أنك ستعمله ولم تقل إن شاء الله ثم تذكرت فقل ثانياً إن شاء الله .

(٢) من معلقة عنترة - والحلوبة بمعنى الحالبة - وهي جمع حلوب عند البصريين - مثل قنوبة وقنوب ،

وركوبة وركوب وقال غيرهم هي بمعنى محلوبة ولذا جاز إلحاق التاء بفعل بمعنى مفعول .

وسود جمع أسود وسوداء، والخاففة واحدة الخوافي وهي أربع زياش في جناح الطائر - وهناك ست

عشرة ريشة - أربع قوادم، وأربع خواف، وأربع مناكب، وأربع أباهر - يصف رهط عشيقته بأن

به هذه الإبل السود، وهي أنفس أنواع الإبل .

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحم

فجعل سوداً نعتاً لحلوبة، وهو في المعنى نعت لجملة العددي، فجائز أن يكون: فَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ، مَحْمُولاً على قوله: سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ وهذا القول دليله قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

ويجوز - وهو الأجود عندي - أنه إخبار عن الله أخبرهم بطول لبثهم، وأعلم أنه أعلم بذلك. وكان هذا أبلغ في الآية فيهم أن يكون الصحيح أنهم قد لبثوا هذا العدد كله.

فأما قوله: ﴿وَارْزَادُوا تِسْعاً﴾.

فلا يكون على معنى وارزادوا تسع ليالٍ، ولا تسع ساعات، لأن العدد يعرف تفسيره، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكر التفسير^(١).

تقول: عندي مائة درهم وخمسة فيكون الخمسة قد دل عليها ذكر الدرهم

وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾^(٢). قال أبو العباس محمد بن يزيد: وعشراً معناه وعشر مُدَدٍ، وتلك المدد كل مدة منها يومٌ وليلةٌ، والعرب تقول: ما رأيته منذ عشر، وأتيته لعشرٍ خلونَ، فيغلبون الليالي على ذكر الأيام، والأيام داخله في الليالي والليالي مع اليوم مُدَّة معلومةٌ مِنَ الدَّهْرِ، فتأنيث عشر يدل على أنه لا يراد به أشهر فهذا أحسن ما فُسر في هذه الآية.

وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَاسْمِغْ﴾.

(١) أي تسع سنين.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

أجمعت العلماء أن معناه ما أسمعَه وأبصرَه. أي هُوَ عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم:

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.

وقرئت: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ عَلَى النَّهْيِ. والآية - واللَّهِ أَعْلَمُ - تَدُلُّ عَلَى أَحَدٍ مَعْنَيْنِ:

أحدهما أنه أَجْرَى ذكر علمه وقدرته، فأعلم عَزَّ وَجَلَّ أنه لَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ مِمَّا يَخْبُرُ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ أَحَدًا، كما قال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(١) وكذلك إذا قرئت: وَلَا تُشْرِكْ - بالتاء - في حكمه أَحَدًا، أي لَا تُنْسِبَنَّ أَحَدًا إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ، ويكون - واللَّهِ أَعْلَمُ، وهو جَيِّدٌ بِالْغَيْبِ - عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْكُمَ حَاكِمٌ إِلَّا بِمَا حَكَمَ اللَّهُ، أَوْ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حُكْمُ اللَّهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ، فَيَكُونَ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي حُكْمِهِ، يَأْمُرُ بِحُكْمٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.

أَي لَنْ تَجِدَ مَعْدِلًا عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

أَي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَمَرَ بِهِ فَلَا مُبَدِّلَ لَهُ.

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

وقرئت بِالْغُدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ، وَبِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَجُودُ فِي قَوْلِ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّ «غَدُوَّةً» مَعْرِفَةٌ لَا تَدْخُلُهَا الْأَلْفُ وَاللَّامُ، وَالَّذِينَ أَدْخَلُوا الْأَلْفَ وَاللَّامَ

(١) سورة الجن الآية ٢٦.

جعلوها نكرة، ومعنى يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي يدعونه بالتوحيد والإخلاص له، ويعبدونه يريدون وجهه، أي لا يقصدون بعبادتهم إلا إياه.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.

أي لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيات والزينة. روي أن جماعة من عظماء المشركين قالوا للنبي عليه السلام: باعد عنك هؤلاء الذين راثحتهم كرائحة الضأن، وهم موالٍ وليسوا بأشراف لِنُجَابِلَسْكَ وَلِنَفْهَمَ عَنكَ، يعنون خبأباً، وصُهيياً وعمَّاراً وبِلَالاً ومن أشبههم^(١)، فأمره الله بأن لا يفعل ذلك وأن يجعل إقباله على المؤمنين وألا يلتفت إلى غيرهم فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.

أي كان أمره التفريط، والتفريط تقديم العجز.
وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.
المعنى وقل الذي أتيتكم به الحق من ربكم.
﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

هذا الكلام ليس بأمرٍ لهم، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر، قال عز وجل:
﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾.

معنى اعتدنا جعلناها عِتَاداً لهم كما تقول: جعلت هذا عُدَّةً لهذا، والعتاد الشيء الثابت اللازم.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.

(١) من الموالى الذين دخلوا الإسلام.

أي صار عليهم سُرادقُ من العذاب، والسرادق كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب والحائط المشتمل على الشيء^(١).

وقوله: ﴿كَالْمُهْلِ﴾.

يعنى أنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب أي الصُّفْر^(٢) والفضة، وكل ما أذنته من هذه الأشياء فهو مُهْل. وقيل المهل دُرْدِيّ الزَيْتِ أيضاً^(٣)، وقيل المهل صديدُ الجرح.

﴿يَشْوِي الوجوه﴾.

أي إذا قُدِّمَ لِيُشْرَبَ أَشْوَى^(٤) الوجه من حرارته.

﴿يُشْس الشرابُ وساءت مُرتفعاً﴾.

﴿مرتفعاً﴾ منصوب على التمييز، ومرتفعاً منزلاً، وقال أهل اللغة مرتفعاً: مُتَكَّأً، وأنشدوا^(٥).

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفَعاً كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ

(١) في القاموس: السرادق الذي يمد فوق صحن البيت وجمعه سرادقات والبيت من الكرشف (القطن) والغبار الساطع والدخان المرتفع المحيط بالشيء.

(٢) النحاس - وكل معدن أذيب فهو مُهْل.

(٣) درديّ الزيت ما يبقى في أسفله.

(٤) أشوى الوجه أصاب شواته وهي جلدة الرأس.

(٥) لأي ذؤيب الهذلي يرثى صديقاً له - ويروى مشتجراً - والشجر بوزن ضرب مفرج الفم وقيل مؤخره، أو ما بين اللحين، واشتجر الرجل وضع يده تحت شجره، والصاب شجر له لين يؤذي العين إذا أصابها، وفي ديوان الهذليين ١٠٤/١.

نام الخلي وبِت الليل مشتجراً، وفي اللسان (شجر) كما في الديوان - ونقل عن أبي عمرو الشجر بفتحين ما بين اللحين، ومذبوح أي مشقوق، والرخى الخلي البال.

يريد نام الخليون الذين لا هم يُورَقُهُمْ، وظللت أنا لحزني يقطان أسند رأسي بيدي ولا تغمض لي عين كان لبن الصاب قد صب فيها. وانظر اللسان (ذبح - شجر).

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

خبر إن هنا على ثلاثة أوجه، فأحدها أن يكون على إضمار «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم»، ولم يحتاج إلى ذكر منهم لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه يحبط عمل غير المؤمنين، قال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١). ويجوز أن يكون خبر إن: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ ويكون قوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ قد فصل به بين الاسم وخبره، لأن فيه ذكر ما في الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا. ووجه ثالث، أن يكون الخبر ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ في معنى إنا لا نضيع أجرهم، لأن ذكر «من» كذكر الذي، وذكر حُسنِ العمل كذكر الإيمان. فيكون كقولك: إن الذين يعملون الصالحات إن الله لا يضيع أجر من آمن، فهو كقولك إن الله لا يضيع أجرهم^(٢).

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

ومعنى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ. وقيل في التفسير جنات عدن، جنات من الأربع الجنان التي أعدها الله لأوليائه.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار. يقال هو سوار في اليد بالكسر، وقد حكى سوار وحكي قطرب إسوار، وذكر أن أساور جمع إسوار، على حذف الياء، لأن جمع اسوار أساوير.

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) أي ان الخبر أعم فهو مشتمل على المبتدأ فلا يحتاج إلى رابط.

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾^(١).

والسندس والاستبرق نوعان من الحرير.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ [نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا]﴾^(١).

الأرائك واحدها أريكة، والأرائك الفرش في الحجال.

ومُرتَفَقاً منصوب على التمييز وقد فسرنا المرتفق.

وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾.

كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عليهم أن يسألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وعن الروح وعن هذين الرجلين، فأعلمه الله الجواب وأنه مثل له عليه السلام وللکفار، ومثل لجميع من آمن بالله وجميع من عَنَدَ عنه وكفر به، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾.

﴿رَجُلَيْنِ﴾ منصوب على معنى المفعول على معنى واضرب لهم مثلاً مثل رجلين.

﴿وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ﴾ أي جعلنا النخل مُطِيفاً بهما، يقال: قد حف القوم بزَيْدٍ إِذَا كَانُوا مُطِيفِينَ بِهِ. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

فأعلم الله أن عمارتهما كاملة متصلة لا يفصل بينهما إلاَّ عمارة، وأعلمنا أنهما كاملتان في تأدية حملهما من نخلهما وأعنابهما والزرع الذي بينهما، فقال:

﴿كُلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾.

أي لم تنقص منه شيئاً، وقال آتت ولم يقل آتتا، رده على كلتا لأن لفظ

(١) سقطت من الأصل ولكن ذُكِرَ تفسيرها - فكتبناها.

كلتا لفظ واحد، والمعنى كل واحدة منهما آتت أكلها، ولو كان «آتتا» لكان جائزاً، يكون المعنى الجَّتَيْنِ كلتا هما آتتا أكلهما.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا﴾.

ولو قرئت نَهْرًا لكان جائزاً، يقال نَهْرٌ وَنَهْرٌ، فأعلمنا أن شَرْبَهُمَا كان من ماء نهر وهو من أغزر الشُّرب.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾.

وقرئت ثُمْرٌ، وقيل الثَّمَرُ مَا أَخْرَجْتَهُ الشَّجَرُ، والثَّمَرُ المال، يقال قد ثَمَرَ فلان مَالاً. والثَّمَرُ هَهُنَا أَحْسَنُ، لأن قوله: ﴿كِلْتَا الْجَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهُمَا﴾، قَدَدَلُ على الثَّمَرِ، وتجاوز أن يكون ثَمَرٌ جمع ثَمرة. وثمارٌ وَثَمَرٌ^(١).

وقوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

مَالاً، ونَفَرًا، منصوبان على التمييز، وأخبره أنه أعز منه ناصرًا، أي يخبر أن نُصَارَهُ كثير.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

وكل من كفر بالله فَنَفْسُهُ ظَلَمَ، لأنه يولجها النار ذات العَذَابِ الدَّائِمِ، فأي ظَلَمَ للنفس فوق هذا.

وقوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

فأخبر بكفره بالساعة وبكفره بفناء الدنيا.

﴿وَلَيْتِنِ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾.

فدل على أن صَاحِبَهُ المؤمن قد أعلمه أن السَّاعَةَ تَقُومُ وأنه يبعث،

(١) ثَمَرٌ اسم جنس جمعي لثمرة، وثمار جمع حقيقي، وَثَمَرٌ جمع ثَمَرٍ فهي جمع الجمع.

فَأَجَابَهُ بِأَن قَالَ لَهُ : وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي كَمَا أَعْلَمْتَنِي أَن أُبْعَثَ لِيُعْطِيَنِي فِي
الْآخِرَةِ خَيْرًا مِّمَّا أُعْطِيتَنِي فِي الدُّنْيَا ، لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِنِي هَذَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ
يَزِيدُنِي إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فِي الْآخِرَةِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ مُنْكَرًا لَهُ بِهَذَا
الْقَوْل :

﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ .

أي ثم أكملك ، فأنكرت أمر البعث حتى شككت فيه ، وقد أعلمنا أن
الشَّاكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ كَافِرٌ ، وَأَن بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ أَيْ بَاطِلٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ^(١) ثُمَّ أَعْلَمَهُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ مُوَحَّدٌ لِلَّهِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ
مِنْ مَلِكٍ وَنِعْمَةٍ فَلَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ عَلَيْهِ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَقَالَ :

﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ .

فَدَلَّ خُطَابُهُ عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْجَنَّتَيْنِ مُشْرِكٌ عَابِدٌ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ ، وَفِي
قَوْلِهِ : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ خَمْسَةُ أَوْجُهٍ ، لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي - بِتَشْدِيدِ النُّونِ
وَفَتْحِهَا ، وَيُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْأَلْفِ ، وَيُوصَلُ بِغَيْرِ أَلْفٍ ، وَيُقْرَأُ : لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي
بِالْأَلْفِ مُوَصُولَةً ، وَيُقْرَأُ لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي بِسُكُونِ النُّونِ ، وَيَجُوزُ - وَلَا أَعْلَمُ
أَحَدًا قَرَأَ بِهِ - لَكَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي بِنُونَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ ، وَيَجُوزُ لَكَنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي
بِنُونَيْنِ وَأَلْفٍ . فَمَنْ قَرَأَ بِتَشْدِيدِ النُّونِ فَالْمَعْنَى لَكِن أَنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي فَطَرَحْتُ
الْهَمْزَةَ عَلَى النُّونِ فَتَحَرَّكَ بِالْفَتْحِ وَاجْتَمَعَ حُرُوفَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، فَادْغَمَتْ
النُّونُ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ ، وَحُذِفَتِ الْأَلْفُ فِي الْوَصْلِ لِأَنَّهَا تَثْبِتُ فِي الْوَقْفِ
وَتُحْذَفُ فِي الْوَصْلِ وَمَنْ قَرَأَ : لَكِنَّا فَانْتَبِثَ الْأَلْفُ فِي الْوَصْلِ كَمَا كَانَ تَثْبِيتُهَا فِي

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

الوقف فهذا على لغة من قال : أَنَا قُمْتُ^(١) فَأَثَبْتُ الألف قال الشاعر^(٢) :

أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي حَمِيداً قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا
قال أبو إسحاق : وألف أنا في كل هذا إثباتها شاذ في الوصل ؛ وَلَكِنْ
مَنْ أَثَبَّتَ فعلى الوقف كما أثبت الهاء في قوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ﴾ ، و﴿كِتَابِيَهٗ﴾^(٣) ،
ومن قرأ لَكِنْ هو اللام ربي ، وهي لَكِنْ وحدها ليس معها اسم ، ومن قرأ لَكِنْ
لم يدغم لأن النونين من كلمتين ، وكذلك من قال : لَكِنَّا بنونين وألف ، على
قياس لكن أنا ، لم يدغم لأن النونين من كلمتين ، وفي أنا في الوصل ثلاثُ
أَعَاتٍ أجودها أَنَا قُمْتُ ، مثل قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾^(٤) بغير ألف في اللفظ ، ويجوز أَنَا
قُمْتُ بإثبات الألف ، وهو ضعيف جداً ، وحكوا أَنَّ قُمْتُ بإسكان النون^(٥) ،
وهو ضعيف أيضاً فأما لَكِنَّا هو اللام رَبِّي - فهو الجيد بإثبات الألف ، لأن الهمزة
قد حُذِفَتْ من أَنَا ، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة .

فهذا جميع ما يحتمله هذا الحرف .

والجيد البالغ ما في مصحف أبي بن كعب ولم نذكره في هذه القراءات
لمخالفته المصحف وهو «لكن أنا هو الله ربي» ، فهذا هو الأصل ، وجميع ما
قرئ به جيد بالغ ، ولا أنكر القراءة بهذا ، لأن الحذف قد يقع في الكتاب
كثيراً في الياءات والهمزات ، فيقرأ بالحذف وبإلتمام نحو قوله : ﴿يَوْمَ يَدْعُ

(١) بمد ألف أنا .

(٢) حميد بن حريث بن بحدل ، شاعر إسلامي من بني كلب بن وبرة من قضاة ، والبيت يروى
«حميداً بالنصب بدلا من الياء في فاعرفوني ، ويروى «حميد» بالرفع بياناً من سيف . أي أنا حميد .

انظر ابن يعيش ٩٣/٣ ، ٨٤/٩ .

(٣) الهاء هاء السكت ، فكان حقها أن تسقط في الوصل ، ولكنها بقيت كما بقيت الألف في أنا .
والكلمات من قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ﴾ (من سورة القارعة) ، و﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ
أُوتَ كِتَابِيَهٗ﴾ (سورة الحاقة) .

(٤) ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى﴾ من سورة النازعات ١٦/ .

(٥) أي أنا قمت .

الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ^(١) . . من قرأ الداعي فمصيب، ومن قرأ الداع فمصيب، وكذلك من قرأ لِكُنَّا، ولكن أنا فهو مصيب، والأجود اتباع القُرَّاء ولزوم الرواية؛ فإن القراءة سنة، وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة فهو المتبع، وما جاز في العربية ولم يقرأ به قارئ فلا تَقْرَأَنَّ به فإن القراءة به بدعة، وكل ما قُلْتُ فيه الرواية وَضَعْتُ عند أهل العربية فهو داخل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾.

والجنة البستان. ومعنى: ﴿ولولا﴾ هَلَا، وتأويل الكلام التوبيخ.

﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

﴿ما﴾ في موضع رفع، المعنى قلت: الأمر ما شاء الله. ويجوز أن تكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء، ويكون الجواب مضمراً، ويكون التأويل أي شيء شاء الله كان، ويضمر الجواب كما أضمر جواب لَوْ في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾^(٢) المعنى لكان هذا القرآن.

وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

الاختيار النصب بغير تنوين على النفي كما قال لا ريب فيه، ويجوز لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ على الرفع بالابتداء، والخبر «باللَّهِ» المعنى أنه لا يقوى أحد في ديدنه ولا في مِلْكٍ يمينه إِلَّا بِاللَّهِ، ولا يكون له إلا ما شاء الله.

وقوله: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ﴾.

﴿أَقَلَّ﴾ مَنْصُوبٌ، وهو مفعول ثانٍ بترني، وأنا يصلح لشيئين، إن شئت كانت توكيداً للنون والياء^(٣)، وإن شئت كانت فصلاً، كما تقول: كُنْتُ أَنْتَ

(١) سورة القمر الآية ٦

(٢) سورة الرعد الآية ٣١.

(٣) الياء فقط هي الضمير الذي يؤكد، أما النون فهي حرف وقاية.

وتقلب الكفين يفعلهُ الناس كثيراً
﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

أي حِيطَانُهَا قائمة لا سُقُوفَ عليها، وقد تهَدَّمَت سُقُوفُهَا فصارت في
قرارها والعُرُوش: السُّقُوفُ، فصارت الحيطان كأنها على السقوف.
وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ محمول على معنى فِئَةٍ، المعنى ولم يكن له أقوام ينصرونه،
ولو كان ينصره لجاز، كما قال: ﴿فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).
﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً﴾.

وما كان هو أيضاً قادراً على نصر نفسه.
وقوله: ﴿هَٰئِلِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾.

وتقرأ «الْوَلَايَةُ» - بكسر الواو وفتحها - لِلَّهِ الْحَقِّ، وتقرأ «الحَقُّ»، المعنى
في مثل تلك الحال بيانُ الولاية لِلَّهِ. أي عند ذلك يتبينُ نَصْرُهُ، ولي الله - يتولى
الله إياه^(٢). فمن قرأ الحق [بالرفع] فهو نعتٌ للولاية، ومن قرأ الحق فهو
بالجر فهو نعتٌ لِلَّهِ - جل وعز. ويجوز الحق، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ونصبه
على المصدر في التوكيد، كما تقول: هنالك الحق، أي أحقُّ الحق.

وقوله: ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابٍ وَخَيْرُ عُقْبَاءَ﴾.

وعُقْبَاءُ، ويجوز وخيرُ عُقْبَى، على وزن بُشْرَى، وثَوَابٌ وعُقْبَاءُ منصوبان
على التمييز.

وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾.

(١) سورة آل عمران. الآية ١٣.

(٢) الصحيح أن يُقَالَ: يتولاه الله، إذ لا يستعمل الضمير المنفصل عند تأني استعمال المتصا.

القائم يا هذا، ويجوز رفع أقل، وقد قرأ بها عيسى بن عمر: **إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَالًا**، على أن أنا ابتداء، وأقل خبر الابتداء، والجملة في موضع المفعول الثاني لترني .

وقوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ .
جائز أن يكون أراد في الدنيا، أو في الآخرة .
﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ .

وهذا موضع لطيف يحتاج أن يُشرح وهو أن الحُسبانَ في اللُّغة - هو الحِسَابُ قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ﴾^(١) المعنى بحساب، فالمعنى في هذه الآية أن يرسل عليها عذاب حُسبانٍ، وذلك الحُسبانُ هو حِسَابُ ما كسبت يداك^(٢) .

وقوله: ﴿فَتَصْبَحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ .
الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، وكذلك الزَّلَق^(٣) .
﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غَوْرًا﴾ .
معناه غائرًا، يقال ماء غَوْرٌ، ومياه غورٌ، وغورٌ مصدر مثل عدل ورضى .

وقوله: ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ .
أي يغور فلا تقدرُ على أثرِ تطلبه من أجله
﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ .
أي أحاط الله العذابَ بشمره .
﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ .

(١) سورة الرحمن .

(٢) المراد بالحسبان الصاعقة، وسميت حساباً لأنها جزاء على ما قدم .

(٣) الزلق المكان الذي لا بثت عليه القدم

تأويله أنه نجع^(١) في النبات حتى خالطه، فأخذ النبات زخرفه.
﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾.

والهشيم النبات الجاف الذي تسفيهه الريح.
﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾.

ويقرأ الريح، وفي تذروه لغتان لَا يُقْرَأُ بِهِمَا: تُذَرِيهِ - بضم التاء وكسر
الراء، وتَذَرِيهِ بفتح التاء. أعلم الله - عز وجل - أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا زَايِلَةٌ، وَدَلِيلُ
ذَلِكَ أَنَّ مَا مَضَى مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ مَا لَمْ يَكُنْ، وَأَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَهَا هَذَا الْمِثْلُ.
وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.
أي على الإنشاء، والإفناء، مقتدراً.

فإن قال قائل: «فالكلام كان الله»^(٢)، فتأويله أَنَّ مَا شَاهَدْتُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ
ليس بحادث عنده، وأنه كذلك كان لم يزل. هذا مذهب سيبويه، وقال
الحسن: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ أي كان مقتدراً عليه قبل كونه،
وقال بعضهم: «كان» مِنَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ كَائِنٍ وَيَكُونُ. وقول الحسن في هذا
حسن جميل ومذهب سيبويه والخليل مذهب النحويين الحذاق كما وصفنا،
لأنهم يقولون: إنما خطبت العرب بلغتها ونزل القرآن بما يَعْقِلُونَهُ وَيَتَخَاطَبُونَ
به، والعرب لا تعرف كان في معنى يكون، إلا أن يدخل على الحرف آلة
تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى الحال.

فهذا شرح ما في القرآن من هذا الباب نحو قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، وقد فسرناه قبل هذا الموضع^(٣).

(١) دخل فيه. يقال: نجع العلف في الذابة ونجع الوعظ والخطاب في الرجل دخل فيه وأثر.

(٢) كان تقدير الكلام، والله على كل شيء مقتدر - ولكن «كان» أفادت أنه قد تم وحدث فعلاً.

(٣) انظر تفسير سورة النساء في ج ٢.

وقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾.

﴿الباقيات الصالحات﴾ هي الصلوات الخمس، وقيل هي: سبحان الله والحمد لله. ولا إله إلا الله والله أكبر، . والباقيات الصالحات - والله أعلم - كل عمل صالح يبقى ثوابه، فالصلوات الخمس وتوحيد الله وتعظيمه داخل في الباقيات الصالحات، وكذلك الصدقات والصيام والجهاد وأعمال الخير والبر كلها.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى التلاوة والذكر، المعنى واذكر يوم نسير الجبال، ويجوز أن يكون نصبه على «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ يَوْمَ يَسِيرُ الْجِبَالَ»، أي خير في القيامة من الأعمال التي تبقى آثارها.

وقوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، معناه ظاهرة، وقد سُيِّرَتِ جبالها، واجشت أشجارها، وذهبت أبنيتها فبقيت ظاهرة، وقد ألفت ما فيها وتخلت.

وقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

أي لَمْ نُخَلِّفْ أَحَدًا مِنْهُمْ.

﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾.

معناه أنهم كلهم ظاهرون لله، تُرَى جماعتهم كما يُرَى كل واحد منهم، لَا يَحْجُبُ وَاحِدٌ وَاحِدًا.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي بعثناكم كما خَلَقْنَاكُمْ. وجاء في التفسير أنهم يُحْشَرُونَ عُرَاءَ غُرْلًا حُفَاءَ، معنى غُرْلًا، جمع أَغْرَل وهو الْأَقْلَفُ^(١).

(١) الذي لم يجتن.

وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَن لَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾.

أي بل زعمتم أن لن تبعثوا، لأن الله جل ثناؤه، وعدهم بالبعث.

وقوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾.

معناه - والله أعلم - وُضِعَ كتاب كُلِّ امْرِئٍ بِيَمِينِهِ أو شماله.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾.

كل من وقع في هلكة دعا بالويل.

﴿مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصَاهَا﴾.

أي لا تاركاً صغيرة.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

أي إنما يعاقبهم فيضع العقوبة موضعها في مُجَازَاةِ الذُّنُوبِ. وأجمع

أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ دليل على أنه أمر بالسجود مع الملائكة، وأكثر

ما في التفسير أن إبليس من غير الملائكة وقد ذكره الله عز وجل أنه كان من

الْجِنِّ بمنزلة آدم من الأنس، وقد قيل إِنَّ الْجِنَّ ضَرَبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كانوا

خُزَّانَ الْأَرْضِ، وقيل خزان الجنان.

فإن قال قائل: فكيف استثنى مع ذكر الملائكة، فقال فسجدوا إلا

إبليس، فكيف وقع الاستثناء وليس هو من الأول، فالجواب في هذا أنه أمر

مَعَهُمْ بالسجود فاستثنى من أنه لَمْ يَسْجُدْ، والدليل على ذلك أنك تقول:

أمرت عَبْدِي وأخوتي فأطاعوني إلا عَبْدِي، وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ

لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، ورب العالمين ليس كمثله شيء، وقد جرى ذكره في

(١) سورة الشعراء الآية ٧٧ من كلام إبراهيم عليه السلام - ذكر أن الأصنام أعداؤه واستثنى رب

العالمين وليس داخلاً فيهم.

الإستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. ولا يقدر أحد أن يعرف معنى الكلام غير هذا.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، يجوز أن يكون معناه: خرج عن أمر ربّه، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، وقال قطرب: يجوز أن يكون معناه فسق عن ردّ أمر ربّه، ومذهب سيبويه والخليل وهو الحق عندنا أن معنى ﴿فسق عن أمر ربّه﴾ أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه أمر ربّه، كما تقول أطعمه عن جوع وكساه عن عُري. المعنى كان سبب فسقه الأمر بالسُّجود لما كان سبب الإطعام الجوع، وسبب الكسوة العُري.

وقوله: ﴿بَشِّرْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

معناه أنه بشّر ما استبدل به الظالمون من رب العزة جل وعز، إبليس وقوله: ﴿مَا أَشْهَدُتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾. أي لم يكونوا موجدِينَ إذ خلقت السموات والأرض. ﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

ويقرأ وما كنت متخذ المضلين - بفتح التاء -^(١) المعنى في فتحها: ما كنت يا محمد لتتخذ المضلين أنصاراً، وضم التاء هي القراءة، وعليها المعنى.

يخبر الله عز وجل بقدرته، وأنه لا يعتضد فيها ولا في نصرت بالمضلين والاعتضاد التقوى وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلان، معناه استعنت به. و«عضداً» فيه خمسة أوجه، وجهان منها كثيران جيدان، وهما^(٢)

(١) التاء في «كنت».

(٢) في الأصل وهي.

عَضِدَ بفتح العين وضم الضاد، وعُضِدَ - بضم العين والضاد - ويجوز عَضِدًا، وعُضِدًا، بتسكين الضاد وضم العين وفتحها. وقد رويت عَضِدَ بِكسر الضاد ويجوز في عَضِدَ بكسر الضاد «عَضِدًا».

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

أضافهم إليه على قولهم .

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾.

جعلنا بينهم من العذاب ما يُوقِعُهُم، أي يُهْلِكُهُم، والمَوْبِقُ المَهْلِكُ، يقال وَبَقَ الرجل يَوْبَقُ، وَبَقًا ويقال يَبِيقُ، وَبَاتِقٌ، وفيه لغة أخرى وَبَقَ يَبِقُ وَبُوقًا، وهو وَابِقٌ، والأوَّلُ هُوَ وَبِقٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾.

القراءة «وَرَأَى»، ويجوز «وَرَاءَ» المجرمون مثل وَرَاعَ، كما قال كثير:

وكلَّ خليلٍ رَأَىني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أُوْعِدِ^(١)

قوله: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

معناه أيقنوا. وقد بينا ذلك .

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

أي معدلاً، قال أبو كبير^(٢).

(١) هامة اليوم - أي هالك في هذا اليوم - أي كل من رآه قال انه يقضي نحبه قريباً مما أصابه من حبه

وهي تهجره. انظر ديوانه ١١١

واللسان (رأى) وابن الشجري ١٩/٢ والكامل ٢١٧/٢ (تجارية) وكتاب سيبويه ٤٦٧/٣ .

(٢) هو عامر بن الحليس أحد بني سعد بن هذيل. وهو الذي تزوج أم تابط شراً، وله معها قصة مشهورة جاءت في خزانة الأدب حـ ٤٦٧/٣ (بولاق) وهو صحابي اشتهر بكنيته، وقد أتى إلى النبي ﷺ بعد إسلامه يطلب منه أن يبيح له الزنا، فقال له النبي ﷺ أحب أن يؤتى إليك بمثل ذلك؟ فقال لا، قال: فارض لأخيك بما ترضى لنفسك، قال فادع الله أن يذهب عني.

أُذْهِرْ هَلْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَضْرِفٍ أَمْ لَا خُلُودَ لِبَادِلٍ مُتَكَلِّفٍ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

أي من كل مثل يحتاجون إليه، أي بَيِّنَاهُ لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

معناه كان الكافر، ويدل عليه قوله: ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

فإن قال قائل: وهل يجادل غير الإنسان، فالجواب في ذلك أن أبلِسَ قد جادل، وأن كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ جَدَلًا.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾.

موضع «أن» نصب. المعنى وما منع الناس من الإيمان ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾.

المعنى إِلَّا طَلَبَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ. وَسُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَنَّهُمْ غَابُوا الْعَذَابَ، فَطَلَبَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١).
﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

ويقرأ قُبُلًا - بكسر القاف وفتح الباء -، ويجوز قُبُلًا - بتسكين الباء - ولم يقرأ بها أحد. وموضع «أن» في قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ رفع، وتأويل قُبُلًا مُعَانِيَةً،

= وزهير مي زهير ابنته - منادى مرخم، وشيبة صديق له مات وهو يكيه بهذا الشعر - والقصيدة في ديوان المهذلين ١٠٤/٢، واللسان (حرف) وروايته هناك: «هل عن شيبة من حرف» - وحرف كمصرف وزنا ومعنى.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢.

وتأويل قُبلاً جمع قَبِيل، المعنى أو يأتِيهم العذاب أنواعاً. ويجوز أن يكون تأويل قُبلاً بمعنى من قُبَل أي مما يقابلهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذْ أَبَدًا﴾.
هؤلاء قد أخبر الله عنهم أنهم من أهل الطبع فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

أكِنَّة جمع كنانة، وهو الغطاء، وهو مثل عِنَانٍ وَأَعِنَّة. فأعلم الله عز وجل أن هؤلاء بأعينهم لن يهتدوا أبداً.

وقوله: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾.

الموثل المنجا، يقال وَآلٌ يَثُلُ إِذَا نَجَا.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

المعنى وأهل تلك القرى أهلكناهم، يعني به من أَهْلَكَ من الأمم الخالية، نحو عاد وثمود وقوم لوط ومن ذَكَرَ بِالْهَلَاكِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾.

أي أجلاً، وفيها ثلاثة أوجه: لِمَهْلِكِهِمْ، وتأويل الْمُهْلِكِ عَلَى ضَرِيحٍ، عَلَى الْمَصْدَرِ^(١)، وعلى الوقت، معنى المصدر لِإِهْلَاكِهِمْ، ومعنى الْوَقْتِ لَوْقَتِ إِهْلَاكِهِمْ وكل فعل ماضٍ على أَفْعَلَ فالمصدر منه مُفْعَلٌ، أو إِفْعَالٌ، واسمُ الزَّمَانِ منه مُفْعَلٌ، وكذلك اسم المكان، تقول أَدْخَلْتُهُ مُدْخَلًا، وهذا مُدْخَلُهُ أي المكان الذي يدخل زيدٌ منه، وهذا مُدْخَلُهُ أي وقت إدخاله، ويجوز أن يقرأ «لِمَهْلِكِهِمْ» على أن يكون مَهْلِكٌ اسماً لِلزَّمَانِ عَلَى مَعْنَى هَلَكَ يَهْلِكُ، وهذا زمن مَهْلِكِهِ مثل جَلَسَ يَجْلِسُ، إذا أردت المكان أو الزَّمَانِ، فإذا أردت الْمَصْدَرَ قلت مَهْلِكٌ بفتح اللام مثل مجلس، يقال: أَتَتْ النَّاظِقُ عَلَى مَضْرِبِهَا

(١) مصدر ميمي من أهلك، أو اسم زمان.

أي على زمانٍ ضرابها، وتقول جلس مجلساً - بفتح اللام - ومثله هلك مهلكاً أي هلكاً.

وموضع ﴿تِلْكَ الْقَرْىُ﴾ رفع بالابتداء، والقري صفة لها مبيّنة، وأهلكناهم خبر الابتداء. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ ﴿تِلْكَ الْقَرْىُ﴾ نَصْباً وَيَكُونَ أَهْلُكُنَاهُمْ مُفَسِّراً لِلنَّاصِبِ، وَيَكُونَ الْمَعْنَى وَأَهْلَكْنَا تِلْكَ الْقَرْىَ أَهْلُكُنَاهُمْ. وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾.

وإن شئت قلت بالإمالة والكسر، وهي لغة تميم، وأهل الحجاز، يفتحون وَيُفَخِّمُونَ. ويروى في التفسير أَنَّ فَتَاهُ «يُوشَع» بْنُ نُونٍ.

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾.

معنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال، ولو كان لا أزول كان مُحَالاً^(١)، لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أرضاً، ومعنى لا أبرح في معنى لا أزال، موجود في كلام العرب، قال الشاعر: ^(٢).

وَأَبْرَحُ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي يَحْمَدُ اللَّهُ مُنْطَقاً مُجِيداً
أي لا أزال.

(١) لا أزال أفعل. أي أظل أفعل، ولا أزول من مكاني لا أنتقل.

(٢) هو خدّاش بن زهير بن ربيعة من هوازن - شاعر مشهور وهو الذي أعان قيس بن الخطيم على الأخذ بشار أبيه وجده من قاتله وهو من قوم خدّاش - وله ترجمة في المؤلف والمختلف ص ١٥٣. ويقال انتطق فرسه إذا جنبه ولم يركبه، ومجيداً أي جواداً أُنح المال، يريد أن قومه كفوه القتال فما داموا فهو مجتنب جواده ويفسر البيت أيضاً بأن أبرح بمعنى لا أبرح حذف منه لا - وصحح صاحب اللسان كلمة قومي برهطي لقوله منتطقاً بالافراد. فمنتطقاً إذن هي خبر دام. أي ما دام رهطي منتطقاً فلا أبرح أنا مجيداً
انظر اللسان (نطق).

ولأنما سمي فتاه لأنه كان يخدمه، والدليل على ذلك قول موسى: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾.

وقوله: ﴿حُقُبًا﴾.

الحقْبُ ثمانون سنةً، وكان مجمع البحرين الموضع الذي وعد فيه موسى بلقاء الخضر [عليه السلام]. وأحب الله عز وجل أن يُعَلِّمَ موسى - وإن كان قد أُوتِيَ التوراة أنه قد أُوتِيَ غيره من العلم أيضاً ما ليس عنده، فوَعِدَ بلقاء الخضر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾.

يعنى به موسى ويوشع.

﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾.

وكانت فيما روي سمكة مملوحة، وكانت آية لموسى في الموضع الذي يلقي فيه الخضر.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾.

أحيا الله السمكة حتى سَرَبَتْ في البحر، وسرباً منصوب على جهتين، على المفعول كقولك: اتخذت طريقي في الشرب، واتخذت طريقي مكان كذا وكذا، فيكون مفعولاً ثانياً كقولك اتخذت زيداً وكيلاً. ويجوز أن يكون «سَرَبًا» مَصْدَرًا يدل عليه ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ فيكون المعنى نَسِيًا حُوتَهُمَا فجعل الحوت طريقه في البحر ثم بين كيف ذلك، فكأنه قال: سَرَبَ الْحُوتُ سَرَبًا، ومعنى نسيا حوتهما، كان النسيان مِنْ يُوْشَعَ أن تقدمه، وكان النسيان من موسى أن يأمره فيه بشيء.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾.

والصخرة موضع الموعِد.

﴿فَاتَنِي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾.

وهذا قولُ يُوْشَعَ لِمُوسَى ، حينَ قالَ موسى ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ ، وكانت السمكة من عُدَّةِ غَدائِهِمَا ، فقال :

﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾.

كَسَّرُ الهاء وضمها جَائِزَانِ فِي ﴿أَنْسَانِيهِ﴾ ، ﴿أَن أَذْكُرَهُ﴾ بدلٌ من الهاء لاشتغال الذكر على الهاء في المعنى ، والمعنى وما أنساني أن أذكره إلا الشيطانُ .

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

﴿عَجَبًا﴾ منصوب على وجهين ، على قول يوشع : واتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً ، ويجوز أن يكون قال يوشع : اتخذ الحوت سبيله في البحر ، فأجابه موسى فقال : عجباً ، كأنه قال : أعجبٌ عَجَبًا ، ثم قال : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾.

الأكثر في الوقف نَبْغٍ على اتباع المصحف . وبعد «نبغ» آية^(١) ويجوز وهو أحسن في العربية ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾ في الوقف . أما الوصل فالأحسن فيه نبغي بإثبات الياء ، وهذا مذهب أبي عمرو ، وهو أقوى في العربية .

ومعنى قول موسى (عليه السلام) : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾ ، أي ما كنا نريد ، لأنه وعد بالخضر في ذلك المكان الذي تتسرب فيه السمكة .

﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

أي رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر قَصَصًا ، والقصص اتباع الأثر .

(١) أي رأس آية يوقف عليه .

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

يعنى به الخضر، وقيل إنما سمي الخضر لأنه كان إذا صلى في مكان اخضر ما حوله.

وفيما فعله موسى - وهو من جِلَّةِ الأنبياء، وقد أُوتِيَ التوراة،^(١) من طلبه العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾.

وَرُشْدًا، والفعلُ والفعلُ نحو الرُّشْدُ والرُّشْدُ كثير في العربية نحو البُخْلُ والبُخْلُ، والعُجْمُ والعُجْمُ، والعُزْبُ والعُزْبُ.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

هذا قول الخضر لموسى، ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.

أي وكيف تصبر على ما ظاهره منكر، والأنبياء والصالحون لا يَصْبِرُونَ على ما يرونه منكور.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾.

هذا قول موسى للخضر.

وقوله: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

أي إن أنكرته فلا تعجل بالمسألة إلى أن أبين لك الوجه فيه، ونصب

(١) من بانية، أي فيما أُوتِيَ من طلب العلم.

﴿خَبْرًا﴾^(١) على المصدر لأن معنى لم تحط به لم تَحْبُرْهُ خُبْرًا،^(٢) ومثله قول امرئ القيس^(٣).

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَ حَدِيثُنَا وَرَضْتَ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالٍ
لأن معنى رُضْتُ أَذَلَّتْ، وكذلك أَحطت به في معنى خبرته.
وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾.
أي خرقها الخَضِرُ.

﴿قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا﴾، وَلِيَغْرُقَ أَهْلَهَا، وكان خرقها مما يلي الماء، لأن التفسير جاء بأنه خرقها بأن قلع لوحين مما يلي الماء، فقال:
﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾.

ومعنى إِمْرًا شَيْئًا عَظِيمًا مِنَ الْمُتَنَكَّرِ.
﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

فلما رأى موسى أن الخَرْقَ لم يَدْخُلْ مِنْهُ الماء، وَأَنَّهُ لَمْ يُضِرْ مَنْ فِي
السفينة:

﴿قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.
ومعنى ترهقني تُغَشِّبُنِي، أي عاملني باليسر لا بالعسر.
وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾.

معناه فقتله الخَضِرُ، ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
نُكْرًا.

(١) من الآية: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا﴾.

(٢) ظاهر أنه تمييز محول - أي لم يحط خبرك به.

(٣) من لامبته: ألا أنعم صباحاً أيها الطفل البالي - التي تعد معلقة ثانية له. ويروى و «عجنا» رجعنا إلى الحالة اليسرى، وأذعنت لما راودها عنه - انظر - الديوان.
وليس في البيت دليل على ما أراد. إذ هو يريد رضيَّتها حتى ذلت في حال تشدها.

قالوا في زكّية بريئة، أي لم يرَ ما يُوجبُ قتلها، ونُكراً أقل من قوله إمرأ، لأن تغريق من في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفسٍ واحدةٍ وقد قيل إن نكراً ههنا معناه لقد جئت شيئاً أنكر من الأمر الأول.

و﴿نُكراً﴾ منصوب على ضربين: أحدهما معناه أتيت شيئاً نكراً، ويجوز أن يكون معناه: جئت بشيء نكراً، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المسألة: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾. ويُقرأ فلا تُصَحِّبْنِي، وقراءة شاذة فلا تُصَحِّبْنِي..

فمن قرأ فلا تُصَحِّبْنِي فإن معناه فلا تكوني صاحبي، ومن قرأ فلا تصاحبني فمعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك، ومن قرأ تُصَحِّبْنِي، ففيها بأربعة أوجه، فأجودها فلا تُتَابِعْنِي على ذلك، يقال قد أصحب المهر إذا انقاد، فيكون معناه فلا تتابعني في شيء ألتمسه منك، ويجوز أن يكون معناه فلا تُصَحِّبْنِي أحداً^(١) ولا أعرف لهذا معنى لأن موسى لم يكن سأل الخضر أن يصحبه أحداً. وقوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.

ويقرأ من لَدُنِي بتخفيف النون، لأن أصل لَدُنْ الإسكان، فإذا أضفتها إلى نَفْسِكَ زدت نوناً لِيَعْلَمَ سُكُونُ النُّونِ الأولى، تقول من لَدُنْ زَيْدٍ، فَتُسَكِّنُ النُّونَ ثم تضيف إلى نفسك، فتقول من لَدُنِي كما تقول عن زَيْدٍ وَعَنِي. ومن قال مِنْ لَدُنِي لم يجز أن يقول عَنِي وَمِنِي بحذف النون، لأن لدن اسم غير متمكن، ومن وعن حرفان جاءا للمعنى، وَلَدُنْ مع ذلك أَثْقَلُ مِنْ «مِنْ» و«عَنْ». والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم: قَدْنِي في

(١) لم يذكر الوجوه الأربعة وإنما ذكر اثنين فقط.

معنى حَسْبِي، ويقولون قد زَيْدٌ فيدخلون النون لما ذكرناه. إذا أضيفت. ويجوز قَلْدِي بحذف النون لأن قَدْ اسم غير متمكن، قال الشاعر فجاء باللغتين:

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْيْنِ قَدِي^(٢)

فأما إسكانهم دال لَدُن فأسكنوها كما يقولون في عَضْد: عَضِدْ، فيحذفون الضمة.

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد^(٣)، والمعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا، قال: ومثل هذا أمر الكلام: أخزى الله الكاذب مِنِّي وَمِنْكَ، فذكر بيني وبينك ثانية توكيد، وهذا لا يكون إلا بالواو ولا يجوز: «هذا فراق بيني فَبَيْنِكَ» لأن معنى الواو الاجتماع، ومعنى الفاء أن يأتي الثاني في إثر الأول.

وقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾.

مَسَاكِينَ لَا يَنْصَرِفُ لأنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وكذلك كل جمع نحو مساجد ومفاتيح وطوامير^(٤)، لَا يَنْصَرِفُ كما ذكرنا. وقد بينا ذلك فيما تقدم في باب ما لا ينصرف^(٥).

(١) يقال قد زيد بالإضافة، مثل حسب زيد.

(٢) الرجز لحميد بن مالك الأرقط - وبعده: - ليس الإمام بالشحيح الملهد - والملهد الظالم في الحرم - ويروي هذا الشطر: ليس أميري. وهو يتحدث إلى عبد الملك بن مروان واصفاً تقاعده عن نصر عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب - وكان عبد الله يكنى أبا خبيب - واستعمل «الخبيبين» هنا على التغليب - وهو يعرض ببخلها ووصف عبد الملك بالإمام وبأنه أميره، يريد أن الزبيريين لم يكونوا أئمة ولا لها عليه إمارة.

والبيت في شواهد المغني ١٦٦، وكامل المبرد ص ٨٤ (التجارية) والخزانة ٤٤٩/٢، وابن يعيش ٤٤٢/١ ومن شواهد النحو الشائعة.

(٣) يريد تكرار كلمة بين.

(٤) طوامير جمع طامور وطومار وهو الصحيفة.

(٥) أي في الكلام على ما لا ينصرف.

وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

كان يأخذ كل سفينة لا عيبَ فيها غصباً، فإن كانت عائبة لم يعرض لها. ووراءهم: خلفهم، هذا أجود الوجهين، ويجوز أن يكون: كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم الله الخضر خبره، وقيل: ﴿كَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ معناه كان قدأمامهم. وهذا جائز في العربية، لأنه ما بين يديك وما قدأمامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر^(١):

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاحَتْ مَنِيَّتِي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
وقوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

﴿يرهقهما﴾ يحملهما على الرهق وهو الجهل، وقوله ﴿فخشينَا﴾ من كلام الخضر، وقال قوم لا يجوز أن يكون فخشنا عن الله، وقالوا دليلاً على أن فخشنا من كلام الخضر قوله ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا﴾ وهذا جائز أن يكون عن الله عز وجل: فخشنا، لأن الخشية من الله عز وجل معناه الكراهة، ومعناها من الآدميين الخوف.

وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا﴾.

بمعنى أراد الله - جلَّ وعزَّ - لأن لفظ الإخبار عن الله كذا أكثر من أن يخصى.

ومعنى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

أي أقرب عطفاً وأمس بالقرباية، والرحم والرحم في اللغة العطف والرحمة قال الشاعر^(٢):

(١) هو ليبد بن ربيعة العامري. من عينيه في رثاء أخيه أربد التي أولها: (بلينا وما تبلى النجوم الطوالع) وهي بديوانه والبيت الذي هنا أيضاً في اللسان (وراء).

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازة ٤١٣/١ وقبله هذا البيت:

فلا ومُنْزَلِ الفرقا ن مالك عندها ظلم

وكيف يَظْلَم جَارِيَةً ومنها اللين والرَّحْمُ

وقوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾^(١)
وتقرأ أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا. يُقَالُ: ضَيَّفْتُ الرَّجُلَ نَزَلْتُ عَلَيْهِ، وَأَضَفْتُهُ وَضَيَّفْتُهُ، إِذَا
أَنْزَلْتُهُ وَقَرَيْتُهُ

وقوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾.

أي فأقامه الحَصْرُ، ومعنى جِدَاراً يُرِيدُ، -والإرادة إنما تكون في الحيوانِ
المبين-، والجدار لا يُرِيدُ إرادة حقيقية، إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد
ظهرت كما تظهر أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ الصورتان
واحدة، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال الراعي يصف الإبل:

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس إِذَا أَرَدَنْ نُصُولاً^(٢)
وقال الآخر^(٣):

يُرِيد الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ
ويقرأ أَنْ يَنْقَضَ، وَأَنْ يَنْقَاضَ، فينقض يسقط بسرعة، وينقاض ينشَقُّ
طولاً. يقال انقَاضَتْ سِنُّهُ إِذَا انشَقَّتْ طُولاً
وقوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾.

وَيُرَوَّى لَتَّخَذْتُ، وذلك أنهما لما نزلا القرية لم يُضَيِّفْهُمَا أَهْلُهَا، ولا

وانظر اللسان (رحم) - والقرطبي ٣٧/١١.

(١) من لاميته المشهورة - يصف الإبل بأنها كانت تضطرب في صحراء واسعة فلا تكاد تثبت. (انظر
القصيدة في آخر ديوان جرير. ط الصادي والبيت في اللسان (ورد).

(٢) البيت في اللسان (رود). وفي مجاز أبي عبيدة ٤١٠/١، منسوباً للحارثي، ولم يبين من هو، وانظر
الطبري ١٧١/١٥، والقرطبي ٢٦/١١. وشواهد الكشف ١٠١. وروايته: (ويعدل عن دماء بني
عقيل).

أَنْزَلُوهُمَا فَقَالَ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لَأَخَذْتَ أَجْرَةَ إِقَامَتِكَ هَذَا الْحَائِطُ، وَيَقْرَأُ
لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، يُقَالُ تَخَذَ يَتَخَذُ فِي اتَّخَذَ يَتَّخِذُ، وَأَصْلُ تَخَذْتُ أَخَذْتُ
وَأَصْلُ اتَّخَذْتُ اتَّخَذْتُ

وقوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾.

قيل كان الكنز علماً وقيل كان الكنز مالاً، والمعروف في اللغة أن الكنز
إذا أُقْرِدَ فمعناه المال المدفون والمدخر فإذا لم يكن المال قيل: عنده كنز
علم وله كنز فهم، والكنز ههنا بالمال أشبه، لأن العلم لا يكاد يتعلم
إلا بمعلم، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه بغيره، وجائز أن يكون الكنز كان
مالاً مكتوباً^(١) فيه علم، لأنه قد روي أنه كان لوحاً من ذهب عليه مكتوب: «لا
إله إلا الله محمد رسول الله»، فهذا مال وعلم عظيم، هو توحيد الله عز وجل
وإعلام أن محمداً مبعوث.

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

﴿رَحْمَةً﴾ منصوب على وجهين، أحدهما قوله فَأَرَادَ رَبُّكَ وَأَرَدْنَا مَا ذَكَرْنَا
رحمة أي للرحمة، أي فعلنا ذلك رحمة كما تقول: أَنْقَذْتُكَ مِنَ الْهَلَكَةِ رحمة
بك. ويجوز أن يكون رَحْمَةً منصوباً على المصدر، لأن معنى فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ
يَلْغَا أَشْدَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَتَرَهُمَا رَحِمَهُمَا اللَّهُ بِذَلِكَ. وجميع ما ذكر من قوله:
فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْيِيَهَا، ومن قوله فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا، معناه رَحِمَهُمَا اللَّهُ
رحمة.

وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

يدل على أنه فعله بوحي الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ﴾.

(١) في الأصل «مكتوب».

كانت اليهود سألت عن قصة ذي القرنين على جنس الامتحان.
﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

يقال إنه سمي ذا القرنين لأنه كانت له صَفِيرَتَانِ، وَيُرَوَّى عن علي عليه السلام أنه قال سمي ذا القرنين لأنه ضَرَبَ على جانب رأسه الأيمن، وجانب رأسه الأيسر، أي ضرب على قرني رأسه، ويجوز أن يكون على مذهب أهل اللغة أن يكون سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بلغ قطري الدنيا - مشرق الشمس ومغربها وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾.

ويقرأ ﴿فَاتَّبَعَ﴾ أي آتيناها من كل شيء ما يُلْغُ بِهِ فِي التَّمَكُّنِ أَقْطَارَ الْأَرْضِ. ﴿سَبَبًا﴾ أي عِلْمًا يُوَصِّلُهُ إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ، كما سخر الله عز وجل لسليمان الرِّيحَ.

ومعنى ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾.

- والله أعلم - أي فاتبع سبباً من الأسباب التي أوتيت.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِئَةٍ﴾.

وَيُقْرَأُ ﴿حِمَّةٌ﴾ بالهمز فَمَنْ قرأ حِمَّةً أراد في عين ذاتِ حمأة، ويقال حماتُ البئر إذا أخرجت حماتُها، وأحماتُها - إذا ألقيت فيها الحمأة، وحمئت هي تحمأ فهي حمئة إذا صارت فيها الحمأة، ومن قرأ حَامِئَةً بغير همز أراد حارةً، وقد تكون حارةً ذات حمأة^(١)

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾.

أي عند العين.

وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

(١) الحمأة الطين الأسود المتين.

أَبَاحَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - هَذَيْنِ الْحَكَمَيْنِ كَمَا أَبَاحَ مُحَمَّدًا ﷺ الْحَكَمَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ الْإِعْرَاضَ عَنْهُمْ .

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ .

أي فسوف نعذِّبُهُ بالقتل وعَذَابُ اللَّهِ إِيَّاهُ بِالنَّارِ أَنْكَرُ مِنْ عَذَابِ الْقَتْلِ .

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ .

وَتُقَرَّرُ ﴿جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ، المعنى فله الحسنَى جزاءً ، وجزاء مصدر

مَوْضُوعٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . المعنى فله الحسنَى مَجْزِيًّا بِهَا جَزَاءً ، وَمِنْ قَرَأَ جَزَاءَ الْحُسْنَى ، أَضَافَ جَزَاءً إِلَى الْحُسْنَى ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا جَمِيعًا .

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾ .

أي نَقُولُ لَهُ قَوْلًا جَمِيلًا

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ .

أي سَبَبًا آخَرَ مِمَّا يُوَصِّلُهُ إِلَى قُطْرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ

دُونِهَا سِتْرًا﴾ .

أي لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ شَيْئًا يَظْلُمُهُمْ مِنْ سَقْفٍ وَلَا لِبَاسٍ .

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ^(١) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ كَذَٰلِكَ الْقَبِيلِ

الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَأَنْ حَكَمَهُمْ حَكَمَ أَوْلَٰئِكَ .

وقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ .

أي سَبَبًا ثَالِثًا مِمَّا يَبْلُغُهُ قُطْرًا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

(١) بجعل «كذلك» متصلة بما قبلها - بمعنى: أيضاً - ويقتضي هذا أن يكون القوم الذين رأهم عند مغرب الشمس لم يكن لهم ستر من دون الشمس أيضاً .

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَيْنِ﴾، ويقرأ ﴿بَيْنَ السَّدَيْنِ﴾. وقيل ما كان مسدوداً خلقته فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ.

وقوله: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

ويقرأ يَفْقَهُونَ، فمعناه لا يكادون يُفْهَمُونَ.

﴿قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

وتقرأ بالهمز في يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ويقرأ بغير همز، وهما اسمان أعجميان لا ينصرفان لأنهما معرفة.

وقال بعض أهل اللغة: من هَمَزَ كأنه يجعله من أَجَةِ الحرِّ، ومن قوله مِلْحٌ أَجَاجٌ. وَأَجَةُ الحرِّ شدته وتوقُّده. ومن هذا قولهم أَجَّجْتُ النَّارَ ويكون التقدير في يَأْجُوجَ يَفْعُولُ، وفي مَأْجُوجَ مفعول، وجائز أن يكون ترك الهمز على هذا المعنى، ويجوز أن يكون «مَأْجُوج» فاعول، وكذلك ياجوج، وهذا لو كان الاسمان عَرَبِيَّيْنِ لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية.

وقوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾.

وَتُقْرَأُ خَرَجًا. فمن قرأ خَرْجًا، فَالْخَرْجُ الْفَيْءُ، وَالْخَرَاஜُ الضَّرِبَةُ وقيل الْجَزْيَةُ، والخراج عند النحويين الاسم لما يُخْرَجُ من الفرائض في الأموال، وَالْخَرْجُ الْمَصْدَرُ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم سَدًّا﴾.

أَيُّ تَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

ويجوز.. ما مَكَّنِي بنونين، أي الذي مكنني فيه رَبِّي خَيْرٌ لي مما

يَجْعَلُونَ لِي مِنَ الْخَرَجِ. فمن قرأ «مَكَّنِي» أدغم النون في النون لاجتماع النونين، ومن قرأ مَكَّنِي بُنُونٍ أظهر النونين لأنهما مِنْ كِلِمَتَيْنِ. الأولى من فعل والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

وقوله: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾.

أي بعمل تعملونه معي لا بمال
﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

والرَّدْمُ في اللغة أكثرُ مِنَ السَّدِّ^(١)، لأنَّ الرَّدْمَ ما جُعِلَ بعضه على بعضٍ يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ، إذا كان قد رُقِعَ رُقعة فوق رُقعة.

وقوله: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾.

أي قطع الحديد، وواحد الزُّبُرِ زُبْرَةٌ، وهي القطعة العظيمة.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾.

وتقرأ الصَّدَفَيْنِ والصُّدْفَيْنِ، وهما ناحيتَا الجبلِ.

وقوله: ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾.

وهو أن أخذ قطعَ الحديدِ العِظَامِ وجعل بينها الحطب والفَحْمَ ووضع عليها المنافيخ^(٢) حتى إذا صارت كالنار، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾.

والحديد إذا أُحْمِيَ بالفحم والمنفاخ صارَ كالنارِ.

وقوله: ﴿قَالَ آتُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

المعنى أعطوني قِطْرًا وهو النحاس. فصب النحاس المَذَابَ^(٣) على

(١) أي أكبر في حجمه وأكثر في تراكبه.

(٢) جمع منفاخ آلة النفخ.

(٣) في الأصل: المذوب. وهو خطأ لأن ذاب لازم.

الحديد الذي قد صار كالزيت فاختلط وَلَصِقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى صَارَ جِبَلًا صَلْدًا مِنْ حَدِيدٍ وَنَحَاسٍ . وَيَقَالُ إِنَّهُ بِنَاحِيَةِ أَرْمِينِيَةِ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ [وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا]﴾ .

أي مَا قَدَرُوا أَنْ يَعْلَوْ عَلَيْهِ لَارْتِفَاعِهِ وَأَمْلِسَاسِيهِ وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْقُبُوهُ .
وقوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بغير تاء أصلها اسْتَطَاعُوا بِالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجْتِمَاعِهِمَا وَيَخْفُ اللَّفْظُ، وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: فَمَا اسْطَاعُوا بِغَيْرِ طَاءٍ، وَلَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهِمَا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: فَمَا اسْطَاعُوا بِقَطْعِ الْأَلْفِ، الْمَعْنَى فَمَا أَطَاعُوا، فزادوا السين. قال الخليل وسيبويه: زَادُوهُمَا عَوْضًا مِنْ ذَهَابِ حَرَكَةِ الْوَاوِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي أَطَاعَ أَطَوَعَ. فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ فَمَا اسْطَاعُوا - بِإِدْغَامِ السِّنِّ فِي الطَّاءِ - فَلَا حِسْنَ مَخْطِئًا. زعم ذلك النحويون، الخليل ويونس وسيبويه، وجميع من قال بقولهم. وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّ السِّنَّ سَاكِنَةٌ فَإِذَا أَدْغَمْتَ التَّاءَ صَارَتْ طَاءً سَاكِنَةً، وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ. وَمَنْ قَالَ: اطْرَحْ حَرَكَةَ التَّاءِ عَلَى السِّنِّ فَأَقُولُ: فَمَا اسْطَاعُوا فَخَطَأً أَيْضًا، لِأَنَّ سِنَّ اسْتَفْعَلَ لَمْ تُحْرَكْ قَطْ.

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ .

أي هَذَا التَّمَكِينُ الَّذِي أَدْرَكْتُ بِهِ السُّدَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّي .
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا. وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ .

وتقرأ ﴿دَكَّاءً﴾، عَلَى فَعْلَاءٍ - يَا هَذَا - وَالذَّكَّاءُ وَالذَّكَاءُ، كُلُّ مَا انْسَبَطَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مُرْتَفَعٍ. يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَوْ فِي وَقْتِ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ صَارَ هَذَا الْجَبَلُ دَكًّا. وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجَبَلَ يَصِيرُ دَكًّا قَوْلُهُ: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ .^(١)

(١) سورة الحاقة الآية ١٤ .

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ .

ومعنى يموجون في الشيء يخوضون فيه ويكثرون القول. فجائز أن يكون يعنى بـ «يومئذٍ» يوم القيامة، ويكون الدليل على ذلك ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ .

ويجوز أن يكون ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي يوم انقضاء أمر السِّدِّ - وقوله ﴿يَمُوجُ﴾ ، ماجوا متعجبين من السِّدِّ . ومعنى ... ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ . قال أهل اللغة: الصور جمع صورة^(١) . والذي جاء في التفسير أن الصور قرن يُنْفَخ فيه اسرائيل - والله أعلم - ، إلا إن حملته أنه عند ذلك النْفَخ يكون بعث العباد ونشرهم^(٢)

وقوله عز وجل: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ .

تأويل عرضنا أظهرنا لهم جهنم حتى شاهدها ورأوها .

وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ .

جعل الله عز وجل على أبصارهم غشاوة بكفرهم .

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ .

كانوا لعداوتهم للنبي ﷺ لا يقدر أن يسمعوا ما يتلى عليهم، كما

تقول للكاره لقولك ما تقدر أن تسمع كلامي .

وقوله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي

أَوْلِيَاءَ﴾ .

(١) قائل هذا هو أبو عبيدة في «مجازه» ولم يوافقه عليه العلماء، لعدم مناسبة ﴿ونفخ في الصور فصعق

من في السموات . . .﴾ الخ ويؤيد رأي المفسرين ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ .

(٢) أي يحمله على النفخة الثانية فقط .

تأويله: أفحسبوا أن ينفعهم اتخاذهم عِبَادِي أولياء، وقرئت - وهي جَيِّدَةٌ - أَفَحَسِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا. تأويله أفيكفيهم أن يتخذوا العبادَ أولياء من دون الله، ثم بين عز وجلّ جزاءهم فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾.

يقال لكل ما اتَّخَذَ لِيَمَكْتُ فِيهِ، أَعْتَدْتُ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا، أَي اتَّخَذْتُهُ عِتَادًا لَهُ، وَنُزُلًا، بِمَعْنَى مُنَزَّلًا.

وقوله عز وجلّ: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾.

منصوب على التمييز لأنه إذ قال ^(١): ﴿بِالْأَخْسَرِينَ﴾، دل على أنه كان منهم ^(٢) ما خسرّوه، فبين ذلك الخسران في أي نوع وَقَعَ فَأَعْلَمَ - جل وعزّ - أنه لا ينفع عملٌ عمل مع الكفر به شيئاً فقال:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ و﴿الَّذِينَ﴾ يصلح أن يكون جرّاً ورفعاً، فالجر نعت للأخسرين، والرفع على الاستئناف، والمعنى هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾.

وتقرأ يَحْسِبُونَ

﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

أي يظنون أنهم بصددهم عن النبي ﷺ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا.

وقوله - عز وجلّ : ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾.

اختلف الناس في تفسير الفردوس، فقال قوم: الفردوس الأودية التي

(١) في الأصل إذا.

(٢) في الأصل منها.

تثبت ضرورياً من النبت، وقالوا: الفردوس البستان وقالوا: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، والفِرْدَوْسُ أيضاً - بالسريانية، كذا لفظة فردوس. ولم نجد في أشعار العرب إلا في بيت لحسان بن ثابت^(١).

وإن ثواب الله كُلُّ موحدٍ جنانٌ من الفردوسِ فيها يخلدُ
وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين لأنه عند أهل كل لغة كذلك، ولهذا قال حسان بن ثابت: «جنانٌ من الفردوس»، وقولهم: إنه البستان يحقق هذا.

والجنة أيضاً في اللغة البُستان، إلا أن الجنة التي يَدْخُلُهَا المؤمنون فيها ما يكون في البساتين، ويدل عليه قوله: «وفيها ما تشتهيهِ الأنفس»^(٢).

وقوله: «خَالِدِينَ فِيهَا».

منصوب على الحال.

«لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا».

أي لا يُريدُونَ عنها تَحَوُّلاً، يقال: قد حال في مكانه حِوَلًا، كما قالوا في المصادر صَغُرَ صِغَرًا، وعَظُمَ عَظْمًا، وعادني حبها عِودًا. وقد قيل أيضاً: إنَّ الحِوَالَ الحِيلَةُ، فيكون على هذا المعنى، لا يحتالون منزلاً غيرها
وقوله عز وجل: «وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا».

(١) اللسان (فردس) - و «كل موحد» مفعول لثواب - والقصيدة في الديوان. وجاء في رثائه رسول الله ﷺ أيضاً:

بارب فاجعنا مغمأً ونبيناً في جنة تشي عيون امر
في جنة الفردوس فاكبها لنا ياذا الجلال وذا العلا والسرمد
وهي في سيرة ابن هشام ج ٤/ ٣٥٠.

(٢) في الأصل ما تشتهي وهو ليس من الآية. والآية من سورة الزخرف: ٧١.

﴿مَدَدًا﴾ منصوب على التمسّر، تقول: لي ملء هذا عَسَلًا، ومثلُ هذا ذهبًا، أي مثله من الذهب.

وقد فسرنا نصب التمييز فيما سلف من الكتاب.
وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.

فيها قولان: قال بعضهم معناه فمن كان يخاف لقاء ربّه، ومثله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(١)، قالوا: معناه ما لكم لا تخافون لله عظمةً. وقد قيل أيضاً فمن كان يرجو صلاح المنقلب عند ربّه، فإذا رجّاهُ خاف أيضاً عذاب ربّه.
﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾.

وتجوز «فَلْيَعْمَلْ» بكسر اللام، وهو الأصل، ولكنه يُثقلُ في اللفظ، ولا يكاد يقرأ به، ولو ابتدئ بغير الفاء لكانت اللام مكسورة^(٢). تقول: لِيَعْمَلْ زيدٌ بخيرٍ، فلما خالطتها الفاء، وكان بعد اللام الياء ثقلت الكسرة مع الياء، وهي وحدها ثقيلة، ألا تراهم يقولون في فَعِذْ فَعِذْ.

(١) سورة نوح الآية ١٣.

(٢) لوجاءت اللام أول الكلمة.

سُورَةُ مَرْيَمَ مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿كهيعص﴾.

فيها في القراءة ثلاثة أوجه: فتح الهاء والياء، وكسرهما^(١). وقرأ الحسن بضم الهاء كهيعص، وهي أقل اللغات. فأما الفتح فهو الأصل. تقول: ها. با. تا... في حروف الهجاء، ومن العرب من يقول ها يا. بالكسر^(٢). ومنهم من ينحو نحو الضم فيقول ها. يا، يُشَمُّ الضم. وحكى الخليل وسيبويه أن من العرب من يقول في الصلاة الصلوة، فينحو نحو الضم^(٣)، فأما من روى ضم الهاء مع الياء فشاذاً، لأن إجماع الرواة عن الحسن ضم الهاء وحدها، وفي الرواية ضم الياء قليل عنه.

واختلف في تفسير ﴿كهيعص﴾ فقال أكثر أهل اللغة إنها حروف التهجّي تدل على الابتداء بالسورة نحو ألم، والر. وقيل إن تأويلها أنها حروف يدل كل واحد منها على صفة من صفات الله - عز وجل - فكاف يدل على كريم، و «ها» يدل على هادٍ، و «يا» من حكيم، و «عين» يدل على عالم، و «صاذ» يدل على صادق. وهذا أحسن ما جاء في هذه الحروف، وقد استقصينا ذلك في أول سورة البقرة.

(١) الإمالة.

(٢) أي يشم أيضاً.

والعين قالوا يدل على عليم. وروي أن ﴿كهيعص﴾ اسم من أسماء الله تعالى. وروي أن عَلِيًّا - (عليه السلام) أقسم بكهيعص، أو قال: «يا كهيعص». والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا عَلِمَ أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله - جلّ وعزّ - فدعا بها. فكأنه قال: يا كافي يا هادي يا عالم يا صادق، فكأنه دعا بكهيعص لذكرها في القرآن وهو يدل على هذه الصفات، فإذا أقسم فقال: وكهيعص، فكأنه قال والكافي والهادي والعالم والحكيم والصادق.

وأُسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهج^(١) النِّية فيها الوقفُ.
﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضمر، المعنى هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده بالرحمة، لأن ذكر الرحمن إياه لا يكون إلا بالله - عزّ وجلّ -، والمعنى ذكر ربك عبده بالرحمة. وزكريا يقرأ على وجهين، بالقصر والمدّ، فأعلم الله - جلّ وعزّ - على لسان نبيه عليه السلام وصيّة زكريا ويحيى لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أن محمداً - عليه السلام - قد أوحى إليه، وأنزل عليه ذكر من مضى من الأنبياء وأنهم يجدون ذلك في كُتُبِهِمْ على ما ذكر ﷺ و [هو] لم يتل كتاباً ولا خطّه يمينه، وأنه لم يَعْلَمَ ذلك إلا من قبل الله تعالى وكان إخبّارُهُ بهذا وما أشبهه على هذه الصفة دليلاً على نبوته ﷺ.

وقال بعض أهل اللغة إن قوله ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ يرتفع بـ ﴿كهيعص﴾ وهذا محال لأن ﴿كهيعص﴾ ليس هو فيما أنبأنا الله - عزّ وجلّ - به عن زكريا، وقد بَيَّنَّ في السورة ما فعله به وبشّره به. ولم يجئ في شيء من التفسير أن ﴿كهيعص﴾ هو قصة زكريا ولا يحيى ولا شيء منه، وقد أجمع

(١) في الأصل تهجى.

القائل لهذا القول وغيره أن رَفَعَهُ بالإِضمار هو الوجه .

﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِذَاءً خَفِيًّا﴾ .

دعا الله - عز وجل - سِرًّا ، وبين ما (الذي) سأل الله عز وجل ، فقال :

﴿قَالَ رَبُّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ .

ومعنى ﴿وهن﴾ ضعف .

﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ .

قيل إن كان قد أتت له في ذلك الوقتِ خمسُ وستون سنةً ، وقيل ستونُ

سنةً وقيل خمس وسبعون سنة ، و «شَيْبًا» منصوب على التمييز المعنى اشتعل الرأس من الشيب ، يقال للشيب إذا كثر جدًا : قد اشتعل رأس فلان .

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبَّ شَقِيًّا﴾ .

أي كنتُ مستجاب الدعوة . ويجوز أن يكون أراد لم أكن بدعائك ربَّ

شقيًّا أي من دعاك مخلصاً فقد وَحَّدَكَ وعبدك ، فلم أكن بعبادتك شقيًّا .

وقوله : عز وجل : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ .

- بإسكان الياء من ورائي - معناه من بعدي ، والموالي واحدهم مولى ،

وهم بنو العم وعصبة الرجل ، ومعناه الذين يُلَوْنَه في النَّسَبِ كما أن معنى القرابة الذين يقربون منه في النسب .

وقوله : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ .

أي قد بلغت هذه السنَّ وأمرأتي عاقر ، والعاقر من النساء التي بها علة

تمنع الولدَ ، فكذلك العاقرُ من الرجال ، فليس يكون لي ولد إلا «أباً»^(١) فهبه لي ، فإنك على كل شيء قدير .

(١) أي لي أب ولا ولد لي فانقطع جبل النسل لذِّي .

وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ .

ويقرأ بالجزم يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ على جواب الأمر ومن قرأ يَرِثُنِي ويرِثُ فعلى صفة الولي ، وقيل يَرِثُنِي مالي ويرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ النبوة ، وقال قوم لا يجوز أن يقول زكريا: انه يخاف أن يورث المال لأن أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله الله لهم ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: إنا معاشر الأنبياء لَأُورِثَ ما تركناه فهو صدقة . فقالوا معناه يَرِثُنِي ويرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ النبوة .

وقوله: ﴿وَجَعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ .

وقوله أيضاً «ولياً» يدل على أنه سأل ولداً ديناً ، لأن غَيْرَ الدِّينِ لا يكون ولياً للنبي عليه السلام .

وقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ .

وَنُبَشِّرُكَ

﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ .

أي لم يسم أحد قبله يحيى ، كذا قال ابن عباس ، وقيل سمي يحيى لأنه حَيَّ بالعلم وبالحكمة التي أوتيتها ، وقيل لم نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ، أي نظيراً ومثلاً . كل ذلك قد جاء في التفسير .

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ائْنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ .

وتقرأ عِتِيًّا^(١) ، وقد رُوِيَ عُسِيًّا - بالسين - ولكن لا يجوز في القراءة [لأنه] بخلاف المصحف^(٢) ، وكل شيء انتهى فقد عتا يعتو عِتِيًّا وعُتُوا وعُسُوا ، وعُسِيًّا .

(١) قرأ بالضم قراء كثيرون منهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة .

(٢) يريد لا تجوز القراءة بخلاف ما في المصحف . وزدنا [لأنه] للتوضيح .

فأحب أن يعلم من أي جهة يكون له ولد، ومثل امرأته لا تلد ومثله لا يُولد له .

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ .

معناه - والله أعلم . الأمر كما قيل لك .

وقوله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ .

معناه ولم تك شيئاً موجوداً، أي أوجدتك بعد أن لم تكن . أي فخلق الولد لك كخلق آدم عليه السلام، وخلقك من نُطفة وعَلَقَةٍ ومُضْغَةٍ ولَحْمٍ وعَظْمٍ .

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ .

أي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به .

﴿قَالَ آيَتُكَ الْأَ تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ .

أي تمنع الكلام وأنت سَوِيٌّ، فتعلم بذلك أن الله - جلّ وعلا - قد وهب لك الولد . و«سَوِيٌّ» منصوب على الحال .

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ، أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ .

قيل معنى أوْحَى إليهم أوْماً إليهم ورَمَزَ، وقيل كتب لهم في الأرض بيده . وبكرةً وعشيًّا - منصوبان على الوقت .

وقوله : ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ .

المعنى : فَوَهَبْنَا لَهُ يحيى وقلنا له ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ ، أي بجِدٍّ وعونٍ من الله - جلّ وعز - .

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾ ^(١) .

(١) الحكم يعني الحكمة .

أي وآتيانه حَنَانًا، والحنان العطف والرحمة. قال الشاعر^(١):

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَهْنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ
أَيِ أَمْرِنَا حَنَانٌ، أَوْ عَطْفٍ وَرَحْمَةٍ:
وَقَالَ أَيْضًا^(٢):

أَبَا مَنْذَرٍ أَسْرَفْتُ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
الْمَعْنَى وَآتِيَانِهِ حَنَانًا مِنْ لَدُنَا وَزَكَاةً، وَالزَّكَاةُ التَّهْطُهِيرُ.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾.

أي وجعلناه برًّا بوالديه.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.

﴿انْتَبَذَتْ﴾ تَنَحَّتْ. وَيُقَالُ نَبَذْتُ الشَّيْءَ إِذَا رَمَيْتُ بِهِ. ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾
أي نحو المشرق.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾.

قِيلَ إِنَّهَا قَصَدَتْ نَحْوَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ، لِأَنَّهَا أَرَادَتْ الْغُسْلَ مِنَ الْحَيْضِ.
﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾.

يَعْنَى بِهِ جِبْرِيلُ عليه السلام. وَقِيلَ الرُّوحُ عَيْسَى، لِأَنَّهُ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -
قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٣).

(١) للمنذر بن درهم الكلبي: وهو في شواهد الكشف ص ٧٩ ومن شواهد النحو الشائعة على حذف
الابتداء، وانظر الخزنة ٢٧٧/١، وهو الشاهد السادس والتسعون وابن يعيش ١١٨/١، وكتاب
سيبويه ٣٢٠/١.

(٢) تقدم أنه لطرفة.

(٣) سورة النساء الآية ١٧١.

وقيل إن الروح دخل من في مريم .

ويدل على أن جبريل عليه السلام هو الروح قوله : ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ .
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا .

أكثر القراءة ﴿لَأَهَبَ﴾ ، وَرُوِيَ لِیَهَبَ لَكِ ، وكذلك قرأ أبو عمرو : لِیَهَبَ
لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا .

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ .

تأويله إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَقِيًّا فَسَتَعْظُمُ بِنَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْكَ .
أما من قرأ لِیَهَبَ بِالْيَاءِ فَالْمَعْنَى أَرْسَلَنِي لِیَهَبَ ، وَمَنْ قَرَأَ لِأَهَبَ فَهُوَ عَلَى
الْحِكَايَةِ وَحَمَلَ الْحِكَايَةَ عَلَى الْمَعْنَى ، عَلَى تَأْوِيلِ قَالَ أَرْسَلْتَ إِلَيْكَ لِأَهَبَ
لَكَ .

وقوله : ﴿قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ .

أَي لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ عَلَى جِهَةِ تَزْوِيجٍ ، وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ، أَي وَلَا قُرْبَتْ عَلَى
غَيْرِ حَدِّ التَّزْوِيجِ .

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ .

أَي الْأَمْرَ عَلَى مَا وَصَفْتَ لَكَ .

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا
مَقْضِيًّا﴾ .

أَي وَكَانَ أَمْرًا سَابِقًا فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقَعَ .

وقوله : ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ .

﴿انْتَبَذَتْ بِهِ﴾ تَبَاعَدَتْ بِهِ . وَقَصِيًّا وَقَاصِيًّا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ ، مَعْنَاهُ الْبُعْدُ .

وقوله: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

معناه أَلْجَأَهَا، وهو من جئت وأجاءني غيري، وفي معناه أَشَاءَنِي غيري، وفي أمثال العرب: شَرُّ أَجْءِكَ إِلَى مُخَّةِ عَرْقُوبٍ^(١) وبعضهم يقول: أَشَاءَكَ. قال زُهَيْرٌ:

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إِلَيْنَا أَجْءَاتِهِ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ^(٢)

واختلف في حمل عيسى عليه السلام، فقيل إنها حَمَلَتْ بِهِ وولدتَه في وقتها، وقيل إنه ولد في ثمانية أشهر، وتلك آية له لأنه لا يُعْرَفُ أَنَّهُ يَعِيشُ مَوْلُودٌ وَلَدَ لثمانية أَشْهُرٍ غَيْرُهُ. وقوله عز وجل: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ - يدل على مكث الحمل والله أعلم.

وقوله جل وعز: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾.

معناه إِنِّي لَوُخِيزْتُ قَبْلَ هَذِهِ الْحَالِ بَيْنَ الْمَوْتِ أَوْ الدَّفْعِ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ لا اخترت الموت، وقد علمت - رضوان الله عليها - أنها لم يكن ينفعها أَوْ تَتَمَنَّى الموت قبل تلك الحال.

وقوله: ﴿وَكُنْتُ نَسِياً مَّنْسِياً﴾.

ويقرأ «نَسِياً» - بفتح النون - وقيل معنى «نَسِياً» حَيْضَةً مُلْقَاةً وقيل نَسِياً بِالْكَسْرِ في معنى مَنَسِيَةً لَا أُعْرَفُ^(٣) والنَّسِيُّ في كلام العرب الشيء المطروح لا يؤبه له، قال الشنفرى^(٤): .

(١) في مجمع الأمثال: شر ما يجيئك إلى مخّة عرقوب - وذلك أن العرقوب لا مخ له، وإنما يلجأ إليه من لا يقدر على شيء، وبنو تميم يجعلون الجيم شيئاً ويقولون يشيئك - بمعنى يجيئك ويلجئك.

(٢) اللسان (جياً) - والديوان ٢٧٧، والقرطبي ٩٢/١١.

(٣) فَعَلَ بمعنى مفعول كثير في اللغة العربية - مثل فرية وكذب، وهي قاعدة نحوية معروفة.

(٤) البيت في اللسان (نسا - بلت) وبلت - مكسور عين الماضي - كعلم - سكن والبلت بالتحريك الانقطاع - والمعنى أنها تنقطع عن الكلام حياء وبما يعترها من الجهر - وانظر المفصلية ٢٠.

كان لها في الأرض نسيّاً تَقْصُهُ على أمّها وإن تُكَلِّمَكَ تَبَلَّتِ
وقوله: ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾.

وتقرأ ﴿مِنْ تَحْتَهَا﴾، وهي أكثر بالكسر في القراءة، وَمَنْ قَرَأَ مَنْ تَحْتَهَا عَنْ
عيسى عليه السلام. ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين الله لها الآية
في عيسى، وأنه أعلمها أَنَّ الله - عز وجل - سيجعل لها في النخلة آية. ومن
قرأ «مِنْ» تَحْتَهَا - عَنْهُ بِهِ الْمَلَكُ.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

رَوِيَ عن الحسن أنه قال يعني عيسى، وقال: كان والله سَرِيًّا من
الرجال، فعرف الحسن أن من العرب من يسمي النهر سرياً فرجع إلى هذا
القول. ولا اختلاف بين أهل اللغة أَنَّ السَّرِيَّ النهر بمنزلة الجدول، قال لبيد:

فتوسّطاً عُرَضَ السَّرِيَّ فغادراً مسجورةً متجاوزاً قُلامها^(١)

وقال ابن عباس: السري النهر وأنشد^(٢).

سَلَّمْ تَرى الدالي منه أَرْوَرَا

إذا يعج في السَّرِيَّ هَرَهَرَا

وقوله عز وجل: ﴿وَهَزِيْ اِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَنِئًا﴾.

يروى أنه كان جذعاً من نخلة لا رأسَ عليه، فجعل الله - جل وعز - له
رأساً وأنبت فيه رُطْباً، وكان ذلك في الشتاء. فأما نصب رُطْباً فقال محمد بن
يزيد هو^(٣) مفعول به، المعنى وَهَزِيْ اِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ رُطْباً تُسَاقِطُ عَلَيْكَ.

(١) البيت الرابع والثلاثون من معلقته - يصف عيراً وأنانا، وعرض السرى جانب النهر - ومسجورة
مليئة بالماء - أي أن العير وأنانه توسطتا جانب النهر وشقا عينا ممتلئة بالماء يكثر حولها شجر القلام.

(٢) البيتان في اللسان «هرر» بدلان نسبة - وهرر أي سَمِعَ له صوتٌ وهو يشرب.

(٣) في الأصل هو فقال محمد بن يزيد هو:

ويجوز تَسَاقُطُ عَلَيْكَ، ويجوز يُسَاقُطُ عَلَيْكَ، ويجوز تُسَاقُطُ عَلَيْكَ. بالنون ويجوز يُسَاقُطُ بِالْيَاءِ، ويجوز يتساقط عليك. ويجوز تُسَاقُطُ عَلَيْكَ، وَتُسَاقُطُ. وَتُسَاقُطُ بِالرَّفْعِ. وَيُرْوَى عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ^(١).

فمن أَسَاقُطُ عَلَيْكَ فالمعنى يَتَسَاقُطُ فَأَدْغَمْتَ التَّاءَ فِي السَّيْنِ وَمَنْ قَرَأَ تَسَاقُطُ، فالمعنى تَتَسَاقُطُ أَيْضاً. فَأَدْغَمْتَ الْيَاءَ فِي السَّيْنِ وَأَنْتَ لَأَنْ لَفْظَ النَّخْلَةِ مُؤَنَّثٌ. وَمَنْ قَرَأَ تَسَاقُطُ بِالتَّاءِ وَالتَّخْفِيفِ فَإِنَّهُ حَذَفَ التَّاءَ مِنْ تَسَاقُطَ لِاجْتِمَاعِ التَّائِينَ، وَمَنْ قَرَأَ يُسَاقُطُ - إِلَى مَعْنَى يُسَاقُطُ الْجَذْعُ عَلَيْكَ. وَمَنْ قَرَأَ تُسَاقُطُ بِالنُّونِ فَالْمَعْنَى أَنَا نَحْنُ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ فَنَجْعَلُ لَكَ بِذَلِكَ آيَةً.

وَالنَّحْوِيُّونَ يَقُولُونَ إِنْ رُطْباً مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، إِذَا قُلْتَ يُسَاقُطُ أَوْ يَتَسَاقُطُ فَالْمَعْنَى يَتَسَاقُطُ الْجَذْعُ رُطْباً، وَمَنْ قَرَأَ تَسَاقُطُ فَالْمَعْنَى تَتَسَاقُطُ النَّخْلَةُ رُطْباً.

وقوله: ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾.

أَي فَكُلِّي مِنَ الرُّطْبِ، وَاشْرَبِي مِنَ السَّرِيِّ، وَقَرِّي عَيْنًا بَعِيسِي. يُقَالُ: قَرَرْتُ بِهِ عَيْنًا أَقَرُّ بَفَتْحِ الْقَافِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَقَرَرْتُ فِي الْمَكَانِ أَقَرُّ - بِكسْرِ الْقَافِ - فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَعَيْنًا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ.

﴿فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾.

بَغَيْرِ أَلْفٍ [فِي تَرَيْنَ] وَيَجُوزُ «تَرَأَيْنَ» بِأَلْفٍ وَلَمْ يَقْرَأْ بِالْأَلْفِ أَحَدٌ وَهِيَ جَيِّدَةٌ بِالْغَاةِ لَكِنَّا لَا يَجُوزُ فِي الْقِرَاءَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٢)، وَيَجُوزُ وَأَرَأَيْ بِالْأَلْفِ، وَلَا تَقْرَأُ بِهَا، لَفْظُهَا أَرَأَى، لِأَنَّ

(١) البراء بن عازب أنصاري أوسي روى عن رسول الله (ص) جملة أحاديث. شهد خمس عشرة غزوة، ولم يشهد بديراً لأنه كان صغيراً رده رسول الله ﷺ لصغره. وشهد موقعة الجمل وصفين ومات في نحو سنة ٧٢.

(٢) سورة طه الآية ٤٦.

القراءة سنة لا تخالف. والأجودُ أَرَى، وكذلك تَرَيَنَّ الأجود بغير همز، والتاء علامة التانيث، والأصل تَرَأَيْنَ، والياء حركت لالتقاء الساكنين. النون الأولى من النون الشديدة. والياء. وكذلك تقول للمرأة اخشَيْنَ زيداً.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾.

معنى ﴿صَوْماً﴾ صمتاً. يقال نَذَرْتُ النَّذْرَ أَنْذَرُهُ وَأَنْذَرُهُ، وَنَذَرْتُ بِالْقَوْمِ أَنْذَرُ إذا علمت بهم فاستعددت لهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً﴾.

أي شيئاً عظيماً، يقال فلان يَفْرِى الفَرِيَّ إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه. وقوله عز وجل: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُكِ بَغِيّاً﴾.

اختلف في تفسير: «أُخْتَ هَارُونَ» في هذا الموضع.

رَوَيْنَا في التفسير أن أَهْلَ الكتاب قالوا: كيف تقولون أنتم: مَرِيَمُ أُخْتُ هَارُونَ وبينهما ستمائة سنة، ف قيل ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إنهم كانوا يُسَمُّونَ بأَسْمَاءِ الأنبياء والصالحين، أي فكان أخو مَرِيَمَ يسمّى هَارُونَ^(١). وقيل إنهم عَنُوا بأخت هَارُونَ في الصلاح والدين^(٢)، ويروى أن هَارُونَ هذا الدِّينَ كان رجلاً من قومها صالحاً، وأنه حضر جنازته أربعون ألفاً يسمي كل واحد منهم هَارُونَ.

والذي في هذا عن النبي ﷺ بَيِّنٌ.

(١) يقتضي هذا أنه كان لمريم أخ سموه هارون - وهذا غير معروف. في الأناجيل.

(٢) هَارُونَ عليه السلام هو الزعيم الديني عند اليهود، وأخته هنا بمعنى شبيهته في تقواه وورعه - فليست أخوة نسب، وإنما هو تعبير مجازي.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾.

أي لما خاطبوها أشارت إليه، بأن جَعَلُوا الكلامَ مَعَهُ، ودَلَّ على أنها أشارت إليه في الكلام قولهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

وفي هذا ثلاثة أوجه. قال: أبو عبيدة إن معنى «كان» اللغو، المعنى كيف نكلم من في المهد صبيًّا^(١)، لأن كل رجل قد كان في المهد صبيًّا، ولكن المعنى كيف نكلم من في المهد صبيًّا لا يفهم مثله، ولا ينطق لسانه بالكلم. وقال قوم إن «كان» في معنى وقع وحدث. المعنى على قول هؤلاء: كيف نكلم صبيًّا قد خلق في المهد^(٢).

وأجود الأقوال أن يكون «من» في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى: من يكن في المهد صبيًّا - ويكون «صبيًّا» حالًا - فكيف نكلمه. كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه^(٣). وروى أبو عيسى عليه السلام لما أومأت إليه اتكأ على يساره وأشار بسبائته فقال:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ﴾.
أي معلمًا للخير.

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

ومعنى الزكاة ههنا الطهارة، ما دُمْتُ حيًّا - دُمْتُ، ودُمْتُ جميعاً.
﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾.

(١) الذي في مجازه أنها بمعنى حدث لساعته - قال: «كيف نكلم من حدث في المهد صبيًّا» - أي من ولد لساعته - وذكر أنه «كان» تأتي للأزمنة المختلطة وتأتي زائدة - ولكنه لم يخرج الآية على أن كان فيها زائدة - ونصب «صبيًّا» في كلامه على الحال، والظرف خبر.

(٢) هذا قررة أبو عبيدة - أي هو موضوع في المهد.

(٣) هذا وجه متكلف جداً ومستبعدٌ ومقتضاه تنتهي الجملة عند كيف نكلم، لأن الشرط له الصدارة - ولو أنه جعلها استفهامية لكان أقرب -

﴿بَرًّا﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿مَبَارَكًا﴾، المعنى وجعلني مباركاً وَبَرًّا بِوَالِدَتِي .
﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمٌ وُلِدْتُ وَيَوْمٌ أَمُوتُ﴾.

﴿السلام عليّ﴾ فيه أوجه، فالسلام مصدر سَلَّمْتُ سلاماً، وَمَعْنَاهُ عموم العافية والسلامة، والسلام جمع سلامة، والسلام اسم من أسماء الله جل وعزّ، وسلام مما ابْتَدَى به في النكرة، لأنه اسم يكثر استعماله. تقول سلام عليك والسلام عليك. وأسماء الأجناس يبتدأ بها، لأن فائدة نِكْرَتِهَا قريب من فائدة معرفتها. تقول: لَبَيْكَ وَخَيْرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، وإن شئت قلت: والخير بين يديك، وتقول: السلام عليك أيها النبي، وسلام عليك أيها النبي، إلا أنه لَمَّا جَرَى ذكر «سلام» قبل هذا الموضع بغير ألف ولام كان الأحسن أن يُرَدَّ ثانية بالألف واللام، تقول: سلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، هذا قَسَمٌ حسن، وإن شئت قلت سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ﴾.

أي ذلك الذي قال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ هو عيسى بن مريم لا ما يقول النصارى من أنه ابن الله وأنه إله - جل الله وعز.

وقوله - عز وجل: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾.

[بالرفع] ويجوز قول الحق بالنصب، فمن رفع فالمعنى هو قول الحق ومن نصب فالمعنى أقول قول الحق الذي فيه يمترون أي يشكون.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾.

﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ في موضع نصب، والمعنى أن يتخذ وَلَدًا، و«مِنْ» مؤكدة. تدل على الواحد والجماعة لَأَنَّ لِلْقَائِلِ أَنْ يَقُولَ: مَا اتَّخَذْتُ فَرَسًا يَرِيدُ

اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول ما اتخذتُ فرسين ولا أكثر يريد اتخذت فرساً واحداً، فإذا قال ما اتخذت من فرسٍ فقد دل على نفى الواحد والجميع .

﴿سُبْحَانَهُ﴾ .

معناه تنزيهاً له من السوء .

وقوله: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

بمعنى به يوم القيامة .

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ .

المعنى مَا أَسْمَعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ يوم القيامة لأنَّهم شَاهَدُوا من البعث وأمر الله عز وجل ما يسمع ويبصر بغير أعمالٍ فِكْرٍ وَتَرْوِيَةٍ . وما يُدْعَوْنَ إليه من طاعة الله - جل جلاله - في الدنيا يحتاجون فيه إلى فكر ونظر فضلوا عن ذلك في الدنيا وآثروا اللهو على الهوى، فقال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ .

﴿يوم الحسرة﴾ يوم القيامة، روي في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة واستقرَّ أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار أُتِيَ بالموت في صورة كَبْشٍ أَمْلَحٍ ^(١) فيعرض على أهل النار فيشرئبون ^(٢) إليه . فيقال: أتعرفون هذا، فيقولون: نعم، فيقال:

(١) كبش أَمْلَح بين المَلْحَةِ والمَلَح .

والكبش الأملح هو الأبلق بسوادٍ وَبَيَاضٍ - والمَلْحَةُ مِنَ الْبَشَرَةِ بياض تشوبه شعرات سود . وَضَحَى رسول الله ﷺ بكبشين أَمْلَحِينَ .

(٢) يتطلعون إليه مَأْذِينَ أعناقهم للأعلى .

هذا الموت فيذبح وينادي : بأهل النار، خُلُودٌ لاموت بعده، وكذلك ينادي بأهل الجنة خُلُودٌ لا مَوتَ بعده .

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ .

أي هم في الدنيا في غفلة .

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ .

أي اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك وهو القرآن قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَخَبْرَهُ .
الصِّدِّيقُ اسمٌ للمبالغة في الصِّدْقِ . ويقال لكل مَنْ صَدَّقَ بتوحيد الله وأنبيائه وعمل بما يصدقُّ به صِدِّيقٌ ، ومن ذلك سمي أبو بكر الصِّدِّيقُ .

وقوله : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾ .

الوقف عليه يا أبه بالهاء ، والعرب تقول في النداء يا أبة ، ويا أمة ولا تقول قال أبتى كذا ولا قالت أمتي كذا^(١) ، وزعم الخليل وسيبويه أنه بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالة ، وأن أبة للمذكر والمؤنث ، كأنك تقول للمذكر أبة وللمؤنث . والدليل على أنَّ لِلْأُمِّ حَظًّا في الأبوة أنه يقال أبوان ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾^(٢) . وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل رُبعة^(٣) ، وغلَام يَفْعَة^(٤) . وأن الهاء [في أبة] عوض من ياء الإضافة من يا أبي ومن يَا أُمِّي ولم يقل يا أبتى ولا يا أمتي ، ولذلك لم تقع الهاء في غير النداء ، لأن حذف الياء يقع في النداء كثيراً ، تقول : بَا أَبٍ لا تفعل ، ولا تقل قال أَبٍ كذا وكذا تريد قال أبي .

والمؤنث قد يوصف بالمذكر كقولهم امرأة طالق وطاهر ، ويقال ثلاثَةٌ

(١) يقال ذلك في النداء فقط .

(٢) سورة النساء الآية ١١ .

(٣) رجل ربعة متوسط القامة ليس بالطويل ولا بالقصير .

(٤) ناشيء شارف الرجولة .

أَنْفُسٍ^(١)، وَالنَّفْسُ أُتِيَتْ سُمِّيَ بِهَا الْمَذْكُورُ وَهَذَا تَفْسِيرٌ مُسْتَقْصَى وَقَرِيبٌ.

﴿يَا أَبْتَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾.

فَمِنْ فَتْحِ^(٢) حَذَفَ الْأَلْفَ الَّتِي أُبْدِلَتْ مِنْ يَاءٍ الْإِضَافَةِ أَرَادَ يَا أَبْتَ فَلَا أَلْفُ
بَدَلٌ مِنْ يَاءٍ الْإِضَافَةِ إِلَّا أَنَّ الْوَاجِبَ حَذْفُهَا، إِذْ كَانَتْ بَدَلًا مِنْ يَاءٍ تَحْذَفُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾.

يَعْنِي الصَّنَمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

يَدُلُّ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَتَاهُ الْوَحْيُ.

وَمَعْنَى: ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.

أَيَّ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَا أَبْتَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾.

مَعْنَى عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - طَاعَتِهِ فِيمَا يَسُوءُ مِنَ الْكُفْرِ
وَالْمَعَاصِي.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

مَعْنَاهُ لَأَشْتَمَنَّكَ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَرْمِي فَلَانًا وَيَرْجُمُ فَلَانًا مَعْنَاهُ يَشْتَمُهُ،
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾^(٣) مَعْنَاهُ يَشْتَمُوهُنَّ، وَجَائِزٌ

أَنْ يَكُونَ لَأَرْجُمَنَّكَ لَأَقْتُلَنَّكَ رَجْمًا، وَالَّذِي عَلَيْهِ التَّفْسِيرُ أَنَّ الرَّجْمَ هَهُنَا الشَّتْمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

(١) أَيِ تَوَثُّتِ الْعِدَدِ دَلِيلًا عَلَى تَذْكِيرِ الْمَعْدُودِ.

(٢) مِنْ قَرَأَ «يَا أَبْتَ» بَفَتْحِ التَّاءِ.

(٣) سُورَةُ النُّورِ آيَةُ ٤.

معناه لطيفاً، يقال: قد تحقّى فلانٌ بفلانٍ، وحفّي فلانٌ بفلانٍ حفوه إذا برّهُ وألطفهُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

أي أبقينا لهم ثناء حسناً، وكذلك قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾.

ومخلصاً يقرآن جميعاً. والمخلص - بفتح اللام الذي أخلصه الله جلّ وعزّ، أي جعله مختاراً خالصاً من الدُّنس. والمخلص - بكسر اللام - الذي وحّد الله - عزّ وجلّ -! وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنيّة.

وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

معناه مناجياً. وجاء في التفسير أن الله عزّ وجلّ قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة، ويجوز - والله أعلم - [أن يكون] مثل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢) أي قربه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله - عزّ وجلّ - وهي كلامُ الله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

هارون لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم اعجمي وهو معرفة.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ يُأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾.

أهله جميعُ أمته، مَنْ كانت بينه وبينه قرابة أو [من] لم تكن، وكذلك أهل كُلِّ نبيٍّ أمته.

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤.

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤.

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

أصله مَرْضُوءٌ، وهو جائز في اللغة^(١) غير جائز في القرآن لأنه مخالف للمصحف، والخليل وسيبويه وجميع البصريين يقولون: فلان مَرْضُوءٌ ومَرْضِيٌّ وأَرْضٌ مَسْنُوءَةٌ ومسْنِيَةٌ إذا سقيت بالسواني^(٢) أو بالمطر، والأصل الواو إلا أنها قلبت عند الخليل لأنها طرف قبلها واو ساكنة ليس بحاجز حصين، وكأنها مَفْعَلٌ [بضم العين] ومَفْعَلٌ من أدوات الواو يقلب إلى مَفْعِلٍ، لأن الواو لا تكون طرفاً وقبلها متحرك في الاسماء، وأما غير سيبويه والبصريين فلهم فيه قولان:

قال بعضهم: لما كان الفعل منه رَضِيْتُ فانتقل من الواو إلى الياء، صار مَرْضِيًّا. وقيل إن بعض العرب يقول في تثنية رَضِيَ رَضِيَانٌ ورَضَوَانٌ، فمن قال رَضِيَانٍ لم يكن من قوله الا مَرْضِيٌّ، ومن قال رَضَوَانٍ في التثنية جاز أن يقول فلان مَرْضُوءٌ ومَرْضِيٌّ.

وقوله سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

جاء في التفسير أيضاً أنه رفع إلى السماء الرابعة، وجاء في التفسير أيضاً أنه سأل ملك الموت حتى سأل الله - جَلَّ وَعَزَّ - أَنْ رَفَعَهُ فَأَدْخَلَ النَّارَ ثُمَّ أخرج فأدخل الجنة ف قيل له في الخروج فقال: قد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(٣) وقال في أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٤) فأقره الله عَزَّ وَجَلَّ في الجنة.

وهذا الحِجَاج إنما هو في القرآن - والله أعلم.

(١) الذين أجازوه أجروه مجرى مَدْعُوٍّ ومَرْجُوٍّ إبقاء للواو على أصلها. والتصريف المؤلف مَرْضِيٌّ.

(٢) جمع سانية نوع من السواقي لا يزال باقياً في بعض القرى.

(٣) سورة مريم الآية ٧١.

(٤) سورة الحجر ٤٨.

وجائز أن يكون قد أعلم الله - عز وجل - إدريس ورؤد الخلق النار وأنهم
مُخَلَّدون في الجنان قبل إنزاله القرآن، وجاء القرآن موافقاً ما علّم إدريس.

وجاء في التفسير أنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى.

وجائز أن يكون - والله أعلم - قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [أي] في
النبوة والعلم.

وقوله عز وجل: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

قد بين الله سبحانه أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله - عز وجل -
سَجَدُوا وَبَكَوا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَبُكِيًّا جمع بك، مثل شاهد وشهود وقاعد
وقُعود، وسُجَّدًا حال مُقَدَّرَةِ المعنى: خَرُّوا مُقَدَّرِينَ السُّجُودَ لأن الإنسان في
حال خروجه لا يكون ساجداً وسُجَّدًا منصوب على الحال. ومن قال: بُكِيًّا
ههنا مصدر فقد أخطأ لأن ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد و﴿بُكِيًّا﴾ عطف عليه، ويقال
بَكَى بُكَاءً وَبُكِيًّا.

وقوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾.

يقال في الرداء خَلَفَ - بإسكان اللام - . تقول خَلَفْتُ سُوءٍ وفي
الصَّلاحِ خَلَفْتُ صِدْقٍ - بفتح اللام - وقد يقال في الرداء أيضاً خَلَفَ - بفتح
اللام - وفي الصَّلاحِ بإسكان اللام، والأجود القول الأول.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ صَلَّوْهَا فِي غَيْرِ وَقْتِهَا، وَقِيلَ أَضَاعُوهَا وَتَرَكُوهَا الْبَيْتَةَ
وهذا هو الأشبه، لأنه يدل على أنه يَعْنَى بِهِ الْكُفَّارُ. ودليل ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَنْ
تَابَ وَآمَنَ﴾.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

أَي فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ مُجَازَاةَ الْغَيِّ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١) أَي مجازاة الأثام. وجاء في التفسير أن «غِيًّا» وادٍ في جهنم، وقيل نهر في جهنم، وهذا جائز أن يكون نهراً^(٢) أعد للغاوين فسمي غيًّا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

«مَنْ» في موضع نصب أي فسوف يَلْقَوْنَ العذاب إلا التائبين. وجائز أن يكون نصباً استثناء من غير الأول، ويكون المعنى لكن من تاب وآمن.

﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

ويقرأ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾.

يجوز الرفع والنصب، الرفع على معنى هي جنات عدن، والنصب على معنى يدخلون في جنات عدن. وعدن في معنى إقامة، يقال: عَدَنَ بِالمَكَانِ إذا أقام به.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾.

مَأْتِيٌّ مفعول من الإتيان، لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه وكل ما أتاك فقد أَتَيْتَهُ^(٣)، يقال: وصلت إلى خير فلان ووصل إليَّ خير فلانٍ وأتيت خير فلان وأتاني خير فلانٍ. فهذا على معنى أَتَيْتُ خير فلانٍ^(٤).

(١) سورة الفرقان / ٦٨.

(٢) في الأصل نهر بالرفع.

(٣) يقصد أن وعده مَأْتِيٌّ هنا بمعنى آت.

(٤) يلاحظ أن هناك فرقاً بين التعبيرين، وإيثار «مَأْتِيٍّ» هنا يدل على أنهم سيرغمون إلى ملاقاته ما وعد الله.

وقوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ .

اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه ، و﴿سلاماً﴾ اسم جامع للخير مُتَضَمِّنٌ للسلامة ، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ .

قيل : ليس ثم بكرة ولا عشي ، ولكنهم خوطبوا بما يَعْقِلُونَ في الدنيا .
فالمعنى لهم رزقهم في مقدار ما بين الغداة والعشي . وقد جاء في التفسير أيضاً أن معناه : ولهم رزقهم فيها كل ساعة . وإذا قيل في مقدار الغداة والعشي فالذي يقسم في ذلك الوقت يكون مقدار ما يريدون في كل ساعة إلى أن يأتي الوقت الذي يتلوه .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ .

يروى أن النبي ﷺ أَبْطَأَ عَنْهُ جبريل عليه السلام في الوحي ، فقال عليه السلام وقد أتاه جبريل : ما زُرْتَنَا حَتَّى اسْتَفْنَاكَ ، فقال : وما نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ .

وقوله عز وجل: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ .

ما بين أيدينا أَمْرُ الآخرة والثواب والعقاب ، وما خَلْفَنَا جَمِيعُ مَا مَضَى مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ، وما بَيْنَ ذَلِكَ ما يكون منا من هذا الوقت إلى يوم القيامة وجاء في التفسير وما بين ذلك قيل ما بين النفختين .

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ .

أي قد علم الله جلّ وعلاً ما كان وما يكون وما هو كائن ، حَافِظٌ لذلك عز وجل . لا ينسى منه شيئاً . وجائز أن يكون والله أعلم : مَا نَسِيَكَ رَبُّكَ وَإِنْ تأخر عنك الوحي .

وقوله عز وجل: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

أي هو مالك لهما وعالم بهما وبما فيهما.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

جاء في التفسير: هل تعلم له مثلاً، وجاء أيضاً لم يسم بالرحمن إلا الله عز وجل. وتأويله - والله أعلم - هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون، فذلك ليس إلا من صفة الله تعالى.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾.

يعنى بهذا الكافر الذي لا يؤمن بالغيب خاصة، ومِتُّ ومِتُّ^(١).

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾.

ويقرأ أو لا يذكر بالتخفيف والتثقيل.

﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾.

أعلم الله عز وجل أن إعادة الخلق مثل ابتداء خلقهم، وهذا كما قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية^(٢) فكان الجواب ﴿قُلْ يحييها الذي أنشأها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾.

أي فوربك لنبعثهم ولنحشرنهم مع الشياطين الذين أغوؤهم.

﴿ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

وجُثِيًّا - بالضم والكسر جميعاً، ومعنى جثيا على ركبهم، لا يستطيعون القيام مما هم فيه وجُثِي جمع جَاثٍ وجُثِي، مثل قاعد وقعود وبارك وبروك.

(١) من مات يموت مِتُّ، ومن مات يمات مِتُّ.

(٢) بقيتها: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ سورة يس / الآية ٧٨.

(٣) سورة يس - ٧٩.

والأصل ضم الجيم وجائز كسرهما، اتباعاً لكسرة الياء، وجثيا منصوب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.

وَعِتِيًّا - بالكسر والضم، ومعناه لنزعن من كل أمة ومن كل فرقة الأعتى فالأعتى منهم، كأنهم يُبدَأُ بتعذيب^(١) أشدهم عِتِيًّا ثم الذي يليه. فأما رفع أيهم فهو القراءة، ويجوز أيهم بالنصب حكاهما سيبويه، وذكر سيبويه أن هارون الأعور القاري^(٢) قرأ بها. وفي رفعها ثلاثة أقوال:

قال سيبويه عن يونس إن قوله جلّ وعزّ لَنَزَعَنَّ معقله لم تعمل شيئاً، فكان قول يونس: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ ثم استأنف فقال ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾^(٣).

وأما الخليل فَحَكَى عنه سيبويه أنه على معنى الذين يقال ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾^(٤)، ومثله عنده قول الشاعر^(٥):

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل فأبيتُ لا حرجَ ولا محروم
المعنى فأبيتُ بمنزلة الذي يقال له لا هو حرجٌ ولا هو محروم.

(١) في الأصل كأنهم يُبدَى بالتعذيب أشدهم عتاء.

(٢) هو هارون بن موسى العتكي البصري أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم أبي النجود وعبد الله بن كثير، وعبد الله ابن أبي إسحاق، أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات ويحث أسانيد الشاذ منها. مات قبل المائتين. (غاية النهاية ٣٧٦٣).

(٣) التعليق لا يعني استئناف الآية وإنما يعني أنها استفهامية فلا يعمل الفعل فيها.

(٤) فاي ما تزال استفهامية ولهذا قدر القول.

(٥) الأخطل - والبيت في الخزنة ٥٥٣/٢، وابن الشجري ٢٩٧/٣. وابن يعيش ١٤٦/٣، ٨٧/٧، ومعاني الفراء ١٢٦/٣، وكتاب سيبويه ٣٩٩/٢ ويروى: لا زان ولا محروم، والمراد أنه كان الأصل أن ينصب حرجاً وعروماً.

وقال سيويه أن «أيهم» مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها، واستعمل معها حرف الابتداء، تقول اضرب لأَيُّهم أَفْضَلُ يريد أيهم هو أفضل، فيحسُن الاستعمال، كذلك يحذف هو، ولا يَحْسُنُ. «اضْرِبْ من أَفْضَلُ» حتى تقول من هو أفضل، ولا يحسن «كُلْ مَا أَطْيَبُ» حتى تقول: كل ما هو أطيب. فلما خالفت من وما والذي - لأنك لا تقول أيضاً: «خُذِ الذي أَفْضَلُ» حتى تقول هو أَفْضَلُ، قال فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة، والنَّصْبُ حَسَنٌ، وإن كنت قد حذف «هُوَ» لأنَّ «هو» قد يجوز حذفها، وقد قرئت ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾^(١) وتفصيلاً على معنى الذي هو أحسن.

قال أبو إسحاق: والذي أعتقده أن القول في هذا قول الخليل، وهو موافق للتفسير، لأن الخليل كان مذهبه أو تأويله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾ الذي مِنْ أَجْلِ عُتُوِّه يقال: أَيُّ هؤلاء أَشَدُّ عِتِيًّا. فيستعمل ذلك في الأشدَّ فالأشدَّ، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾. وصليًّا - بالضم والكسر - على ما فسرنا، وصلياً منصوب على الحال. [أي] أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عِتِيًّا فهم أولى بها صِلِيًّا.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾.

هذه آية كثير اختلاف التفسير فيها في التفسير^(٢) فقال كثير من الناس إن الخلق جميعاً يَرُدُّون النَّارَ فَيَنْجُو الْمُتَّقِي وَيُتْرَكُ الظَّالِمُ - وكلهم يَدْخُلُهَا، وقال بعضهم: قد علمنا الوُورُودَ ولم نَعْلَمِ الصَّدَرَ.

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٤ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَيْنَا رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) أي في كتب التفسير اختلاف كثير في تفسير هذه الآية. وتعبير الزجاج سقيم.

وحجة من قال بهذا القول^(١) أنه جرى ذكر الكافرين، فقال: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ ثم قال بعد: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فكانه على نظم ذلك الكلام عام.

ودليل من قال بهذا القول أيضاً قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الْعَذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل ويدخل الظالمين، وكان «نَذَرُ» و«نترك» للشيء الذي قد حصل في مكانه.

وقال قوم إن هذا إنما يُعْنَى به المشركون خاصة، واحتجوا في هذا بأن بعضهم قرأ: «وإن منهم إلا واريدها»، ويكون على مذهب هؤلاء ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي نخرج المتقين من جملة من ندخله النار.

وقال قوم: إن الخلق يَرُدُّونَهَا فتكون على المؤمنين بَرْدًا وَسَلَامًا، ثم يُخْرِجُ مِنْهَا فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فيعلم فضل النعمة لما يُشَاهِدُ فيه أهل العذاب وما رأى فيه أهل النار.

وقال ابن مسعود والحسن وقتادة: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلك جيدة جداً من جهات: إحداهن أن العرب تقول: وردت ماء كذا ولم تدخله، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾^(٢) وتقول إذا بلغت البلد ولم تدخله: قد وردت بلد كذا وكذا.

قال أبو إسحاق: والحجة القاطعة في هذا القول ما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾^(٣). فهذا - والله أعلم - دليل أن أهل الحسنى لا يدخلون النار،

(١) القول الأول - وهو أن الناس جميعاً يردونها.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ١٠١، ١٠٢.

وفي اللغة وردت بلد كذا وكذا إذا أشرفت عليه، دخلته أو لم تدخله، قال زهير: (١)

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم
المعنى بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه، فالورود ههنا بالإجماع ليس بدخول، فهذه الروايات في هذه الآية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

معناه مجلساً

وقوله عز وجل: ﴿أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِثِيًّا﴾.

فيها أربعة أوجهٍ رِثِيًّا بهمزة قبل الياء، والراء غير معجمة، وَرِثِيًّا بتشديد بياء مشددة، وَرِثِيًّا - بالزاي مُعْجَمَةٌ، وقد قرئ بهذه الثلاثة الأوجه، ويجوز وجه رابع لم يقرأ به - بياء وبعدها همزة - ورِثِيًّا.

فأما رِثِيًّا - بهمزة قبل الياء - فالمعنى فيه هم أحسن أثاناً أي متاعاً، ورِثِيًّا منظرًا، من رأيت، ومن قرأ بغير هَمْزٍ فله تَفْسِيرَانِ: عَلَى مَعْنَى الْأَوَّلِ يَطْرَحُ الهمزة وعلى معنى أَنَّ مَنْظَرَهُمْ مُرْتَوٍ مِنْ (٢) النُّعْمَةِ، كَأَنَّ النُّعِيمَ بَيْنَ فِيهِمْ، ومن قرأ زِيًّا فمعناه أن زِيَّهُمْ حسن يعني هيئتهم، قال الشاعر: (٣)

أشأقتك الظعائن يوم بانوا بذى الزى الجميل من الأثاث
ونصب أحسن أثاناً ورِثِيًّا على نية التفسير. المعنى وكم أهلكنا قبلهم من

(١) من معلقته. البيت الرابع عشر، وجمام الماء جمع جم أي الكثير المنجم وزرقته هي صفاؤه، ومنه زرقه العين، ووضع العصى والتخيم كناية عن الإقامة.

(٢) من الرواء وحسن المنظر ووفرة النعيم

(٣) هو محمد بن نعيم الثقفي الذي شَبَّ بِزَيْتٍ أخت الحجاج - وخبره في الكامل - ٣٦١/١ والأغاني وانظر الوفيات ٤٠/٢. والبيت في مجاز أبي عبيدة ٣٦٦/١٠، واللسان (رأى) - والكامل - ٣٨١/١.

قَرَنَ هُم أَحْسَنُ اثْنًا مِنْهُمْ وَأَحْسَنُ زِيَا مِنْهُمْ. وَمَنْ قَرَأَ رِيثًا فَهُوَ بِمَعْنَى رِيثًا مَقْلُوبٌ
لأن من العرب من يقول قد رَأَاني زَيْدٌ وتقول قد رَأَني .

في هذا المعنى قال الشاعر كثير^(١):

وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَني فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.

هذا لفظ أمر في معنى الخبر، وتأويله أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل جزاء
ضلالته أن يتركه فيها، ويمده فيها، كما قال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٢) إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر
كأن لفظ الأمر يريد به المتكلم نفسه الزاماً، كأنه يقول أفعِلْ ذلك وأمر نفسي
به، فإذا قال القائل: من رأني فلاكرمه، فهو ألزم من قوله أكرمه، كأنه قال:
من زارني فأنا أمر نفسي بإكرامه وألزمها ذلك.

وقوله: ﴿إِذَا الْعَذَابَ وَإِذَا السَّاعَةَ﴾.

العذاب والساعة منصوبان على البدل من «مَا يُوعَدُونَ» المعنى حتى إذا
رَأُوا العذاب أو رَأُوا الساعة، فالعذاب ههنا ما وعدوا به من نصر المؤمنين
عليهم فإنهم يعذبونهم قتلاً وأسراً. والساعة يعنى بها يوم القيامة وبما وعدوا به
فيها من الخلود في النار.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾.

أي فسيعلمون بالنصر، والقتل أنهم أضعف جنداً من جند النبي ﷺ
والمسلمين ويعلمون بمكانهم من جهنم، ومكان المؤمنين من الجنة من هو شرُّ
مكاناً.

(١) ديوانه ١١١، اللسان (رأى) ابن الشجري ١٩/٢، الكامل ٢١٧/٢ (نحارية). وقد تقدم.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

قليل بالناسخ والمنسوخ نحو ما كان من صوم رمضان من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يطعم مسكيناً ويفطر، فنسخ ذلك بإلزام الصوم، وجائز أن يكون: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ يجعل جزاءهم أن يزيدهم في يقينهم هدى كما أضل الله الفاسق بفسقه.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾.

معناه الأعمال الصالحة، وأولها توحيد الله، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾.

ويقرا: وُولدًا، فمن قرأ وُولدًا بالضم فهو على وجهين على جمع وَلِدٍ، يُقَالُ وَلَدٌ وَوُلْدٌ مثل أَسَدٍ وَأُسْدٍ، وجائز أن يكون الوُلْدُ في معنى الولد، والوُلْدُ يصلح للواحد والجمع، والوُلْدُ والوُلْدُ بمعنى واحد، مثل العُرب والعُرب، والعَجْمُ والعُجْمُ.

وقد جاء في التفسير أنه يعني به العاص بن وائل. ويروى أن خَبَاباً^(١) قال: كنت قَيْنًا في الجاهلية. والقَيْنُ هو^(٢) الذي يصلح الأَسِنَّة، والحدادُ يقال له قَيْنٌ، قال وكان لي على العاص بن وائل دينٌ، فدفعني بقضائه وقال لا أدفعه إليك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال خَبَاب: لا أكفر بمحمد حتى تموت وتُبْعَثَ، فقال: إِذَا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ أُعْطِيتُ مَالاً وُولدًا وقضيتك مما أُعْطِيَ، يقول ذلك مستهزئاً فقال الله سبحانه:

(١) هو خَبَاب بن الأرت - بناء مشددة - سبي في الجاهلية وبيع بمكة - فكان مولى أم أنمار الخزاعية - وهو من السابقين إلى الإسلام الذين عذبوا عذاباً شديداً - حتى كاد يكون من كمي بالنار آله. شهد بدرًا وما بعدها ومات سنة سبع وثلاثين بالكوفة. (الإصابة ٢٢١٠).

(٢) في الأصل الذي هو - والتصحيح من الهامش.

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ .
 أي علم ذلك غيباً أم أعطي عهداً، وهو مثل الذي قال: ﴿وَلَيْتَن رُدِدْتُ
 إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا﴾^(١).

﴿كَلَّا﴾ .

رَدَعُ وَتَنْبِيه، أي هَذَا مِمَّا يَرْتَدُّعُ مِنْهُ، وَيُنَبِّهُ عَلَى وَجْهِ الضَّلَالَةِ فِيهِ.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ .

أي سنحفظ عليه.

﴿وَنُرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ .

أي نجعل المال والولد لِغَيْرِهِ ونسلبه^(٢) ذلك ويأتينا فرداً.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي أعوانا

وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ .

أي يصيرون عليهم أعوانا.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ .

في قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهان أحدهما أنا خَلِينَا الشَّيَاطِينَ وَإِيَاهُمْ، فلم
 نعصمهم من القبول منهم - قال أبو إسحاق: والوجه الثاني - وهو المختار -
 أنهم أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ وَقُيِّضُوا لَهُمْ بكفرهم كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَغْنَسُ عَنْ ذِكْرِ
 الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣).

ومعنى ﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ - تَزْعِجُهُمْ^(٤) حتى يركبوا المعاصي ازعاجاً فهو يَدُلُّ
 على صحة الإرسال والتقييض^(٥)، ومعنى الإرسال ههنا التسليط، يقال قد

(١) سورة الكهف الآية ٣٦.

(٢) عبارة الأصل «والولد لغيره ويكون ونسلبه . . .» وحذفنا كلمة «وتكون».

(٣) سورة الزخرف الآية ٣٥.

(٤) في الأصل: معنى تؤزهم أزاً معناه تزعجهم.

(٥) صحة إرسال الشياطين وتقييضهم لهم.

أرسلت فلانا على فلانٍ إذا سلطته عليه، كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١). فاعلم الله عز وجل: أن من اتبعه هو مسلط عليه.

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾.

معنى الوفد الركبان المكرمون.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾.

مشاة عطاشاً.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

«مَنْ» جائر أن تكون في موضع رفع، وفي موضع نصب. فأما الرفع فعلى البدل من الواو والنون^(٢)، والسعنى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. والعهد ههنا توحية لله جل ثناؤه والإيمان به.

والنصب على الاستثناء ليس من الأول على: لَا يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ المجرمون، ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، على معنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾.

وتقرأ أذا - بالفتح - ومعناه شيئاً عظيماً من الكفر، وفيها لغة أخرى لا أعلم أنه قرئ بها، وهي^(٣): «شَيْءٌ آذٍ» على وزن رَادٍ وَمَادٍ، ومعناه كله: جِئْتُمْ شيئاً عظيماً.

وقوله جل وعز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي محبة في قلوب المؤمنين.

(١) سورة الحجر الآية: ٤٢.

(٢) في يملكون، والمستثنى منه تمام منفي.

(٣) في الأصل وهو

وقوله جل وعز: ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾^(١).

جمع اللد مثل أصم وصم، واللد الشديد الخُصومة.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقال: هل أحسست صاحبك أي هل رأيته، وتقول: قد حسسهم - بغير

ألف - إذا قتلهم.

وقوله: ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

الركز الصوت الخفي.

(١) الآية: ﴿فَإِنَّمَا يُسْرِنَا إِلَيْكَ لِسَانُكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾.



سورة طه مكية



بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

يقرأ طه - بفتح الطاء والهاء، وتقرأ طه - بكسرهما^(١) - ويقرأ طه - بفتح الطاء وإسكان الهاء، وطه بفتح الطاء وكسر^(٢) الهاء. واختلف في تفسيرها فقال أهل اللغة هي من فواتح السور نحو حم والم، ويروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع رجلاً ووضع أخرى فأنزل الله عز وجل: طها، أي طأ الأرض بقدَميك جميعاً.

وقوله عز وجل: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

أي لتُصَلِّيَ على إحدى رجليك فتشتد عليك، وقيل طه لغة بالعجمية معناها يا رجل، فأما من فتح الطاء والهاء فلأن ما قيل الألف مفتوح، ومن كسر الطاء والهاء، أمال إلى الكسر لأن الحرف مقصور، والمقصود تغلب عليه الإمالة إلى الكسر ومن قرأ طه بإسكان الهاء ففيها وجهان أحدهما أن يكون أصله «طأ» بالهمزة فأبدلت منها الهاء كما قالوا في إياك هياك وكما قالوا في أرقت الماء هرقت وجائز أن يكون من «وطي» على ترك الهمزة، فيكون «ط»

(١) بالإمالة فيها.

(٢) بإمالة الهاء فقط.

يَا رَجُل - ثم أثبت فيها الهاء للوقف ففيل طه^(١).

وقوله عز وجل: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾.

المعنى أنزلناه تنزيلاً، والعُلَى جمع العليا، يقال: سماء عُلْيَا وسموات عُلَى، مثل الكبرى والكُبرى.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

الاختيار الرفع، ويجوز خفض على البدل من «مَنْ»^(٢) المعنى تنزيلاً من خالق الأرض والسموات الرحمن، ثم أخبر بعد ذلك فقال: على العرش استوى، وقالوا معنى [استوى] استولى - والله أعلم. والذي يدل عليه استوى في اللغة على ما فعله من معنى الاستواء.

قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

الثرى في اللغة الندى، وما تحت الأرض ندى، وجاء في التفسير وما تحت الثرى ما تحت الأرض.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

فَالسِّرُ ما أكننته في نفسك، و«أخفى» ما يكون من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، وتأويل من أحصاها دخل الجنة، من وحّد الله وذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيد الله وإعظامه دَخَلَ الْجَنَّةَ، وقد جاء أنه من قال لا إله

(١) أي هي هاء السكت لأن الفعل بقي على حرف واحد.

(٢) في ﴿يَمْنٌ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾.

إلا الله دخل الجنة، فهذا لِمَنْ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ مُوَحِّدًا لَهُ بِهِ فكيف بمن ذَكَرَ
أسماءَهُ كُلَّهَا يُريدُ بها توحيدَهُ والثناءَ عَلَيْهِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُذًى﴾.

الْقَبَسُ مَا أَخَذْتَهُ فِي رَأْسِ عُودٍ مِنَ النَّارِ أَوْ رَأْسٍ فِتِيلَةٍ.

﴿أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُذًى﴾: جاء في التفسير أَنَّهُ ﷺ ضل الطريق ^(١) وجاء
أنه ضل عن الماء فرجا أن يجد عند النار من يهديه الطريق أو يَدُلُّهُ عَلَى
الماء.

﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾.

ويقراء أَنِّي أَنَا - بالفتح والكسر، فمن قرأ «أَنِّي» فالمعنى نودي بأني أنا
رَبُّكَ، وموضع «أَنِّي» نصبٌ، وَمَنْ قرأ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ بالكسر فالمعنى نودي يا
موسى إني أنا رَبُّكَ.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾.

روي أَنَّهُ أُمِرَ بِخَلْعِهِمَا لِأَنَّهُمَا كَانَتَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ، وروي أَنَّهُ أُمِرَ
بِخَلْعِهِمَا لِيَطَّأَ بِقَدَمَيْهِ الْوَادِي الْمُقَدَّسَ، وروي أَنَّهُ قَدَّسَ مَرَّتَيْنِ.

وقوله: ﴿طَوًى﴾.

اسم الوادي، ويجوز فيه أربعة أوجه، طَوًى - بضم أوله، بغير تنوين
وتنوين وبكسر أوله - بتنوين وبغير تنوين. فمن نَوَّنَهُ فهو اسم الوادي، وهو مذكور
سَمِّيَ بِمَذْكُورٍ عَلَى فَعْلٍ نَحْوِ حُطِّمْ وَصُرِدَ. ومن لم ينونه ترك صرفه من جهتين:
إحداهما أن يكون معدولاً عن «طَاءٍ» فيصير مثل عُمَرُ المعدول عن عامر.
والجهة الأخرى أن يكون اسماً للبقعة كما قال الله عز وجل: ﴿فِي الْبُقْعَةِ

(١) أي موسى عليه السلام.

المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ^(١). وإذا كُسِرَ وَتَوَّنَ طَوَّى فهو - مثل مَعَى وَضِلَع - مَضْرُوف^(٢). وَمَنْ لم ينون^(٣) جعله اسماً للبقعة.

وقوله - عز وجل - : ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾.

ويقرأ وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ، فمن قرأ: وإنا اخترناك فالمعنى يؤدي بآنا اخترناك^(٤) ويجوز وَإِنَّا اخترناك على وجهين: على الاستئناف وعلى معنى الحكاية لأنه معنى يُودَى قيل له إنا اخترناك.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

هذا على معنيين أحدهما أقم الصلاة لأن تَذَكُرْنِي لأن الصَّلَاةَ لا تكون إلا بذكر الله، والمعنى الثاني هو الذي عليه الناس ومعناه أقم الصلاة متى ذَكَرْتَ أَنَّ عليك صلاة كنت في وقتها أو لم تكن، لأن الله عز وجل لا يؤاخذنا إن نسينا ما لم نَتَعَمَّدْ الأشياء التي تَشْغُلُ وتُلْهِي عن الصلاة، ولو ذَكَرَ ذَاكِرٌ أَنَّ عليه صلاة في وقت طُلُوع الشمس أو عند مَغِيبِهَا وَجَبَ أَنْ يُصَلِّيَهَا. وقرئت لِلذِّكْرِى - معناه في وقت ذكرك^(٥).

وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

بضم الألفِ، وجاء في التفسير أكاد أخفيها من نفسي، والله أعلم بحقيقة هذا التفسير، وقرئت أكاد أخفيها - بفتح الألف - معناه أكاد أظهرها، قال أمرؤ القيس:

(١) سورة القصص ٣٠.

(٢) في الأصل: معروف.

(٣) في الأصل ومن لم ينون اسماً جعله اسماً.

(٤) أي فتح أن على تقدير حرف جر محذوف.

(٥) أي هي دالة على الزمن كما في أقم الصلاة لِذُلُوكِ الشمس، أي عند ذكرك.

فَإِنْ تَبِعْتُمْ الدَّاءَ لَا تَخَفْهُ وَإِنْ تَبِعْتُمُ الْحَرْبَ لَا تَقْعُدُوا^(١)
أَيَّ أَنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَظَاهِرَهُ.

وهذه القراءة الثانية أبين في المعنى ، لأن معنى أكاد أظهرها ، أي قد أخفيتُها وكِدْتُ أظهرُها .

وقوله: ﴿لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

معنى ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ بما تعمل ، ولتجزي متعلق بقوله: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، ويجوز أن يكون على أقيم الصلاة لذكري لتجزي كل نفس بما تسعى .

وقوله: ﴿فَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾.

معناه والله أعلم فلا يصدنك عن التصديق بها من لا يؤمن بها ، أي من لا يؤمن بأنها تكون ، وخطابُ النبي ﷺ هو خطابُ سائر أُمّته ، ومعنى لَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا: لَا يَصُدُّنَكُمْ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٢) . فَتَبَّ^(٣) النَّبِيُّ ﷺ بِالْخَطَابِ وَخَوِطَبِ هُوَ أُمَّتُهُ بِقَوْلِهِ إِذَا طَلَّقْتُمْ .

وقوله: ﴿فَتَرَدَّى﴾.

معناه فتهلك ، يُقَالُ رَدَّى رَدَّى ، إِذَا هَلَكَ ، وَكَذَلِكَ تَرَدَّى إِذَا هَلَكَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾^(٤) .

قوله: ﴿وَمَا يَلِكُ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.

تلك اسم مبهم يَجْرِي مجرى التي ، ويوصل كما توصل التي ، المعنى

(١) تقدّم في الجزء الأول ٣٥٥ .

(٢) أول سورة الطلاق .

(٣) أي نودي ، لأن ياء النداء التي هي للتنبيه وجهت إليه .

(٤) سورة والليل إذا يغشى .

ما التي ييمينك يا موسى . وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجره في الكلام مجرى ما يسأل عنه ، ويجيب المخاطب بالإقرار به لتثبت عليه الحجة بعدما قد اعترف مستغنى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة ، ومثله من الكلام أن تُريَ المخاطب ماءً فتقول له ما هذا فيقول ماء ، ثم تحيله بشيء من الصِّنْع فإن قال إنه لم يزل هكذا قلت له : أألسنت قد اعترفت بأنه ماء .

وقوله : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ .

وقرىء هي عَصَايَ بغير ألف ، وأجودُهُمَا عَصَايَ . وَعَصَايَ لَعْنَةُ هُذَيْلٍ . والأصل في يا الإضافة أن يكسر ما قبلها ، تقول هذا حَجَرِي فتكسر الراء وهي في موضع ضَمٍّ وكذلك رأيت حَجَرِي ، فإذا جَاءَتْ بَعْدَ الألف المقصورة لم تكسرها . لأن الألف لا تُحَرِّكُ ، وكذلك إذا جاءت بعد ألف التثنية في الرفع في قولك هما غلاماي ، وبعد ياء النصب في قولك : رأيت غلامَيَّ ، وبعد كل ياء قبلها كسرة نحو هذا قاضيٍّ ورأيت مُسْلِمِيٍّ ، فجعلت هُذَيْلٌ بدلاً من كسرة الألف تغييرها إلى الياء ، وليس أَحَدٌ من النحويين إلا وقد حكى هذه اللغة ، قال أبو ذؤيب^(١) .

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا ، ولكل جنب مصرعٌ

قوله : ﴿ وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ .

جاء في التفسير أَخِيطُ بها الشجر ، واشتقاقه من أني أَحِيلُ الشيء إلى الهشاشة والإمكان .

وقوله : ﴿ وَلِيَّ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾ .

جاء في التفسير حاجات أُخْرَى ، وكذلك هُوَ في اللغة ، وواحد المَآرِبِ

(١) من غَنَمِيَّةِ الَّتِي رَئَى بِهَا أَوْلَادَهُ ، أي خرجوا عن رغبتِي وأطاعوا رغباتهم فاختَرَمَتْهُمْ النِيَّةُ ، وهي عاقبة كل حي . - ويروى - فأعْنَقُوا لِسَبِيلِهِمْ - انظر ديوان الهذليين ٢/١ .

مَارُوبَةٌ وَمَارَبَةٌ. وجاء «أخرى» على لفظ صفة الواحدة، لأن مارب في معنى جماعة فكانها جماعات من الحاجات أخرى، فلو جاءت آخرُ كان صواباً.
قوله: ﴿سِيرَتِهَا الْأُولَى﴾.

معنى سِيرَتِهَا طريقَتها يعني هَيْتَهَا، تقول إذا كان القوم مشتبهين: هم على سيرة واحدة وطريقة وَاحِدَةٍ، تريد أن هَيْتَهُم واحدة وشبههم وَاحِدٌ، وإن كان أصل السيرة والطريقة أكثر ما يقع بالفعل، تقول: فلان على طريقة فلانٍ وعلى سيرته أي أفعاله تشبه أفعال فلانٍ، والمعنى: سنعيدها عَصاً كما كانت، وسيرتها منصوب على إسقاط الخافض، وأفضى الفعل إليها، المعنى - والله أعلم - سنعيدها إلى سيرتها الأولى، فلما حُذِفَتْ «إلى» أفضى الفعل - وهو سنعيدها - فَتَصَبَّ.

وقوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾.
جناح الإنسان عَضُدُهُ إلى أصل إبطه.
وقوله: ﴿تَخْرُجُ بَيِّضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٍ أُخْرَى﴾.

﴿آيَةٍ﴾ منصوبة لأنها في موضع الحال، وهي اسم في موضع الحال، المعنى - والله أعلم - تخرج بيضاء مُبَيَّنَّةً آيَةً أُخْرَى، ويجوز أن يكون ﴿آيَةٍ أُخْرَى﴾ منصوبة على معنى آتيناك آية أخرى أو تؤتينك آية أخرى، لأنه لما قال: تَخْرُجُ بَيِّضَاءٌ كان في ذلك دليلٌ أنه يعطى آية أخرى، فلم يحتج إلى ذكر آتيناك لأن في الكلام دليلاً عليه. ويجوز آية أخرى بالرفع على إضمار هذه آية أُخْرَى.

وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.
جاء في التفسير أنه كان في لسانه رُتَّةٌ، لأن امرأة فرعون جَعَلَتْ عَلَى لِسَانِهِ حَجْرَةً لأنه كان أخذ وهو صبي بِلَحْيَةِ فرعون فهم به، وقال هذا عدو

فأعلمته أنه صبي لا يعقل. وأن دليلها على ذلك أنه التقم جمره فدرأت عنه ما هم به فرعون فيه.

وقوله: ﴿وَجْعَلْ لِي وِزيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾.

يجوز أن يكون نصب هارون من جهتين إحداهما أن يكون «اجْعَلْ» يتعدى إلى مفعولين فيكون المعنى اجعل هارون أخي وزيراً فتنصب «وزيراً» على أنه مفعول ثانٍ، ويجوز أن يكون هارون بدلاً من قوله «وزيراً» ويكون المعنى اجعل لي وزيراً من أهلي ثم أبدل هارون من وزير، والقول الأول أجود وأخي نعت لهارون.

وقوله: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

يقرأ على ضربين على معنى اجعل أخي وزيراً، فإنك إن فعلت ذلك أشد به أزي. «أشد» على الإخبار عن النفس وأظهرت التضعيف لأنه جواب الأمر وأشركه في أمري، فيقرأ على هذا: هارون أخي أشد به أزي وأشركه في أمري بقطع ألف أشد وضم الألف من وأشركه، ومن قرأ هارون أخي أشدد به أزي وأشركه فعلى الدعاء، المعنى: اللهم أشدد به أزي وأشركه في أمري.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

قد بين المرة على ما هي وهي قوله:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أَمَلِكَ مَا يُوحَى . أَنْ أَقْذِفْهُ فِي النَّابُوتِ﴾.

لأنه نجاه بهذا من القتل، لأن فرعون كان يذبح الأبناء.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

قالوا معناه ولتغذى.

ومعنى أزي، يقال آزرت فلاناً على فلان إذا أعنته عليه وقويته، ومثله:

﴿فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾^(١). فتأويله. أَقْوَىٰ بِهِ وَاسْتَعِينَ بِهِ عَلَىٰ أَمْرِي.

فأما الوزير في اللغة فاشتقاقه من الْوَزَرَ، وَالْوَزَرَ الْجَبَلُ الَّذِي يُعْتَصَمُ بِهِ لِيُنْجِيَ مِنَ الْهَكْلَةِ، وكذلك وزير الخليفة معناه الذي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَيَلْتَجِئُ إِلَىٰ رَأْيِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿كَأَلَا وَزَرَ﴾^(٢) معناه لَا شَيْءَ يُعْتَصَمُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ - عز وجل -.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾.

معناه اختبرناك اختباراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾.

قيل في التفسير: عَلَىٰ مَوْعِدٍ، وَقِيلَ عَلَىٰ قَدَرٍ مِنْ تَكْلِيمِي إِيَّاكَ.

﴿وَلَا تَنِيَّاسِي ذِكْرِي﴾.

معناه وَلَا تَضَعُفًا، يُقَالُ: وَنَىٰ بَنِي وَنِيًّا وَوُنِيًّا إِذَا ضَعُفَ، وَقَوْلِكَ قَدْ تَوَانَىٰ فَلَانٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيُّ قَدْ فُتِرَ فِيهِ وَضَعُفَ.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

لعل في اللغة تَرَجَّحَ وَطَمَعُ، تَقُولُ: لَعَلِّي أَصِيرُ إِلَىٰ خَيْرٍ، فَمَعْنَاهُ أَرْجُو وَأَطْمَعُ أَنْ أَصِيرَ إِلَىٰ خَيْرٍ، وَاللَّهُ - عز وجل - خَاطِبُ الْعِبَادِ بِمَا يَعْقِلُونَ.

والمعنى عند سيويه فيه: إِذْهَبَا عَلَىٰ رَجَائِكُمَا وَطَمَعِكُمَا. وَالْعِلْمُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَتَىٰ مِنْ وَرَاءِ مَا يَكُونُ^(٣). وَقَدْ عَلِمَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَخْشَىٰ، إِلَّا أَنْ الْحُجَّةَ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَيْهِ بِالْإِبَانَةِ، وَإِقَامَتِهَا عَلَيْهِ، وَالْبِرْهَانُ.

(١) سورة الفتح من الآية ٢٩.

(٢) سورة القيامة الآية ١١.

(٣) أي يعلم ما لم يحدث، ويعرف المستقبل كما يعرف الماضي.

وإنما تبعَ الرُّسل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها أم لا ، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم ، ومعنى «لعل» متصور في أنفسهم ، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة ، وليس علم الله بما سيكون تجب به الحجة على الآدميين ، ولو كان كذلك لم يكن في الرسل فائدة .

فمعنى ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ .

هو الذي عليه يُبعث جميعُ الرُّسل .

وقوله عز وجل : ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ .

معنى يُفْرِطُ علينا يُبادر بعقوبتنا ، يقال : قد فرط منه أمرٌ أي قد بدر منه امرٌ ، وقد أفرط في الشيء إذا سَقَطَ فيه ، وقد فرط في الشيء أي قصَّرَ ومعناه كله التقدم في الشيء ، لأن الفرط في اللغة المتقدم . ومنه قوله ﷺ أنا فرطكم على الحوض .

وقوله ﴿وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ .

ليس يعنى به التحية ، وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله وسخطه والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب .

ومعنى ﴿فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ .

ولم يقل فَاتِيَاهُ فَقَالَا لَهُ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ، لأن الكلام قد دل على ذلك فاستغنى عنه أن يقال فيه فَاتِيَاهُ فَقَالَا ، لأن قوله : ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ فيه دليل على أنهما أتياه فَقَالَا لَهُ :

وقوله عز وجل : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ .

معناه خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع ، والتي هي أصلح الخلق له ، ثم هداه لمعيشته ، وقد قيل ثم هداه لموضع ما يكون منه الولد .

والأول أبين في التفسير، وهذا^(١) جائز، لأننا نرى الذَّكَرَ مِنَ الحيوان يأتي الأنثى ولم ير ذكراً قد أتى أنثى قبله فآلَهمه الله - عز وجل - ذلك وهداه إلى المآتى. والقول الأول ينتظم هذا المعنى، لأنه إذا هداه لمُصْلِحَتِهِ فهذا دَاخِلٌ في المصلحة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾.

قال له موسى عليه السلام:

﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

معناه لا يُضِلُّها ولا ينساها، ولا يضلُّه ربي ولا ينساه، يعنى به الكتاب، ومعنى ضَلَلْتُ الشَّيْءَ وَضَلِلْتُ بكسر اللام وفتحها أَضِلُّهُ وَأَضَلُّهُ، إذا جعلته في مكان لم تدر أين هو، وَيُضِلُّ من أَضَلَّتْهُ، ومعنى أَضَلَّتْهُ أَضَعْتُهُ، قال أبو إسحاق من قرأ بالفتح فمعناه لا يَضِلُّ أي لا يَضِلُّ عن رَبِّي.. وإذا ضُمَّت الياء^(٢) فمعناه لا يوجد ربي ضالاً عنها.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾.

معناه لذوي العقول، واحد لنهى نُهْيَةً. يقال: فلان ذو نُهْيَةٍ، ومعناه ذو عقل ينتهي به عن المقايح ويدخل به في المحاسن، وقال بعض أهل اللغة: ذو النُّهْيَةِ الذي يُنْتَهَى إلى رأيه وعقله، وهذا حسن أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

يعنى به الأرض، لأن الله - عز وجل - خلق آدم من تراب، وَجَرَى الإِضْمَارُ على قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا، وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾.

وقوله: ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

(١) هذا الوجه الثاني أي هداية لموضع الولد.

(٢) إذا ضُمَّت الياء مع فتح الضاء. ببناء الفعل للمجهول.

متعلق بقوله منها نُخْرِجُكُمْ، لأن المعنى كمعنى الأول. لأن معنى ومنها نخرجكم بمنزلة منها خلقناكم، فكأنه قال - والله أعلم -: ومنها نخلقكم تارة أُخْرَى، لأن إخراجهم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب.

وقوله: ﴿مَكَاناً سَوًى﴾.

وتقرأ سَوًى بِالضَّمِّ وَمَعْنَاهُ مُنْصَفًا، أي مكاناً يكون النصف فيما بيننا وبينك، وقد جاء في اللغة «سواء» في هذا المعنى، تقول: هذا مكانٌ سَوَاءٌ، أي مُتَوَسِّطٌ بين المكانين، ولكن لم يقرأ إلا بِالْقَصْرِ سَوًى وَسَوًى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾.

وتقرأ يومَ الزينة، فالرفع على خبر الابتداء، والمعنى وقت موعدكم يوم الزينة ومن قرأ يومَ فمنصوبٌ على الظرف، المعنى يقع يوم الزينة.

وقوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

موضع ﴿أَنْ﴾ رفع، المعنى مَوْعِدُكُمْ حَشَرَ النَّاسِ ضُحًى، وتأويله إذا رأيتم الناس قد حُشِرُوا ضُحًى. وقيل يوم الزينة يومُ عيدٍ كان لهم، وقيل إنه كان يوم عاشوراء.

ويجوز أن يكون في موضع خَفَضٍ عطفًا على الزينة. المعنى موعدكم يوم الزينة ويوم حَشَرَ النَّاسِ.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَإِنَّكُمْ أَتَافَتُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾ منصوبٌ على أن ألزمهم الله ويلًا^(١)، ويجوز أن يكون منصوبًا على النداء كما قال تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَا أَلَدُّ آدَمَ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾^(٢) و ﴿يَا وَيْلَتَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٣).

(١) سورة يس الآية ٥٢.

(٢) سورة هود الآية ٧٢.

(٣) أي هو مفعول مطلق.

وقوله: ﴿فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾.

ويقراً فَيُسْحِتْكُمْ - بضم الياء وكسر الحاء، يقال سَحَتَهُ، وأَسَحَتَهُ إذا ستَأَصَّلَهُ وأَهْلَكَهُ، قال الفرزدق:

وعَضُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفًا^(١)
معنى لم يدع لم يستقر - من الدعة من المال، وأكثر الرواية إِلَّا مُسَحَّتًا،
فهذا على أَسَحَتَ فهو مُسَحَّت.

وقوله عز وجل: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾.

يعنى به السحرة، قالوا بينهم: إِنَّ غَلَبَنَا مُوسَى آمَنَّا بِهِ، وكان الأمرُ لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا نِ لِسَاجِرَانَ﴾.

يَعْنُونَ مُوسَى وهَارُونَ. وهذا الحرف من كتاب الله عز وجل مُشْكِلٌ على
أهل اللغة، وقد كثر اختلافهم في تفسيره، ونحن نذكر جميع ما قاله النحويون
ونخبر بما نظن أنه الصواب والله أعلم، وقبل شرح إعرابه نخبر بقراءة القُرَاءِ
فيه.

أما قراءة أهل المدينة والأَكَمَةِ في القراءة بفتشديد إِنَّ، والرفع في هَٰذَا
وكذلك قرأ أهلُ الْعِرَاقِ حمزةً وعاصم - في رواية أبي بكر بن عياش -
والمَدَنِيُّونَ. وَرُوِيَ عَنْ عَاصِمٍ: إِنَّ هَٰذَا نِ بِلِخْفِيفٍ «إِنَّ»، وَيُصَدِّقُ مَا قَرَأَهُ عَاصِمٌ
فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مَا يُرْوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَرَأَ: مَا هَٰذَا نِ إِلَّا سَاجِرَانَ، وَرُوِيَ أَيْضًا
عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ: إِنَّ هَٰذَا نِ إِلَّا سَاجِرَانَ، وَرُوِيَ عَنِ الْخَلِيلِ أَيْضًا: إِنَّ هَٰذَا نِ
لِسَاجِرَانَ - بِالتَّخْفِيفِ -. وَالْإِجْمَاعُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالنَّحْوِ أَعْلَمَ مِنَ الْخَلِيلِ.
وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ: إِنَّ هَٰذَا نِ لِسَاجِرَانَ، بِتَشْدِيدِ «إِنَّ» وَنَصَبِ
هَٰذِينَ.

(١) ديوانه ٥٥٦، واللسان - (جلف - سمت)، والخزانة ٤٧/٢، وشواهد الكشاف ٧٨.

فهذه الرواية فيه. (١)

فأما احتجاج النحويين فاحتجاج أبي عمرو في مخالفته المصحف في هذا أنه روي أنه من غَلَطِ الكاتب، وأن في الكتاب (٢) غَلَطاً سَتَقِيْمُهُ الْعَرَبُ بِالنَّسَبِهَا، يروي ذلك عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ وَعَنْ عَائِشَةَ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -. وأما الاحتجاج في أن هذان بتشديد أن ورفع هذان فحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب (٣) وهو رأس من رؤساء الرواة، أنها لغة لِكِنَانَةٍ، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وهؤلاء ينشدون:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصِمَّمَا (٤)
وهؤلاء أيضاً يقولون: ضَرَبْتُهُ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، ومن يشتري مني الْخُفَّانِ وكذلك روى أهل الكوفة أنها لغة لبني الحرث بن كعب.

قال النحويون الْقُدَمَاءُ: ههنا هاء مضمرة، المعنى إنه هذان لَسَاحِرَانِ،

(١) هذا ما روي في هذا الحرف.

(٢) في الكتابة ورسم المصحف.

(٣) أورد أبو عبيدة عدة آراء منها رأي أبي الخطاب ونصه في مجازة: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب» اهـ. ويعني بالاثنيين المبتدأ والخبر، - ثم نقل عن بشر بن هلال رأياً آخر - يجعل «إن» حرف جواب، وهذان مبتدأ - انظر المجاز حـ ٢ ص ٢١ - ومن المعروف أن من العرب من يلزم المثنى والأسماء الخمسة الألف، ومن شواهد النحو الشائعة:

يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا أَنْ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا

قد بلغنا في المجد غايتها

(٤) البيت للمتلهم من القصيدة التي تقدم ذكر سببها وبيت منها في ص ٢٦٢ من هذا الجزء والشجاع ذكر الأناعي - وأطرق وقف متحيراً، وصمم عض من العظم. والبيت في ابن يعيش ١٢٨/٣، واللسان (صمم) والمرتضى ٥/١.

وقالوا أيضاً أن معنى «إِنَّ» معنى «نَعَمْ»، المعنى نعم هَذَانِ لَسَاحِرَانِ،
وينشدون:

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت إنه^(١)

وَيَحْتَجُونَ بَأَن هَذِهِ اللَّامُ أَصْلُهَا أَنْ تَقَعَ فِي الْإِبْتِدَاءِ، وَأَنْ وَقُوعُهَا فِي
الخبر جائز، وينشدون في ذلك:

خالي لأنتَ، ومن جريرٌ خالُه ينل العلاء ويكرم الاخوانا
وأنشدوا أيضاً:

أم الحليس لعجوز شهر به ترضى من اللحم بعظم الرقبة^(٢)
قالوا: المعنى لأنت خالي، والمعنى لأم الحليس عجوز، وقال الفراء
في هذا: إنهم زادوا فيها النون في التثنية وتركوا الألف على حالها في الرفع
والنصب والجر كما فعلوا في الذي، فقالوا: الَّذِينَ فِي الرفع والنصب والجر،
فهذا جميع ما احتج به النحويون.

والذي عندي - والله أعلم - وكنت عرضته على عالمينَا - محمد بن يزيد
وعلى إسماعيل بن إسحق بن حماد بن زيد القاضي فقبلاه وذكرنا أنه أجود ما
سمعاه في هذا، وهو «أَنَّ» قد وقعت موقع «نعم»، وأن اللام وقعت مَوْقِعَهَا،
وأن المعنى هَذَانِ لهما سَاحِرَانِ.

(١) لعبد الله بن قيس الرقيات العامري - من أهل الحجاز، مدح مضعب بن الزبير وعبد الملك،
وسمي بالرقيات لأنه شيب بثلاث نسوة كل تسمى رقية وقيل لأن له ثلاث جدات كل تسمى رقية -
كان شعره يمتاز بالركة -، وكان حماد الراوية يقول: إذا أردت أن تقول الشعر فاروشعر ابن قيس
الرقيات فإنه أرق الناس حواشي شعر.

انظر شواهد المغني ٤٧، والأغاني.

(٢) الخزائن ٣/ ١٣٠ - فقه اللغة للشعالبي ٣٥٧.

والذي يلي هذه في الجودة مذهب بني كنانة في ترك ألف الثنية على هيئة واحدة، لأن حق الألف أن تدل على الاثنين، وكان حقها ألا تتغير كما لم تتغير ألف رحي وعصى^(١)، ولكن كان نقلها إلى الياء في النصب والخفض أبين وأفضل [للتمييز] بين المرفوع والمنصوب والمجرور. فأما قراءة عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء فلا أجزها لأنها خلاف المصحف، وكل ما وجدته إلى موافقة المصحف أقرب لم أجز مخالفته، لأن اتباعه سنة. وما عليه أكثر القراء، ولكنني أستحسن إن هذان لساحران بتخفيف «إن» وفيه إمامان: عاصم والخليل، وموافقة أبي في المعنى وإن خالفه اللفظ، ويستحسن أيضاً إن هذان بالتشديد، لأنه مذهب أكثر القراء، وبه يقرأ وهو قوي في العربية.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾.

معناه في قول النحويين بجماعتكم الأشراف. والمثلى تأنيث الأمثل، ومعنى الأمثل والمثلى معنى «ذو الفضل» الذي يستحق أن يقال [فيه] هذا أمثل قومه.

وفي التفسير: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ بأشرافكم، والعرب تقول للرجل الفاضل هذا طريقة قومه، ونظيرة قومه، ونظورة قومه. كل هذا للرجل الفاضل. وإنما تأويله هذا الذي ينبغي أن يجعله قومه قدوةً ويسلكوا طريقته. والذي قال أيضاً: هذا نظورة قومه ونظيرة قومه، معناه هذا الذي ينبغي أن ينظر إليه قومه^(٢) وأن يتبعوه.

والذي عندي - والله أعلم - أن في الكلام محذوفاً يدل عليه ما بقي، إنما المعنى يذهبا بأهل طريقتهما المثلى، كما قال الله عز وجل: ﴿وَاسْأَلِ

(١) أي يعامل المثلى معاملة المقصور.

(٢) ينظر إليه قومه يقلدونه.

الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا»^(١)، معناه وأسأل أهل القرية، وكذلك قول العرب: هذا طريقة قومه معناه هذا صاحب طريقة قومه.

وقوله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

تأويله اخترتك لإقامة حُجَّتِي، وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمتزلة التي أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾.

وقرئت فاجمعوا كيدكم، فمن قرأ فأجمعوا بقطع الألف، فمعناه ليكن عزمكم كلكم على الكيد مُجْمَعاً عليه [أي] لا تَخْتَلِفُوا فتختلوا. ومن قرأ فاجمعوا فمعناه جيئوا بكل كيد تقدرُون عليه، ولا تبقوا منه شيئاً.

وقوله: ﴿ثُمَّ اثْنُوا صَفًّا﴾.

معناه اثنوا الموضع الذي تجتمعون فيه لإعيدكم وصلاتكم، يقال: أتيت صفاً بمعنى أتيت المصلى، ويجوز أن يكون «ثم اثنوا صفاً» ثم اثنوا مصطفين مجتمعين ليكون أنظماً لأموركم، وأشد لهيئتكم.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾.

ومعنى ﴿مَنْ اسْتَعْلَى﴾ من علا بالغلبة.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾.

ولم يقل ههنا «فألقوا» فإذا حبالهم، لأنه قد جاء في موضع آخر، ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم﴾^(٢). ويجوز في عَصِيٍّ عَصِيٍّ، والكسر أكثر، والأصل

(١) يوسف الآية ٨٢.

(٢) سورة الشعراء الآية ٤٤.

الضَّمُّ (١) إلا أن الكسر يثقل بعد الضم فلذلك اختير كسر العين .

ويروى في التفسير أن السحرة كانوا يومئذ (٢) سبعين ألف ساحرٍ معهم سبعون ألف حبلٍ وسبعون ألف عصا، فأوحى الله إلى موسى حين خيّل إليه من سحرهم أنها تسعى أن يُلْقِيَّ عَصَاهُ فإذا هي ثعبانٌ مُبِينٌ فَأَغْرَ فَاهُ فابتلع جميع تلك الحبال، وقرئت ﴿فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ .

وموضع أن على هذه القراءة رفع، المعنى يخيل إليه سعيها، ويقرأ «تُخَيِّلُ» بالتاء، وموضع أن على هذه القراءة يجوز أن يكون نصباً، ويجوز أن يكون رفعاً، فأما النصب فعلى معنى يخيل إليه أنها ذات سعيٍ ويجوز أن يكون مرفوعاً على البدل على معنى يخيل إليه سعياتها، وأبدل أنها تسعى من المضممر في يخيل لاشتماله على المعنى، ويكون إليه الخبر على هذا التقدير . .

ومثل ذلك ما حكاه سيويه يقال: مالي بهم علمٌ أمرهم، أي مالي علمٌ بأمرهم، ومثل ذلك من الشعر: (٣)

وذكرت تَقْتَدِرْدَ مائها

المعنى وذكرت برْدَ ماءٍ تَقْتَدِ .

(١) لأنه فعول .

(٢) في الأصل يومئذ يومئذ، وهو سهو من الكاتب .

(٣) رجز ينسب لأبي حمزة الفقعسي: يصف إبلا بأنها اشتد ظمؤها وتخرّ دمهـا وتغير لونه، وظهر ذلك في عروقها، حينئذ تذكر تقـتد، وهي ماء من مياه بني سعد بن بكر بن هوازن - وقبل هذا البيت:

حتى إذا ما تم من إظـمائها وَعَتَكَ الْجَوْلُ على أنسائها
أي تغير لونه بالحـمرة، والأنساء عروق في باطن الفخذ واحدها نساء .

انظر ما كتبه محقق كتاب سيويه، والمراجع التي رجع هو إليها (كتاب سيويه ١٥١/١) .

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا﴾.

ويقرأ كيد سحر، ويجوز إنما صنعوا كيد ساجر، ويجوز كيد ساجر بنصب الدال. فمن قرأ «أنما» نصب «أنما» على معنى تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا لِأَنَّ مَا صَنَعُوا كِيدَ سَاحِرٍ^(١)، ولا أعلم أحداً قرأها هنا «أنما»، والقراءة بالكسر، وهو أَبْلَغُ فِي الْمَعْنَى.

فأما رفع كيد فعلى معنى أن الذي صَنَعُوهُ كِيدٌ سَاحِرٌ عَلَى خِبرِ إِنْ وَ «مَا» اسم، ومن قرأ كيد ساجر جعل «ما» تمنع «إِنْ» الْعَمَلِ، وَتَسَوُّغٌ لِلْفِعْلِ أَنْ يَكُونَ بعدها، وَيَتَنَصَّبُ «كِيدُ سَاحِرٍ» بِصَنَعُوا، كما تقول: إِنَّمَا ضَرَبْتُ زَيْدًا^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾.

قالوا معناه حيث كان، وقيل معناه حيث كان الساحر يجب أن يُقْتَلَ، وكذلك مذهب أهل الفقه في السحرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً [مُوسَى]﴾.

وأصلها خِوْفَةٌ، ولكن الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها.

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِهِ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾.

و «تَلَقَّفَ» القراءة بالجزم جواب الأمر، ويجوز الرفع على معنى الحال، كأنه قال أَلْقَاهَا مُتَلَقِّفَةً، على حال مُتَوَقَّعَةٍ، ولم يقرأ بها، ولا ينبغي أن يقرأ بما لم تتقدم به قراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا﴾.

﴿سُجُودًا﴾ منصوب على الحال، وهي أيضاً حال مقدرة، لأنهم خروا

وليسوا ساجدين، إنما خروا مقدرين السجود.

(١) فتح همزة إنما لأنها مجرورة تقديرأ واللام محذوفة.

(٢) أي ما صنعوا إلا كيد ساحر.

وقوله: ﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾.

معناه على جدوع النخل، ولكنه جاز أن تقع «في» ههنا لأنه في الجذع على جهة الطول، والجذع مُشْتَمِلٌ عليه فقد صار فيه، قال الشاعر: (١)

همو صلبوا العبدِي في جذع نخلةٍ فلا عطستُ شيان إلا بأجدعاً
قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

«أي» رفعت لأنها وضعت موضع الاستفهام، ولا يعمل ما قبل أي فيها لأن ما قبلها خبر وهي استفهام، فلو عمل فيها لجاز أن يعمل فيما بعد الألف في قولك: قد عَلِمْتُ أزيدُ في الدار أم عمرو.

وقوله: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾.

موضع الذي خفض، المعنى لن نُؤْثِرَكَ على الله، ويجوز أن يكون «الذي» خَفَضاً على القسم، ويكون المعنى لن نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من الْبَيِّنَاتِ وَاللَّهِ، أي نحلف بالله (٢).

قوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾.

[أي] اصنع ما أنت صانع، قال أبو ذؤيب:

(١) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري، صاحب العينية التي كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة - وأولها:

بطت رابعة الحبل لينا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وينسب سويد إلى ذبيان أيضاً - قيل إن أمه كانت زوجاً لرجل من ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوجها أبوه أبو كاهل وقد هجأه زياد الأعجم بهذا، ويقال إنه ولد في بني ذبيان وتزوجت أمه وهو يافع فاستلحقه أبو كاهل وادعاه وقد كان جاراً لبني شيبان فأساءوا جواره وله فيهم أهاج، وهذا البيت منها وأخبار سويد بالجزء الثالث عشر من الأغاني ط دار الكتب ص ١٠٢ وما بعدها والبيت في اللسان (عبد) منسوباً له. وفي شواهد المغني ٤٩٧ بيروت والكامل ٤٩٨، والطبري ١٦/١٢٧.

(٢) ويقدر مقسم عليه محذوف، والتقدير وحق الذي فطرنا لن نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا.

وعليهما مسرودتانٍ قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبَعُّ^(١)
وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

القراءة بالنصب - الحَيَاةُ الدُّنْيَا - ويجوز إنما تقضي هذه الحياة الدنيا بالرفع، تأويله أن الذي تقضيه متاع الحياة الدنيا، ولا أعلم أحداً قرأها بالرفع.

وقوله: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى لتغفر لنا خطايانا وإكراهك إيانا على السحر، ويروى أن فرعون أكرههم على تعلم السحر.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

أي الله خير لنا منك وأبقى عذاباً لأنهم قالوا هذا له جواب قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَاضْرِبْ لَهُم مَّحَلًّا يَكُونُوا﴾.

ويجوز يابساً وييساً، بتسكين الباء، فمن قال يابساً جعله نعتاً للطريق، ومن قال ييساً فإنه نعته بالمصدر المعنى طريقاً ذا ييسٍ، يقال ييس الشيء يَيْسُ وَيَيْسُ يَيْساً، وَيَيْساً وَيَيْساً، ثلاث لغات في المصدر.

وقوله: ﴿لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى﴾.

ويجوز: لَا تَخَفْ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى، فمن قرأ لا تخاف، فالمعنى لست

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. يصف رجلين يتأهبان للبراز - من عينته التي رثى بها أولاده والمسرودتان درعان، وقضاهما أي صنعهما، وداود هو النبي داود عليه السلام، وتبع من ملوك حمير. وخطأ الأصمعي أبا ذؤيب في هذا لأن تبعاً لم يكن يصنع الدروع وإنما كان يأمر بعملها - انظر ديوان الهذليين ١٩/١، والطبري ٥٦/١١ ومجاز أبي عبيدة ٢٧٥/١.

تخاف دَرَكًا، ومن قال لا تخف دَرَكًا فهو نهى عن أن يخاف، ومعناه لا تخف أن يدركك فرعون ولا تخشى الغرق.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾.

ويقرأ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بجنوده، فمن قرأ فَاتَّبَعَهُمْ ففيه دليل أنه أَتَبَعَهُمْ ومعه الجنود، ومن قرأ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بجنوده فمعناه أَلْحَقَ جُنُودَهُ بِهِمْ. وجائز أن يكون معهم على ذا اللفظ وجائز ألا يكون إلا أنه قد كان معهم.

﴿فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيَهُمْ﴾.

اليَم البحر، والمعنى فغشيهم من اليم ما غرقهم وقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [هَوَى].

ويقرأ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي. فمن قرأ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ فمعناه فيجب عليكم^(١)، ومن قرأ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ فمعناه فينزل عليكم والقراءة: ومن يَحِلُّ بكسر اللام أكثر.

﴿فَقَدْ هَوَى﴾

أَي هَلَكَ وصار إلى الهاوية، وهي قَعْرُ نار جهنم.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾. أَي تاب من ذنبه، وآمن بربه وعمل بطاعته، ثم اهتدى، أي ثم أقام على إيمانه.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾.

﴿أُولَاءِ﴾ مبني على الكسر، ﴿على أثري﴾ من صلة ﴿أُولَاءِ﴾، ويجوز أن يكون

(١) من حل يحل له أو عليه بمعنى استحق له أو عليه، أي حق أن يكون كذلك.

خَبْرًا بَعْدَ خَبِيرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: هُم عَلَى أَثَرِي هَاؤُلَاءِ، وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ صَلَةً، وَرَوَيْتُ أَوْلَايَ عَلَى أَثَرِي وَلَا وَجْهَ لَهَا، لِأَنَّ الْيَاءَ لَا تَكُونُ بَعْدَ الْأَلْفِ آخِرَةً إِلَّا لِلإِضَافَةِ نَحْوِ هَدَايَ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْقُرَاءِ الْمَشْهُورِينَ قَرَأَ بِهَا وَذَكَرَهَا الْقُرَاءُ، وَلَا وَجْهَ لَهَا.

قوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.
أَيِ الْقَيْنَانُ هُمْ فِي فِتْنَةٍ وَمِخْنَةٍ، وَاخْتَبَرْنَا هُمْ.
﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

قال بعض أهل التفسير: السَّامِرِيُّ عَلِيجٌ مِنْ أَهْلِ كِرْمَانَ، وَالْأَكْثَرُ فِي التفسير أَنَّهُ كَانَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبِيلَةٍ تَعْرِفُ بِالسَّامِرَةِ. وَهُم إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ فِي الشَّامِ يَعْرِفُونَ بِالسَّامِرِيِّينَ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَضَبَانَ أَسيْفًا﴾.
أَسِيفٌ شَدِيدُ الْحُزَنِ مَعَ غَضَبِهِ.
وقوله: ﴿أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

القراءة فيها بالكسر [فِي حَاءٍ يَحِلُّ] عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكُمْ، فَالضَّمُّ يَجُوزُ فِيهَا عَلَى مَعْنَى أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ.
﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾.

يَجُوزُ الضَّمُّ وَالْكَسْرُ وَالْفَتْحُ فِي الْمِيمِ. بِمَلِكِنَا، وَبِمَلِكِنَا، وَبِمَلِكِنَا.
فَأَصْلُ الْمَلِكِ السُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ، وَالْمَلِكُ مَا حَوَتْهُ الْيَدُ، وَالْمَلِكُ الْمَصْدَرُ.
تَقُولُ: مَلَكَتِ الشَّيْءَ أَمْلِكُهُ مَلَكًا. وَقِيلَ فِي بَعْضِ التفسيرِ: مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِأَنْ مَلَكَتْنَا الصَّوَابَ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِسُلْطَانٍ كَانَ لَنَا وَلَا قُدْرَةَ، ثُمَّ أَخْبَرُوا سَبَبَ تَأْخِرِهِمْ عَنْهُ فَقَالُوا:
﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾.

ويقرأ حُمِلْنَا أوزاراً، بتشديد الميم وكسرها، يعنون بالأوزار حُلِيًّا كانوا أخذوها من آل فرعون حين قذفهم البحرُ فَأَلْقَاهُمْ عَلَى سَاحِلِهِ، فأخذوا الذهب والفضة، وسميت أوزاراً لأن معناها الأثام، وجائز أن يكون سُمِّيتْ أوزاراً يعنون بها أثقالاً، لأنَّ الوِزَرَ في اللغة الحِمْلُ، وسُمِّيَ الإِثْمُ وَزْراً لأن صاحبه قد حُمِلَ بها ثِقلاً، قال الله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(١). فقالوا: حملنا حُلِيًّا فقذفناها في النار، وكذلك فعل السَّامِرِيُّ، أي ألقى حُلِيًّا كان معه.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوراً﴾.

واختلف في تفسير خُورِهِ، ف قيل إنه كان يَخُورُ كما يَخُورُ الثورُ من الحيوان، فإذا خار سجدوا له، وإذا عاد الخُورُ رَفَعُوا من السجود، وقال بعضهم: إنما خار خُورَةً واحدةً، ودليله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

وقال مجاهدٌ: خُورُهُ حَفِيفُ الرِّيحِ إِذَا دَخَلَتْ جَوْفَهُ. وَيُرَوَّى أن هارون عليه السلام مَرَّ بالسَّامِرِيِّ وهو يصنع العجل فقال له: ما تصنع. قال أصنع ما لا ينفع ولا يضرُّ، وقال: ادْعُ، فقال هارون اللَّهُمَّ أَعْطِهِ ما يَسْأَلُ كما يُجِبُّ، فسأل الله عز وجل أن يجعل للعجل خُوراً، والذي قاله مجاهدٌ من أن خُورَهُ حَفِيفُ الرِّيحِ فيه، أسرع إلى القبول لأنه شيء ممكن. والتفسير الآخر [وهو] أنه خوار ممكن في محنة الله عز وجل - أن اِمْتَحَنَ الْقَوْمَ بِذَلِكَ، وليس في خُورِ صُفْرٍ^(٢) ما يوجب عبادته لأنهم قد رأوه معمولاً مصنوعاً، فعبادتهم إياه لو خار وتكلم كما يتكلم الأدمي لم تجب به عبادته.

فقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

قيل إن السَّامِرِيَّ نَسِيَ ما كان عليه من الإيمان، لأنه نافق لما عبر

(١) سورة الانشراح / ٢ - ٣.

(٢) ذهب أونحاس.

البحر، المعنى فترك ما كان عليه من الإيمان، وقيل إن السامري قال لهم إن موسى عليه السلام أراد هذا العجل فنسي وترك الطريق الذي يصل إليه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَن لَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

كما قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَّا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾^(١)، ويجوز أن لا يرجع بنصب بأن، والاختيار مع رأيت وعلمت وظننت أن لا يفعل، في معنى قد علمت أنه لا يفعل.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمٍّ لَّا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.

يا ابن أمّ بفتح الميم، وإن شئت يا ابن أمّ - بكسر الميم - وفتحت أم والموضع موضع جرّ لأن «ابن» و«أم» جعلاً اسماً واحداً فبنى ابن وأم على الفتح، ومن قال يا ابن أمّ أضافه إلى نفسه. وفيها وجه ثالث «يا ابن أمي لا تأخذ» ولكنه لا يقرأ بها. ليست ثابتة الياء في المصحف. ومثل هذا من الشعر:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي أنت خلّيتني لذهر شديد^(٢)

ولم يجيء هذا إلا في ابن أم، وابن عم، وذلك أنه يقال لمن ليس بأخٍ لأمّ. ولا بأخ البتّة: يا ابن أمّ، وكذلك يقال للأجنبي: يا ابن عم، فلما أزيل عن بابه بني على الفتح، وإن كان قد يقول القائل لأخيه من أمه أيضاً يا ابن أمّ، فإنما أدخل أخاه في جملة من يقول له يا ابن أمّ.

وقد قيل في هارون إنه لم يكن أخاً موسى لأمه - والله أعلم -.

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٨.

(٢) لأبي زبيد الطائي يرثي أخاه لأبيه، وشقيق تصغير شقيق - صغره للحنان والرحمة، والبيت من شواهد النحو الشائعة، انظر ابن يعيش ١٢/٢ وكتاب سيويه ٢١٣/٢، والعيني ٢٢٤/٤، ومجاز أبي عبيدة ٢٥/٢.

قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ :

معنى ما خطبك ما أمرك الذي تخاطب به .

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ .

يقال: قَدْ بَصُرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ إذا كان عليمًا بالشيء، وأَبْصَرَ يُبْصِرُ إذا نظر، والتأويل علمت بما لم يعلموا به، وكان رأى فرس جبريل عليه السلام فقبض قبضة من تراب حافر الفرس، يقال: قبضت قبضةً، وَقَبَضْتُ قَبْضَةً - بالصاد غير معجمة - فالقُبْضَةُ بجملة الكف، والقبضة بأطراف الأصابع. ويقرأ بالصاد والضاد، وفيه وجه آخر لم يقرأ به فيما علمت، يجوز فقبضت قَبْضَةً وَقَبْضَةً، ولكن لا يجوز القراءة بها - إن كان لم يقرأ بها - فالقُبْضَةُ قبض الشيء مرة واحدة، والقُبْضَةُ مَقْدَارٌ مَا يَقْبِضُ، ونظير هذا قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾^(١)، وعُرْفَةٌ بِيَدِهِ .

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ .

أَلْقَيْتُهَا فِي الْعِجْلِ لَتَخُورَ .

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ .

أي زَيَّنْتُ لِي نَفْسِي، ومثله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾^(٢) .

﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ .

وَأَنَّ لَكَ، ويجوز لا مَسَاسٍ وَأَنَّ لَكَ - بفتح الميم وكسر السين الآخرة على وزن دَرَاكِ وَتَرَاكِ^(٣)، والتأويل أن موسى عليه السلام حرم مُخَالَطَةَ السَامِرِيِّ، فالمعنى إنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك، فمن قرأ لا

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٩ .

(٢) سورة القتال الآية ٢٥ .

(٣) فتكون علماً مبنياً على الكسر مثل حذام .

مَسَاسٌ - بفتح السين الأخيرة فهو منصوب على البدء به^(١)، ومن قال: لا مَسَاسَ فهو مبني على الكسْرِ، وهو نفي وقولك مَسَاسٍ، أي مَسَاسِ القوم تأمر بذلك، فإذا قلت لا مَسَاسَ فهو نفي ذلك، وبنيت مَسَاسَ على الكسر وأصلها الفتح لمكان الألف، ولكن مَسَاسٍ ودرَكٍ مؤنث، فاختر الكسر لالتقاء الساكنين لأنك تقول في المؤنث فعَلْتَ يا امرأة، وأعطيتك يا امرأة.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفُهُ﴾.

ولن تُخْلَفُهُ، فمن قرأ لن تخلفه فالمعنى^(٢) يكافئك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعادَ، ومن قرأ لن تخلفه فالمعنى إنك تبعث وتوفي يوم القيامة، لا تقدر على غير ذلك، ولن تُخْلَفَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾.

وظَلْتَ بفتح الظاء وكسرها، فمن فتح فالأصل فيها ظَلِلْتَ، ولكن اللام حُذِفَتْ لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ ظَلْتَ - بالكسر - حَوَّلَ كسرة اللام على الظاء، وقد يجوز في غير المكسور نحو أَحَسْتُ تريدُ أَحَسَسْتُ، وقد حُكِيَتْ هَمْتُ بذلك، تريد هَمَمْتُ ومعنى عاكف مُقِيمٌ، وعاكف منصوب خبر ظلت، ليس بمنصوبٍ على الحال.

وقوله: ﴿لَنُحْرِقَنَّ﴾.

ويقرأ لَنُحْرِقَنَّ أي لَنَحْرِقَنَّ بالنار، فإذا شَدَّدَ فالمعنى نُحْرِقُهُ مرةً بعد مرةً، وقرئت لَنَحْرِقَنَّ، وتأويله لَنَبْرُدَّهُ بالمِبْرَدِ، يقال حَرَقْتُ أَحْرَقْتُ وأَحْرَقْتُ إذا بردت الشيء. ولم يقرأ لنَحْرِقَنَّ، ولو قرئت كانت جائزة.

(١) اسم «لا» مبني على الفتح.

(٢) الله وعدك به ولن يخلفك الله ما وعدك.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾.

اليَمُّ الْبَحْرُ، والنسف التذرية.

وقوله: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾.

المعنى ساء الوزر لهم يوم القيامة، و﴿حِمْلًا﴾ منصوب على التمييز.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

قد جرى تفسيره فيما مضى. وأكثر ما يذهب إليه أهل اللغة أن الصور

جمع صورة.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرَ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾.

قل عطاشا وقل غمياً، يخرجون من قبورهم بُصراء كما خلقوا أول مرة ويعمّون في المحشر، وإنما قل زُرْقًا لأن السواد^(١) يزرق إذا ذهب نواظرهم، ومن قال عطاشا فجيّد أيضاً، لأنهم من شدة العطش يتغير سواد أعينهم حتى يزرق.

وقوله - عز وجل - : ﴿تَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾.

أصل الخفوت في اللغة السكون، والتخافت ههنا السرا، فالمعنى أنهم يتسارون بينهم.

وقوله عز وجل : ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾.

أي أعلمهم عند نفسه بما يقول

﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، معناه ما لبثتم إلا يوماً

وقوله : ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

النسف التذرية

تصير الجبال كالهباء المنثور، تذرئ تذرية.

(١) سواد أعينهم يتحول إلى زرقة - فالمعنى - إذن - نحشرهم زرق العيون.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾.

القاع من الأرض المكان الذي يعلوه الماء، ويُقال المكان الطيب والصفصف، المستوي من الأرض.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

العِوَج في العصا والجبل ألا يكون مستويًا، والأمت أن يغلظ مكان ويدق مكان.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعِوَجَ لَهُ﴾.

المعنى لا عِوَجَ لَهُم عن دُعَائِهِ، لا يقدرُونَ أَنْ لَا يَتَّبِعُوا

وقوله - عز وجل - : ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

الهَمْسُ في اللغة الشيء الخفي، والهَمْسُ - ههنا - في التفسير صوت وطء الأقدام.

وقوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾.

معنى عَنَتِ في اللغة خَضَعَتْ، يقال عنا يعنو إذا خضع، ومنه قيل أُخِذَتِ الْبِلَادُ عُنُوً، إذا أُخِذَتْ غَلَبَةً، وأُخِذَتْ بخضوعٍ من أهلها.

وقوله - عز وجل - : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ما بين أيديهم من أمر القيامة، وجميع ما يكون، وما خلفهم ما قد وقع من أعمالهم.

وقوله - عز وجل - : ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

الهَضْمُ النقص، يقال فلان يهضمني حَقِّي أي ينقصني، وكذلك هذا شيء يهضمُ الطعام، أي ينقص ثِقَلَتَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

﴿فَنَسِيَ﴾ ههنا معناه فترك، لأن النَّاسِيَ لا يُؤَاخِذُ بِنِسْيَانِهِ، وجاء في الحديث: لو وُزِنَ حلم بني آدم مُدَّ كان آدم إلى أن تُقَوِّمَ السَّاعَةُ ما وَفَى حِلْمُ جَمِيعٍ مِنْ وَلَدِهِ وَحَزْمُهُمْ بحلم آدم وَحَزْمِهِ - ﷺ.

وقال عز وجل: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

وقوله - سبحانه - : ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾.

يجوز وإنك بالكسر، وأنك بالفتح، فإذا كسرت فعلى الاستئناف وعطف جملة كلام على جملة، وإذا فتحت فعلى معنى إن لك «أَنْ لَا» تظماً فيها، فَتَنْسُقُ بِأَنَّكَ عَلَى «أَنْ لَا تَجُوعَ». ويكون أنك عَلَى هَذَا الْقَوْلِ في موضع نصب. ويجوز أن يكون في موضع رفع، والعطف على اسمٍ إن وأنَّ، لأن معنى إن زیداً قائم زید قائم فالمعنى ذلك إنك لا تظماً فيها، ومعنى ﴿لَا تَظْمَأُ﴾ لَا تَعْطَشُ، يقال ظمىء الرجل يظماً ظماً فهو ظمآن بمعنى عطشان، ومعنى ﴿لَا تَضْحَى﴾ وَلَا تُصَيِّكُ الشَّمْسُ، ولا تَبْرُزُ يقال ضحى الرجل يَضْحَى إذا بَرَزَ إلى الشمس، قال الشاعر^(١):

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي، وأما بالعشي فيخصرُ

ومعنى يخصر يُصَيِّبُهُ الْخَصَرُ وهو شدة البرد، وبلوغه الأطراف.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.

الضَّنْكَ أَصْلُهُ فِي اللَّغَةِ الضِّيقُ وَالشَّدَّةُ، ومعناه - والله أعلم - أن هذه المعيشة الضنك فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وأكثر ما جاء في التفسير أنه عذابُ القبر.

(١) عمر بن أبي ربيعة - من رائيته المعروفة، انظر الأغاني ح ١ ص ٧٢، ٨٢ ط دار الكتب. وهي في ديوانه ص ٩٤ (ت محي الدين) - وانظر اللسان (صحو).

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

مثل ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً، وقيل أعمى عن حجته، وتأويله أنه لا حجة له يهتدي إليها، لا أن له حجة، وأنه يعمى عنها. ما للناس على الله حجة بعد الرسل^(١)، ولله الحجة البالغة وقد بشر وأنذر، ووعد وأوعد.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

أي لعل الوعيد يحدث لهم تذكّر العذاب، فيزجرهم عن المعاصي وقيل: ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ [أي] شرفاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

أي من قبل أن يُبين لك بيانه، ويقرأ من قبل أن يُقضى إليك وحيه بالنون، ويجوز من قبل أن يُقضى إليك وحيه، أي من قبل أن يقضي الله إليك وحيه، ولم تُقرأ «تقضي» وقرئت يُقضى وتُقضى - بالياء والنون.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ أي كذلك ترك في النار كما تركت آياتنا.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

قرئت بالنون والياء، فمن قرأ بالنون فمعناه أفلم نبين لهم بياناً يهتدون به، ومن قرأ أفلم يهد - بالياء - فالمعنى أفلم يُبين لهم الأمر بإهلاك من قبلهم من القرون، و «كم» في موضع نصب بأهلكنا، وكانت قريش تتجر وتري مساكن عاد وثمود وبها علامات الإهلاك، فذلك قوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ ويجوز في مَسَكِينِهِمْ، أي في موضع سُكْنَاهُمْ ولم يقرأ بها، ويقرأ: يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ بالتشديد.

(١) بعد أن أرسل الله الرسل لم يبق لإنسان أن يحتج لعدم قبوله رسالتهم.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ .

أي لذوي العقول والمعرفة، يقال: فلان ذو نُهيّة إذا كان له عقل ينتهي به عن المقايح .

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ .

أي لكان القتل الذي نالهم لازماً أبداً، ولكان العذاب لازماً لهم .
﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ .

معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ المعنى لولا كلمة سَبَقَتْ وَأَجَلٌ مسمى [لكان لازماً] يُعْنَى بالأجل المسمى أن الله وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وذلك قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾^(١) .

وقوله: ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ .
وذلك وقت الغداة والعشي .

﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ .

الآثاء الساعات، وواحد الآثاء إثنى - وقد بيناه فيما مضى .

﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ .

وأطراف النهار الظهر والعصر .

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ ، ويقراً تُرَضَى .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ .

أي رجالاً مِنْهُمْ .

﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

وَزَهْرَةٌ جميعاً - بفتح الهاء وتسكينها - وزهرة منصوب بمعنى مَتَّعْنَا لِأَنَّ

معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة .

(١) سورة القمر ٤٦ .

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

أي لنجعل ذلك فتنه لهم
وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.
معناه هلا يأتينا بآية [من ربّه] وقد أتتهم البينات والآيات ولكنهم
طلبوا أن يقترحوا هم ما يريدون من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى﴾. يجوز فيها يُذَلُّ ويُخْزَى.
وقوله عز وجل: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾.

«مَنْ» في موضع رفع، ولا يجوز أن يعمل فيها فسَتَعْلَمُونَ، لأن معناه
معنى التسوية، المعنى فسَتَعْلَمُونَ أصحاب الصراط السوي نَحْنُ أم هُمْ، فلم
يَعْمَلْ فسَتَعْلَمُونَ لأن لفظ الكلام لفظه لفظ الاستفهام، ومعنى ﴿أَصْحَابُ
الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ أَصْحَابُ الطريق المستقيم، وَيَجُوزُ من أصحاب الصراط
السَّوِيِّ ومن اهتدى.

﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾.

أي فسيعلمون من أصحاب الطريقة السَّوِيِّ ومن المهتدي.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.
معناه اقتربت القيامة، ومثله: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١)، والمعنى - والله أعلم - اقترب للناس وقت حسابهم.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾.
الحفّضُ القراءة، ويجوز في غير القراءة مُّحَدَّثًا ومُّحَدَّث. النصب على الحال، والرفع بإضمار هو.
﴿لَا هِيَّةَ قُلُوبُهُمْ﴾.

معطوف على معنى ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. معناه استمعوه لاعبين
لا هية قلوبهم، ويجوز أن يكون ﴿لَا هِيَّةَ قُلُوبُهُمْ﴾ منصوباً بقوله ﴿يلعبون﴾.
﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

في ﴿أَسْرُوا﴾ قولان أجودهما أن يكون ﴿الذين ظلموا﴾ في موضع رفع بدلاً من
الواو من أسروا ومبيناً عن معنى الواو. والمعنى الا استمعوه وهم يلعبون
وأسروا النجوى، ثم بين من هم هؤلاء فكان بدلاً من الواو. ويجوز أن يكون

(١) أول سورة القمر.

رفعاً على الذم على معنى هم الذين ظلموا. ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ على معنى أعني الذين ظلموا.

وقوله: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

بَيَّنَّ مَا أَسْرَوْهُ، وَالْمَعْنَى قَالُوا سِرًّا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، يَعْنُونَ النَّبِيَّ ﷺ أَعْلَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأُطْلِعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قِيلِهِمْ، وَسَرَّهُمْ.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

وَقَرِئَتْ قُلُوبُ رَبِّي [يَعْلَمُ الْقَوْلَ] وَقَالَ رَبِّي

وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

أَي قَالُوا: الَّذِي يَأْتِي بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ. وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَهَاوِيلُ^(١) أَحْلَامَ، وَالْأَضْغَاثُ فِي اللُّغَةِ الْأَشْيَاءُ الْمُخْتَلِطَةُ.

﴿بَلْ افْتَرَاهُ بَلٌّ هُوَ شَاعِرٌ﴾.

أَي أَخَذُوا يَنْقُضُونَ أَقْوَالَهُمْ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَقُولُونَ مَرَّةً: هَذِهِ أَحْلَامٌ، وَمَرَّةً هَذَا شَعْرٌ وَمَرَّةً مَفْتَرَى.

﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾.

فَاقْتَرَحُوا الْآيَاتِ الَّتِي لَا يَقَعُ مَعَهَا إِمْهَالٌ إِذَا كُذِّبَ بِهَا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿مَا آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

أَي مَا آمَنَ أَهْلُ قَرْيَةٍ أَتَتْهُمْ هَذِهِ الْآيَاتُ حَتَّى أَوْجَبَ اللَّهُ اسْتِثْصَالَهُمْ وَإِهْلَاكَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَاللَّهُ جَعَلَ مَوْعِدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقِيَامَةَ، فَقَالَ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ

(١) أَهَاوِيلُ وَتَهَاوِيلُ: رَوَى وَصُورٌ غَيْرُ حَقِيقَةٍ.

موعِدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿١﴾ وَاللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُم الْآيَاتِ الَّتِي تَبَيَّنُوا بِهَا نَبْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي دُعُوا أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَمِنْ انشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فظهر أهل الإسلام حتى صاروا أكثر من كل فرقة فليس أهل ملة واحدة لهم كثرة أهل الإسلام، وأظهره الله أيضاً بالحجة القاطعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾. أي سَلُوا كل من يقر برسول الله ﷺ من أهل التوراة والإنجيل. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي إن كنتم لم تعلموا أن الرسل بشر. وهذا السؤال والله أعلم لمن كان مؤمناً من أهل هذه الكتب^(٢)، لأن القبول يكون من أهل الصدق والثقة. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾.

﴿جَسَداً﴾ هو واحد ينبيء عن جماعة، أي وما جعلناهم ذوي أجساد إلا ليأكلوا الطعام، وذلك أنهم قالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾^(٣) فأعلموا أن الرسل أجمعين يأكلون الطعام، وأنهم يموتون وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

أي فيه تذكرة لكم بما تلقونه من رحمة أو عذاب، كما قال عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾^(٤) وقد قيل ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فيه شرفكم. وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾.

(١) سورة القمر. الآية ٤٦.

(٢) أي أن السؤال يوجه للمؤمنين من أهل الكتاب.

(٣) سورة الفرقان. (٤) سورة المدثر.

«كم» في موضع نصب بقَصَمْنَا، ومعنى قصمنا أهلكنا وأذهبنا، يقال
قصم الله عُمرَ الكافرِ أي أذهبهُ

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ .

أي يهربون من العذاب .

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ .

جاء في التفسير أنه قيل لهم ذلك على جهة الاستهزاء بهم، وقيل
لعلكم تسألون شيئاً مما أُتْرِفْتُمْ فيه، ويجوز لعلكم تسألون فتجيئون عما
تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وَمَا أُتْرِفْتُمْ فيه .

وقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ .

«ويل» كلمة تقال لكل من وقع في هَلَكَةٍ، وكذلك يقولها كل من وقع
في هلكة .

وقوله: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ .

أي ما زالت الكلمة التي هي قولهم: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ دعواهم .
يجوز أن تكون ﴿تلك﴾ في موضع رفع اسم زالت و﴿دعواهم﴾ في موضع نصب خبر
زالت وجائز أن يكون ﴿دعواهم﴾ الاسم في موضع رفع، و﴿تلك﴾ في موضع
نصب على الخبر لا اختلاف بين النحويين في الوجهين .

وقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَتَّخِذَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ .

اللَّهُوَ في لَعَةٍ حَضَرَمَوْتُ الولد، وقيل اللهو المرأة، وتأويله أَنَّ الْوَلَدَ لَهُوَ
الدُّنْيَا، فلو أردنا أَنْ نَتَّخِذَ ذَا لَهُوَ يُلْهَى بِهِ، ومعنى، ﴿لَا تَتَّخِذَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي
لاصطفيناه مما نخلق .

﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ .

معناه ما كنا فاعلين . وكذلك جاء في التفسير . ويجوز أن يكون للشرط ، أي **إِنْ كُنَّا مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ** ولسنا ممن يفعله . والقول الأول قول المفسرين ، والقول الثاني قول النحويين ، وهم أجمعون يقولون القول الأول ويستجيّدونه ، لأن **«إِنْ»** تكون في معنى النفي ، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام تقول : **إِنْ كُنْتَ لَصَالِحًا** ، معناه **مَا كُنْتَ إِلَّا صَالِحًا**^(١) .

وقوله : **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾** .

يعنى بالحق القرآن على باطلهم **﴿فيدمغه﴾** فيذهب به ذهاب الصغار والإذلال .

﴿فَإِذَا هِوَرَاهِقٌ﴾ .

أي ذاهب .

﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ .

أي **مِمَّا تَكْذِبُونَ** في وصفكم في قولكم **إِنَّ لِلَّهِ وَلَدًا** .

وقوله : **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾** .

أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أولاد الله - عز وجل - عباد الله ، وهم الملائكة .

وقوله : **﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾** .

أي لا يعيّن ، يُقال **حَسِرَ** واستحسر إذا تعب وأعيا ، فالملائكة لا يعيّن .

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ .

أي لا يشغلهم عن التسبيح رسالة ، ومجرى التسبيح منهم كمجرى

(١) في هذا المثال ليست أن نافية وإنما هي مخففة من الثقيلة . أما النافية فيكثر مجيء «إلا» بعدها - نحو أن هذا إلا بشر مثلكم .

النفس منا، لا يشغلنا عن النفس شيء، فكذلك تسيبهم دائم.

وقوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾.

وَيُنشِرُونَ، فمن قرأ يُنشِرُونَ فمعناه أم اتخذوا آلهة يُحيُونَ الموتى، يقال: أَنتَر الله الموتى وَنَشَرُوا هُمْ^(١)، ومن قرأ يُنشِرُونَ بفتح الياء، فمعناه: أم اتخذوا آلهة لا يَمُوتُونَ يَحْيُونَ أَبَدًا.

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

﴿فيهما﴾ في السماء والأرض، وَ «إِلَّا» في معنى «غير»، المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا، فـ «إِلَّا» صفة في معنى غير، فلذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها قال الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه لَعَمْرُأبيك إِلَّا الْفَرَقْدَانُ^(٢)

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سبحان الله﴾ معناه تنزيه الله من السوء، وقد فسرنا ذلك. وهذا تفسير عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

أي لَا يُسْأَلُ في القيامة عن حكمه في عبادته، وَيُسْأَلُ عِبَادُهُ عن أعمالهم سؤال مُوَبَّخٍ لمن يستحق التوبيخ، ومُجَازِيًا بالمغفرة لمن استحق ذلك، لأن الله عز وجل قد علم أعمال العباد، ولكن يسألهم إيجاباً للحجة عليهم، وهو

(١) أي نشر هو مطاوع أنشر.

(٢) لعمر بن معد يكرب الزبيدي، وقيل لغيره. انظر الخزانة ٥٣/٢، شواهد المغني ٧٨ والانصاف ١٢٣، وهو من الأبيات الشائعة.

قوله: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١). أي سؤال الحجة التي ذكرنا، فأما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(٢) فهذا معناه لا يسأل عن ذنبه ليستعلم منه، لأن الله قد علم أعمالهم قبل وقوعها وحين وقوعها وبعد وقوعها. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،

وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾.

قد أَبَانَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ في تثبيت توحيدِهِ وأن آلهتهم لا تُغني عنهم شيئاً، ثم قيل لهم: هاتوا برهانكم بأنَّ رَسُولاً من الرسل أنبأ أُمَّتَهُ بأنَّ لهم إلهاً غير الله، فهل في ذكرِ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي إلَّا توحيدُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وقد قُرِئَتْ: هذا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي، ووجهها جيّدٌ، ومعناه هذا ذكرٌ مما أنزل عليّ ممّا هو مَعِيَ، وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي.

قال أبو إسحاق: يريد بقوله «مَنْ مَعِيَ» أي من الذي عندي، أو من الذي قبلي. ثم بين فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ﴾.

و﴿نوحِي إِلَيْهِ﴾ ويجوز يُوحِي إِلَيْهِ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾.

يعني الملائكة وعيسى بن مَرْيَمَ عليه السلام. والذي في التفسير أنهم الملائكة، ولو قرئت بل عباداً مُكْرَمِينَ لم يجز لمخالفة المصحف، وهي في العربية جائزة ويكون المعنى: بل اتَّخَذَ عِبَاداً مُكْرَمِينَ، والرفع أجود وأحسن قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾.

(١) سورة الصافات / ٢٤.

(٢) سورة الرحمن الآية ٣٩.

قال «كانتا» لأن السموات يعبر عنها بلفظ الواحد، وأن السموات كانتا سماء واحدة، وكذلك الأرضون كانت أرضاً واحدة، فالمعنى أن السموات كانتا سماء واحدة مُرْتَقَّةٌ ليس فيها ماء، ففتق الله السماء فجعلها سَبْعاً وجعل الأرض سَبْعَ أرضين.

وجاء في التفسير أن السماء فتقت بالمطر، والأرض بالنبات، وَيَدُلُّ على أنه يراد بفتقها كون المطر فيها قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

وقيل رَتَقًا ولم يَقُلْ رَتَقَيْنِ، لأن الرتق مَصْدَرٌ. المعنى كانتا ذَوَاتِي رَتَقٍ فَجُعِلَتَا ذَوَاتِي فَتَقٍ. ودلّهم بهذا على توحّيده - جلّ وعزّ - ثم بَكَّتَهُمْ فقال: ﴿أَفَلَا يَؤْمِنُونَ﴾.

وقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

المعنى كراهة أن تميد بهم، وقال قوم: معناه ألا تميد بهم، والمعنى كذلك، إلا أن «لا» لا تُضْمَرُ والاسم المضاف يحذف^(١)، وكراهة أن تميد بِهِمْ يؤدي عن معنى ألا تميد بهم.

ومعنى تميد في اللغة تدور، ويقال للذي يُدَارُ بِهِ إذا رَكِبَ البحرَ مَائِدٌ، ومَيْدَى والرواسي تعني الجبال الثوابت.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾.

فِجَاجٌ جَمْعُ فِجٍّ، وهو كل منخرق بين جبلين، وَسُبُلًا طُرُقًا.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَآءًا مَحْفُوظًا﴾.

حَفِظَهُ اللهُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَى الْأَرْضِ «إِلَّا بِإِذْنِهِ» وقيل محفوظاً، أي

(١) المألوف في اللغة حذف المضاف وهو كثير، ولكن لم يؤلف حذف لا.

محفوظاً بالكواكب كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾^(١).

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾.

معناه وهم عن شمسها وقمرها ونجومها، وقد قرئت عن آيتها، وتأويله أن الآية فيها في نفسها أعظم آية لأنها مُمسكة بقدرته عز وجل، وقد يقال للذي ينتظم علامات كثيرة آية، يراد به أنه بجملته دليل على توحيد الله عز وجل.

وقوله: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

قيل يسبحون كما يقال لما يعقل، لأن هذه الأشياء وصفت بالفعل كما يوصف من يعقل^(٢)، كما قالت العرب - في رواية جميع النحويين - أكلوني البراغيث لما وصفت بالأكل قيل أكلوني، قال الشاعر^(٣):

شربت بها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا
وقوله عز وجل: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

يُقرأ مِتَّ بضم الميم، ومِتَّ بكسرها، وأكثر القراءة بالضم، وقد فسرنا ما في هذا الباب.

(١) سورة والصافات الأيتان ٥، ٦.

(٢) في الأصل «ما يعقل» والمراد أنه أسند إليها أفعال تناسب العقلاء.

(٣) للناطقة الجعدي وقيله:

وصهباء لا تخفى القزى وهي دونه تصفق في زاووقها وهي تقطب
يصفها بالصفاء، وتصفق تنقل من كأس لأخرى وتقطب تمزج بالماء وبنو نعش يريد بنات نعش
وقال بنو نعش لضرورة الشعر.

انظر اللسان - (نعش) وروايته تمزجها - وانظر أخبار النابغة الجعدي في الأغاني ح ٥ / ص ٤ وما بعدها. وذكره ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الجاهليين.

والفاء دخلت عَلَى «إِنْ» جوابَ الجزاء، كما تدخل في قولك: إِنْ زُرْتَنِي فَأَنَا أَخُوكَ، ودخلت الفاءُ على «هَمْ» لأنها جواب «إِنْ». وقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾.

«هذا» على إضمار الحكاية، المعنى وإذا رآك الذين كفروا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا يقولون أهذا الذي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ، والمعنى أهذا الذي يعيب آلِهَتَكُمْ يقال فلان يَذْكُرُ الناس أي يَغْتَابُهُمْ وَيَذْكُرُهُمْ بِالْعُيُوبِ، ويقال فلان يذكر الله، أي يصفه بالعظمة، ويُسَبِّحُ عليه ويُوَحِّدُهُ. وإنما يحذف مع الذكر ما عَقِلَ معناه، قال الشاعر^(١):

لا تذكرني فرسي وما أطعمته فيكون لَوْنُكَ مثل لون الأَجْرَبِ
المعنى لا تذكرني فرسي وإحساني إليه فتعييني بإيثاره إِيَّاهُ عليك.
وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

قال أهل اللغة: المعنى خُلِقَتِ الْعَجَلَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ، وحقيقته يدل عليها، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٢)، وإنما خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر الشيء خُلِقَتْ مِنْهُ، كما تقول: أَنْتَ مِنْ لَعِبٍ، وخلقت من لعبٍ، تريد المبالغة بوصفه باللعب.

وقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ﴾.
أي حِينَ لَا يَدْفَعُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ، وَجَوَابُ «لَوْ» محذوف، المعنى

(١) هو عترة يخاطب زوجها وكانت تلومه على عنايته بفرسه وكان يسقيها لبن الإبل - ومثل جلد الأَجْرَبِ، كناية عن تهديدها بالضرب حتى يتغير جلدُها، أو عن مفارقتها ونحاشيها كما يتحاشى الأَجْرَبِ، ويروى الأشهب، والشبهة حمرة تضرب إلى السواد، والبيت في معاني الفراء ٢٠٣/٢، واللسان (ذكر).

(٢) سورة الإسراء الآية ١١، وأولها: ﴿وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾.

لَعَلِّمُوا صِدْقَ الْوَعْدِ، لَأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

وجعل الله عز وجل الساعة موعدهم ثم قال:

﴿يَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾.

بغته فجأة وهم غافلون عنها، فتبهتهم فتحيرهم.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.

معناه - والله أعلم - من يحفظكم من بأس الرحمن، كما قال: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذاب الله (٢).

وقوله: ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

أي قد تبين لهم أنا ننقص الأرض من أطرافها، ولأن الغلبة لنا، وقد
فسرنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها في سورة الرعد، أي فالله الغالب
وهم المغلوبون، أعني حزب الشيطان.

وقوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

ويجوز ولا تسمع الصم الدعاء، والصم ههنا المعرضون عما يتلى
عليهم من ذكر الله فهم بمنزلة من لا يسمع كما قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع

وقوله تعالى: ﴿وَلِئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾.

أي إن مسهم أدنى شيء من العذاب.

﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

(١) الآية التي قبل هذه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾.

(٢) في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ الآية ٣٠.

والويل ينادى به، وينادي به كلُّ مَنْ وقع في هلكة.
وقوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿القسط﴾ العدل، المعنى ونضع الموازين ذوات القسط، وقسط مثل عدل مصدر يوصف به، تقول ميزان قسط وميزانان قسط، وموازين قسط، والميزان في القيامة - جاء في التفسير - أن له لساناً وكفتين، وتُمثَّل الأعمال بما يوزن، وجاء في التفسير أنه يوزن خاتمة العمل، فمن كانت خاتمة عمله خيراً جوزي بخير، ومن كانت خاتمة عمله شراً فجزاؤه الشر.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

نصب ﴿مِثْقَالٍ﴾ على معنى وإن كان العمل مِثْقَال حَبَّةٍ من خردل، ويقرأ وإن كان مِثْقَال حَبَّةٍ بالرفع على معنى وإن حصل للعبد مِثْقَال حبة من خردل أُتِيَ بها.

﴿[أتينا بها]﴾ معناه جئنا بها، وقد قرئت آتينا بها على معنى جازينا بها وأعطينا بها، وأتينا بها أحسن في القراءة وأقرب في أمل العفو.
﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

منصوب على وَجْهَيْنِ، على التمييز، وعلى الحال، ودخلت الباء في ﴿وكفى بنا﴾، لأنه خبر في معنى الأمر، المعنى اكتفوا بالله حسيباً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

جاء عن ابن عباس أنه يرى حذف الواو، وقال بعض النحويين معناه ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً، وعند البصريين أن الواو لا تُزَادُ وَلَا تَأْتِي إِلَّا بمعنى العطف، وتفسير الفرقان التوراة التي فيها الفرق بين الحلال

والحرام، وَ «ضِيَاء» ههنا مثل قوله: «فِيهِ هُدًى وَنُورٌ»^(١). ويجوز وذكرى
لِلْمُتَّقِينَ

وقوله: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ».

المعنى هذا القرآن ذكر مبارك.

وقوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ».

أي آتيناه هداة حَدَثًا^(٢)، وهو مثل قوله: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ
هُدَاهَا»^(٣).

وقوله: «إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ».

«إِذْ» في موضع نصب، المعنى آتيناه رُشْدَهُ في ذلك الوقت، ومعنى
التماثيل ههنا الأصنام، ومعنى العُكُوفُ المُقَامُ على الشيء.

وقوله: «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ».

معناه - والله أعلم - وَوَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ، ولا تصلح التاء في القسم إلا في
الله، تقول: وحق الله لأفعلن، ولا يجوز تحقَّ الله لأفعلن، وتقول وحق زيد
لأفعلن، والتاء بدل من الواو، ويجوز وَيَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ، وقراءة أهل
الأمصار تالله، ولا نعلم أحداً من أهل الأمصار قرأ بالباء، ومعناها صحيح
جيد.

وقوله: «فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا».

وَجِذَاذًا تقرأ بالضم والكسر فمن قرأ جُذَاذًا فَإِنَّ^(٤) بِنْيَةَ كُلِّ مَا كُسِرَ

(١) سورة المائدة الآية ٤٦.

(٢) وهو في سن الشباب.

(٣) سورة السجدة الآية ١٣.

(٤) الكلمة غامضة بالأصل وهذا ما استطعنا فهمه منها.

وَقُطِعَ عَلَى فَعَالٍ نَحْوِ الْجَذَازِ وَالْحُطَامِ وَالرُّفَاتِ، وَمَنْ قَالَ جَذَازٌ فَهُوَ جَمْعُ جَذِيدٍ^(١) وَجَذَازٌ نَحْوُ ثَقِيلٍ وَثِقَالٍ وَخَفِيفٍ وَخِفَافٍ. وَبِجُوزِ جَذَازًا عَلَى مَعْنَى الْقَطَاعِ وَالْحَصَادِ، وَبِجُوزِ جُذُذٌ عَلَى مَعْنَى جَذِيدٍ وَجُذُذٌ مِثْلُ جَذِيدٍ وَجُذُدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ أَيِ كَسَرِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ إِلَّا أَكْبَرَهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَهَا عِنْدَهُمْ فِي تَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُ، لَا فِي الْخَلْقَةِ، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَهَا خَلْقَةً.

وَمَعْنَى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

أَيِ لَعَلَّهُمْ بِاحْتِجَاجِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ بِهِ يَرْجِعُونَ فَيَعْلَمُونَ وَجُوبَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ

قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٢).

أَيِ يَذْكُرُهُمْ بِالْعَيْبِ، وَقَالُوا لِلْأَصْنَامِ يَذْكُرُهُمْ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهَا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا بِمَنْزِلَةِ مَا يَعْقِلُ، وَإِبْرَاهِيمَ يَرْتَفِعُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَلَى مَعْنَى يُقَالُ لَهُ هُوَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمَعْرُوفُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى النِّدَاءِ عَلَى مَعْنَى يُقَالُ لَهُ يَا إِبْرَاهِيمَ.

﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

أَيِ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ بِهَذَا الْقَوْلِ فَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ مَا يَنْزِلُهُ بِهِ بِحُجَّةٍ عَلَيْهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَقُوبَتَنَا إِيَّاهُ.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

يَعْنِي الصَّنَمَ الْعَظِيمَ.

﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

(١) جَذِيدُ اسْمِ مَفْعُولٍ بِمَعْنَى مَجْدُودٍ، أَيِ مَقْطُوعٍ.

(٢) يَعْرِفُ بِاسْمِ إِبْرَاهِيمَ.

قال بعضهم: إنما المعنى، بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون، وجاء في التفسير أن إبراهيم نطق بثلاث كلمات على غير ما يوجبها لفظها لما في ذلك من الصلاح، وهي (١) قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٢) وقوله فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وقوله إِنَّ سَارَةَ أُخْتِي (٣)، والثلاث لهن وجه في الصِّدْقِ بَيْنَ، فَسَارَةُ أُخْتُهُ فِي الدِّينِ، وقوله إِنِّي سَقِيمٌ فِيهِ غَيْرُ وَجْهِ أَحَدُهَا إِنِّي مُغْتَمٌ (٤) بِضَلَالَتِكُمْ حَتَّى أَنَا كَالسَّقِيمِ، وَوَجْهُ آخَرُ إِنِّي سَقِيمٌ عِنْدَكُمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَالُهُ فِي هَذَا الْوَقْتُ مَرَضٌ.

ووجه الآية ما قلناه في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ (٥) إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ.

واحتج قوم بأن قول إبراهيم مثل قول يوسف لإخوته: ﴿أَيَّتَهَا الْعِيبُ إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (٦) وَلَمْ يَسْرِقُوا الصَّاعَ، وَهَذَا تَأْوِيلُهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ يَوْسُفَ.

وقوله: ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾.
جاء في التفسير أنه أَذْرَكَ الْقَوْمَ حَيْرَةً.
ومعنى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

أي ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا لإبراهيم عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، فقد اعترفوا بعجز ما يعبدونه عن النطق.

(١) في الأصل وهو.

(٢) سورة الصافات الآية ٨٩.

(٣) قال ذلك لفرعون عندما جاء إلى مصر وخشي أن يأخذ فرعون سارة قسراً إذا قال أنها زوجته فقال هي أختي وقاله أيضاً لغيره للسبب نفسه. انظر قصته في سفر التكوين والحادثان موضع شك، ويقال أنها كانت أخته لأمه.

(٤) محزون.

(٥) أي استعمال ضمير العقلاء للأصنام.

(٦) سورة يوسف آية ٧٠.

وقوله: ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

يقرأ أف لكم بغير تنوين، وأف بتنوين، ويجوز أف لكم وأف لكم بالضم والتنوين ويترك التنوين - ويجوز أف لكم بالفتح . فأما الكسر بغير تنوين فلا لتقاء الساكنين وهما الفاءان في قوله أف، وإنما أصل الكلمة السكون لأنها بمنزلة الأصوات، وحذف التنوين لأنها معرفة لا يَجِبُ إعرابها، وتفسيرها «التَّنُّ» لكم ولما تعبدون فمن نَوْنٌ جعله نكرة بمنزلة تَنَنَّا لكم ولما تعبدون من دون الله، وكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، ولأن أكثر الأصوات مَبْنِيٌّ على الكسر نحو قوله غَاقٌ وَجَيْرٍ وَأَمْسٍ وَإِيهِ^(١)، ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكسر، ويجوز الضم لضمِّ الألف كما قالوا: رَدُّ يا هذا ورُدُّ، ورُدِّ - بالكسر، ومن نَوْنٌ مع الضم فبمنزلة التنوين مع الكسر.

وقوله: ﴿وَنَجِّنَا وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ .

جاء في التفسير أنها من أرض الشام إلى العراق .

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ .

النافلة ههنا وَلَدُ الْوَلَدِ، يعني به يعقوب خاصة

وقوله: ﴿إِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ .

إقام مفرد^(٢) قليل في اللغة، تقول أقمت إقامةً، فأما إقام الصلاة فجائز لأن الإضافة عوض من الهاء .

وقوله: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ .

﴿لوطاً﴾ منصوب بفعل مُضْمَرٍ لأن قبله فعلاً، فالمعنى وأوحينا إليهم وآتيناه لوطاً آتيناه حكماً وعلماً، والنصب ههنا أحسن من الرفع لأن قبل آتيناه فعلاً وقد

(١) غاق - حكاية صوت الغراب .

(٢) بدون تاء .

ذكر بعض النحويين أنه منصوب على «واذكر لوطاً»، وهذا جائز لأن ذكر إبراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى واذكر.

وقوله عز وجل ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾.
منصوب على واذكر، وكذلك قوله:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾.

على معنى واذكر داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ النقش بالليل، والهمل بالنهار^(١).

وجاء في التفسير أن غنماً على عهد داود وسليمان مرّت بحرث لقوم فأفسدته، وروي أن الحرث كان حنطة، وروي أنه كان كرمًا، فأفسدت ذلك الحرث فحكم داود بدفع الغنم إلى أصحاب الكرم وحكم سليمان بأن يدفع الغنم إلى أصحاب الكرم فيأخذوا منافعها من ألبانها وأصوافها وعوارضها إلى أن يعود الكرم كهيئته وقت أفسد فإذا عاد الكرم إلى هيئته ردت الغنم إلى أربابها ويدفع الكرم إلى صاحب الكرم.

قال أبو إسحاق: يجوز أن تكون عوارضها من أحد وجهين، إما أن يكون جمع عريض وعرضان، وهو اسم للحمل، وأكثر ذلك في الجدي، ويجوز أن يكون بما يعرض من منافعها حتى يعود الكرم كما كان، وهذا - والله أعلم - يدل على أن سليمان علم أن قيمة ما أفسدت الغنم من الكرم بمقدار نفع الغنم.

قال الله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.
أي فهمناه القضية، والحكومة، ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

(١) في القاموس: الحمل محرّكة السدى التروك ليلاً ونهاراً، هملت الإبل تحمل فهي حامل - وتهمل - كينصر فاضت وانتشرت.

وقوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾.

ويجوز والطير، على العطف على ما في يسبحن، ولا أعلم أحداً قرأ بها.
﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي وكنا نقدر على ما نريده، ونصب «الطير» من جهتين إحداهما على معنى وسخرنا الطير، والأخرى على معنى يسبحن مع الطير^(١).

وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾.

وقرئت لنحصنكم من بأسكم بالنون، ويجوز ليُحصنكم بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوس، ويجوز على معنى ليحصنكم بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوس، ويجوز على معنى ليحصنكم الله من بأسكم وهي مثل لِنُحْصِنَكُمْ - بالنون ومن قرأ بالتاء أراد لَتُحْصِنَكُمْ الصنعة، فهذه الثلاثة الأوجه قد قرئ بهن، ويجوز فيها ثلاث لم يُقرأ بهن، ولا ينبغي أن يُقرأ بهن لأن القراءة سنة.

يجوز لنحصنكم بالنون والتشديد، ولتُحصنكم بالتاء والتشديد، وليُحصنكم بالياء مشددة الصاد في هذه الثلاث.

وعلم الله داود صنعة الدروع من الزرد، ولم تكن قبل داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين، كذا روي.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾.

وقرئت الرياح عاصفة، وقرئت الریح عاصفة - برفع الريح. فمن قرأ الریح عَاصِفَةً بالنصب فهي عطف على الجبال، والمعنى وسخرنا مع داود الجبال، وسخرنا لسليمان الريح، وعاصفة منصوب على الحال ومن قرأ الریح

(١) أي هي مفعول معه.

رفع كما تقول: لزيد المال، وهذا داخل في معنى التسخير، لأنه إذا قال ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ففي الكلام دليل على أن الله جل ثناؤه - سخرها له.

وقوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾.

يجوز أن يكون موضع «مَن» نصباً عطفاً على الريح، ويجوز أن يكون «مَن» في موضع رفع من جهتين إحداهما العطف على الريح، المعنى ولسليمان الريح وله من يغوصون من الشياطين، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، ويكون «له» الخبر.

وقوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾.

معناه سوى ذلك، أي سوى الغوص.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

كان الله يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا.

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾.

﴿أَيُّوبَ﴾ منصوب على معنى واذكر أيُّوبَ.

وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

أكثر التفاسير أن الله - جل ثناؤه - أحيى من مات من بنيهِ وَبَنَاتِهِ وَرَزَقَهُ مِثْلَهُمْ مِنَ الْوَلَدِ، وقيل ﴿أَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ آتيناه في الآخرة.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾.

هذا كله منصوب على «واذكر». ويقال إن ذا الكفل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نبي في أمته فقام بما يجب فيهم وفيه، ويقال إنه تكفل بعمل رجل صالح فقام به، والكِفْل في اللغة الكساء الذي يُجْعَل وراء الرجل على

عجز البعير^(١)، وقيل الكفل أيضاً النصيب، قال الله عز وجل: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾.

﴿ذا النون﴾ يونس، والنون السمكة، والمعنى واذكر ذا النون، ويروي أنه ذهب مغاضباً قومه، وقيل إنه ذهب مغاضباً ملكاً من الملوك.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

أي ظن أن لن نُقدِّرَ عليه ما قَدَرْنَاهُ من كونه في بطن الحوت، ويُقدِّرُ بمعنى يُقدِّر. وقد جاء هذا في التفسير، وقد روي عن الحسن أنه قال عَبْدُ أَبَى مِنْ رَبِّهِ، وتأويل قول الحسن أنه هرب من عذاب رَبِّهِ، لأن يُونسَ ظن أن الهرب ينجيه من الله - عز وجل - وَلَا مِنْ قَدَرِهِ^(٣).

وقوله: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

﴿في الظلمات﴾ وجهان، أحدهما يعني به ظلمة الليل وظلمة البحر. وظلمة بطن الحوت، ويجوز أن يكون «نادى في الظلمات» أن يكون أكثر دعائه وندائه كان في ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ. والأجود التفسير الأول لأنه في بطن الحوت لا أحسبه كان يفصل بين ظلمة الليل وظلمة غيره ولكنه أوَّل ما صادف ظلمة الليل ثم ظلمة البحر ثم ظلمة بطن الحوت. وجائز أن يَكُونَ الظُّلُمَاتُ اتَّفَقَتْ في وَقتٍ وَاحِدٍ، فتكون ظلمة بطن الحوت في الليل والبحرِ نَهَآئَةً في الشَّدَّةِ.

(١) في القاموس: الكفل بالكسر الضعف والنصيب والخط، وخرقة على عنق الثور تحت النير. . . أو شيء مستدير يتخذ من خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٨.

(٣) أي ولا منجى من قدره. - ونجاته من العذاب تعني نجاته من المسؤولية.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الذي في المصحف بنون واحدة، كُتِبَتْ، لأن النون الثانية تَخْفَى مَعَ الجيم، فأما ما روي عَنْ عَاصِمٍ بنون واحدة فَلَحْنٌ لا وجه له، لأن ما لا يُسَمَّى فاعِله لا يكون بِغَيْرِ فاعِلٍ. وقد قال بعضهم: نُجِّي النِّجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضَرْبَ زيداً، تريد ضرب الضرب زيداً لأنك إذا قُلْتَ ضرب زيدٌ فقد علم أنه الذي ضُرِبَ ضَرْبُ^(١)، فلا فائدة في إضماره وإقامته مع الفاعل. ورواية أبي بكر بن عياش في قوله نُجِّي المؤمنين^(٢) يخالف قراءة أبي عمرو ونُجِّي بنونين.

وقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

يروى أنها كانت عقيماً فجعلها الله - عز وجل - ولوداً، ويروى أنه كان في خُلُقِها سُوءٌ فأصلح الله ذلك وحسَّن خُلُقَها.

وقوله: ﴿وَيَذْعُوْنَا رَغْبًا وَرَهْبًا﴾.

وقرئت رَغْبًا وَرَهْبًا، فالرَّغْبُ والرَّهْبُ مَصْدَرَانِ، ويجوز رُغْبًا وَرُهْبًا، ولا أعلم أحداً قرأ بهما، أعني الرَّغْبَ والرَّهْبَ - في هذا المَوْضِعِ. والرَّغْبُ والرَّهْبُ مثل البُخْلِ والبَخْل، والرُّشْدُ والرَّشْدُ.

وقوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

«التي» في موضع نَصْبٍ، المعنى واذكر التي أحصنت فرجها. ويروى في بعض التفسير أنه يعني جيبها^(٣).

(١) أي الذي وقع عليه ضرب.

(٢) قراءة نجى ليس الفعل فيها مبنياً للمجهول، ولكن أدغمت النون في الجيم فالفعل من أنجى وليس من نجى المضعف.

(٣) وهي كناية عن العفة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

لو قيل آيتين لصلح، ولكن لما كان شأنهما واحداً، وكانت الآية فيهما جميعاً معناها آية واحدة، وهي ولادة من غير فحل جاز أن يقول آية.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أمتكم رفع خبر هذه، المعنى أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلاً فيها، ويقراً أمةً واحدة، على أنه خبر بعد خبر، ومعناه إن هذه أمةً واحدة ليست أمةً، ويجوز نصب أمتكم

المراد بالمراد

المعنى أن الله أعلمهم أن أم الحجة واحد وأنهم تفرقوا، لأن تقطيعهم

وقوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾.

وهو - والله أعلم - أنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أعلمنا أن الله عز وجل قد حرّم قبول أعمال الكافرين وبين ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١) فالمعنى حرام على قرية أهلكناها أن نتقبل منهم عملاً لأنهم لا يرجعون، أي لا يتوبون، وحرّم وحرّم في معنى حرام، إلا أن حراماً اسم، وحرّم وحرّم فعل.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

بهمز وغير همز، وهما قبيلتان من خلق الله. ويروى أن الناس عشرة أجزاء تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أججت النار، ومن النار الأجاج وهو أشد وهو الشديد الملوحة، المحرق من ملوحيته.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

ورويت أيضاً من كل جدث ينسلون، - بالجيم والشاء - والأجود في هذا الحرف «حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» بالحاء، والحذب كل أكمة، وينسلون يسرعون.

وقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾.

قال بعضهم: معنى الواو الطرح^(٢). والجواب عند البصريين قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وههنا قول محذوف، المعنى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن خروج يأجوج ومأجوج من أعلام الساعة.

(١) أول سورة محمد.

(٢) في الأصل لا يجوز تطرح ويكون معناها الطرح - وظاهر أنه سهو -

قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

قرئت على ثلاثة أوجه، حَصَبُ جَهَنَّمَ، وحطب جَهَنَّمَ، وحَصَبُ جَهَنَّمَ - بالضاد معجمة - . فمن قرأ حَصَبُ فمعناها كل ما يرمى به في جهنم^(١) ومن قال حطب فمعناه ما توقد به جهنم - كما قال عز وجل: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢)، ومن قال: حَصَب - بالضاد معجمة - فمعناه ما تهيج به النار وتذكى به، والحَصَبُ الحِجَّةُ.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

وللكتاب، ويقرأ السَّجَل بتخفيف اللام، فمن خَفَّفَ أَسْكَنَ الجيم، وجاء في التفسير أن السَّجَل الصَّحِيفَةُ التي فيها الكتاب، وقيل إنَّ السَّجَلُ مَلَكٌ وقيل إنَّ السَّجَلُ بِلُغَةِ الْجَيْشِ الرَّجُلُ، وعن أبي الجوزاء أن السَّجَلُ كاتب كان للنبي ﷺ وتَمَامُ الكلام «لِلْكُتُبِ»^(٣).

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

مستأنف، المعنى نبعث الخلق كما بدأناهم، أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء، ويجوز يوم تُطَوَّى السَّمَاءُ كطي السَّجَلِ، ويجوز يوم يُطَوَّى السَّمَاءُ كطي السَّجَلِ، ولم يقرأ «يُطَوَّى»، وقرئت نَطْوِي وتُطَوَّى بالنون والتاء.

وقوله: ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾.

«وَعَدَّا» منصوب على المصدر، لأن قوله «نُعِيدُهُ» بمعنى وَعَدْنَا هَذَا وَعَدَّا

(١) في القاموس: الحصب محرّكة والحصبة الحجارة - واحدها حصبة نادرٌ. والحطب وما يرمى به في النار حصب، أو لا يكون الحطب حَصَباً حتى يسجر به.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤، والتحريم الآية ٦.

(٣) للكتابة.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي قادرين على فعل ما نشاء.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

الزبور جميع^(١) الكتب، التوراة، والإنجيل، والفرقان، زبور، لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد. ويقال زُبرْتُ وكتبتُ بمعنى واحد، والمعنى: ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا في السماء ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

قيل في التفسير إنها أرض الجنة، ودليل هذا القول قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾^(٢). وقيل إن الأرض ههنا يعني بها أرض الدنيا، وهذا القول أشبه - كما قال الله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) والأرض إذا ذُكرت فهي دليلة^(٤) على الأرض التي نعرفها، ودليل هذا القول أيضاً: قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾^(٥).

وهذه الآية من أجل شواهد الفقهاء أن الأرض ليس مجراها مجرى سائر ما يُعَمَّرُ^(٦).

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾.

الأجود أنما بفتح أن، وهي القراءة، ولو قرئت إنما لجاز، لأن معنى

(١) في الأصل جمع.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠ - ١١.

(٣) أول سورتي الجمعة والتغابن.

(٤) دالة.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٧.

(٦) عبارة غير واضحة، والظاهر أنه يعني أن أجزاءها ليست جميعاً في مستوى واحد من التعمير، لأن بعضها بورك فيه دون بعض.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ «يُقَالُ لِي»^(١) ولكن القراءة الفتح لا غير.

وقوله: ﴿فَقُلْ أَذْنَتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾.

﴿أَذْنَتُكُمْ﴾ «أَعْلَمْتُكُمْ بما يوحى إليَّ لِتَسْتَوُوا فِي الْإِيمَانِ بِهِ».

وقوله عز وجل: ﴿إِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

أي وما أدري ما أذننكم به فتنة لكم أي اختبار لَكُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾.

ويقراء: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾، ويجوز وقد قرئ به: قال رَبِّي احْكُم

بالحق، وكان من مضى من الرُّسُل يقولون: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق،

ومعناه احكم، فأمر الله - عز وجل - نبيه أن يقول: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

أَيَّ عَلَىٰ مَا تَكْذِبُونَ.

(١) أي يوحى مضمنة معنى القول فتكسر إن بعدها.

سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.

يا أيها - نداء مبهم مفرد، وها للتنبيه، وهو مبني على الضم، والناس رفع تبع لـ (يا أيها)، والنحويون لا يجيزون إلا رفع الناس ههنا. والمازني أجاز النصب في يا أيها الرجل أقبل، كما تقول يا زيد الظريف والظريف، وهذا غلط من المازني، لأن زيدا يجوز الوقف والاقتصار عليه دون الظريف ويا أيها ليس بكلام، وإنما القصد الناس، فكأنه بمنزلة - يا ناس اتقوا ربكم.

وجاء في التفسير أن كل شيء جاء في كتاب الله من يا أيها الناس فمكي، وما كان فيه من يا أيها الذين آمنوا فمدني.

قوله: ﴿إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

قيل إن هذه الزلزلة في الدنيا وأن يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها وقيل إنها الزلزلة التي تكون مع الساعة^(١).

﴿يَوْمَ تَرُوءُنَهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾.

ويجوز تذهل كل مَرْضِعَةٍ، ومعنى تذهل تحير، وتترك كل مرضعة قد ذهلت عَمَّا أَرْضَعَتْ، ومرضعة جار على المفعول على ما أَرْضَعَتْ، ويقال:

(١) نسخة معها الساعة.

امرأة مُرَضِّعُ أي ذات رضاع أرضعت وَلَدَهَا أو أرضعت غيره والقصد قصد^(١)
مُلبِّن أي ذات لبون وَلَبِّنَ.

وقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾.

وقرئت: وَيَرَى النَّاسَ سَكْرَى، واسم^(٢) الفاعل مضمَر في ترى. المعنى
ترى أنت أيها الإنسان النَّاسَ، ومن قرأ: ترى النَّاسَ سَكْرَى كان بمنزلة وترى
أنت النَّاسَ سَكْرَى. وفيه وجه آخر مَا قُصِرَ بِهِ [وهو] وَيَرَى النَّاسَ سَكْرَى،
فيكون النَّاسَ اسم يُرَى^(٣)، ووجه آخر لم يقرأ به: وَيَرَى النَّاسَ سَكْرَى،
المعنى وَيَرَى الإنسان النَّاسَ سَكْرَى^(٤).

ويقرأ وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وما هم بسَكْرَى، وترى النَّاسَ سُكَارَى وما هم
بسُكَارَى.

ويجوز وترى النَّاسَ سَكَارَى وما هم بسَكَارَى. والقراءة
الكثيرة: وترى النَّاسَ سَكْرَى وما هم بسَكْرَى، وترى النَّاسَ سُكَارَى وما هم
بسُكَارَى أيضاً.

والتفسير أنك تراهم سَكَارَى من العذاب والخوف، وما هم بسَكَارَى من
الشَّرَابِ ويدل عليه: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾.
أي يتبع ما يُسَوِّلُ له الشَّيْطَانُ، وَمَرِيدٌ وَمَارِدٌ معناه أنه قد مَرَدَ في الشَّرِّ.

(١) والكلمة جارية مجرى ناقة ملبن أي ذات لبن أراد به لبون، والمرضعة هي التي تباشر الارضاع
فعلاً أما المرضع فهي التي لها هذه الصفة سواء كانت قائمة أم مقدره.

(٢) الاسم الذي هو فاعل.

(٣) الاسم المرفوع بها أي نائب الفاعل.

(٤) يُجَنَّبُ إليه أو تريه الملائكة حالهم.

وتأويل المَرُود أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصَّنْفُ، وجائز أن يُستعمل ذلك في غير الشيطان، فتقول قد تمرد هذا السيء^(١) أي قد جاوز حدَّ مثله، وأصله في اللغة اَمْلِسَاسُ الشيء، من ذلك قولك للإنسان أَمَرَدَ إذا لم يكن في وَجْهِهِ شَعْرٌ، وَيَقَال للصخرة مرداء إذا كانت ملساء.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾.

﴿أنه﴾ في موضع رفع.

﴿فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ﴾، عطف عليه، وموضعه رفع أيضاً، والفاء الأجل فيها أن تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر إنَّ مع الفاء، ويكون جزاء لا غير.

والتأويل: كُتِبَ عليه أي على الشيطان إضلالٌ مُتَوَلِّيه وهدايتهم إلى عذاب السعير، وحقيقة «أنَّ» الثانية أنها مكررة مع الأولى على جهة التوكيد، لأن المعنى كُتِبَ عليه أنه من تولاه أضله.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾.

ويقرأ من البَعَثِ بفتح العين، والريب الشك، فأما البَعَثُ بفتح العين - فذكر جميع الكوفيين أن كل ما كان ثانيه حرفاً^(٢) من حروف الحلق، وكان مُسَكَّنًا مفتوح الأول جاز فيه فتح المسكَّن نحو نَعْلٌ وَنَعْلٌ، وَشَعْرٌ وَشَعْرٌ، وَنَهْرٌ وَنَهْرٌ، وَنَخْلٌ وَنَخْلٌ. فأما البصريون فيزعمون أن ما جاء من هذا فيه اللغتان تُكَلِّمُ به على ما جاء. وما كان لم يسمع لم يَجْزُ فيه التحريك نحو وَعْدٌ، لأنك لا تقول: لك عَلَيَّ وَعْدٌ، أي عَلَيَّ وَعْدَةٌ، ولا في هذا الأمر وَهْنٌ^(٣) - في

(١) نسخة الشَّقي.

(٢) في الأصل حرف.

(٣) في القاموس: الوَهْنُ الضعفُ في العمل ويحرك. والفعلُ كوعد وورث وكُرِمَ.

معنى وَهْنٌ -. وهذا في بابهِ مثل رَكٍّ، وَرَكَكٍ وَقَدِرٍ وَقَدِرٍ، وَقَصَصِ الشَّاةِ وَقَصَصِهَا فلا فرق في هذا بين حروف الحلق وغيرها.

وقيل للذين جحدوا البعث وهم المشركون: إن كنتم في شكٍ من أن الله يبعث الموتى فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم فإنكم لا تجدون في القدرة فرقاً بين ابتداء الخلق وإعادته، وإحياء الموتى. ثم بين لهم ابتداء خلقهم فأعلمهم أنهم خلقوا من تراب، وهو خلق آدم عليه السلام، ثم خلق ولده من نطفة، ثم من علقَةٍ ثم من مُضْغَةٍ. وأعلمهم أحوال خلقهم.

ويروى أن الإنسان يكون في البطن نطفة أربعين يوماً ثم مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يوماً، ثم يبعث الله ملكاً فينفخ فيه الروح. ومعنى ﴿مُخْلَقَةٍ وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ﴾ وصف الخلق أو منهم من يُتِمُّ مضغته فتخلق له الأعضاء التي تكمل آلات الإنسان ومنهم من لا يتمم الله خلقه.

وقوله: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

أي ذكرنا أحوال خلق الإنسان. ووجه آخر [هو] خلقناكم هذا الخلق لنبين لكم.

﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾.

لا يجوز فيها إلا الرفع، ولا يجوز أن يكون معناه فعلنا ذلك لنقر في الأرحام، وأن الله - عز وجل - لم يخلق الأنام لما يُقر في الأرحام، وإنما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحيهم.

وقوله - عز وجل - : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.

في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعة، وكأن طفلاً يدل على معنى ويخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾.

قد فسرنا الأشد، وتأويله الكمال في القوة والتميز، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ﴾.

أردل العمر هو الذي يخرف فيه الإنسان من الكبر حتى لا يعقل، وبين ذلك بقوله: ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ مَنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

ثم ذكروا على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال:

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

يعنى جافة ذات تراب.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وتقرأ وربأت. فاهتزازها تحركها عند وقوع الماء بها وإنباتها، ومن قرأ: وَرَبَتْ فهو من ربا يربو إذا زاد على أي الجهات^(١)، ومن قرأ وَرَبَّاتٌ بالهمز فمعناه ارتفعت.

﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهيجٍ﴾.

أي من كل صنف حسن من النبات.

﴿ذَلِكَ بَأْنُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما وصف لكم وبين لكم بَأْنُ اللَّهِ هو الحق وأنه يحيي الموتى، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فالأجود أن يكون موضع ﴿ذلك﴾ رفعا. ويجوز أن يكون نصبا على معنى فعل الله ذلك بأنه هو الحق وأنه يحيي الموتى.

(١) في الأصل إذا زاد على أي الجهات زاد.

وقوله: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ولِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وثاني منصوب على الحال، ومعناه التنوين، ومعناه ثانياً عطفه، وجاء في التفسير أن معناه لَأَوِيأُ عُنُقَهُ، وهذا يوصف به، فالمعنى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم مُتَكَبِّراً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾.

يقال: هذا العذاب بما قدمت يداك، وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾، وموضع «أَنْ» خفض المعنى ذلك بما قدمت يداك وبأن الله ليس بظلام للعبيد، ولو قرئت [إِنْ] بالكسر لجاز. ويجوز أن يكون موضع ذلك رفعاً على خبر الابتداء. المعنى الأمر ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾، ويكون موضع أن الرفع على معنى ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.

جاء في التفسير على شك، وحقيقته أنه يعبد الله على حَرْفِ الطَّرِيقَةِ في الدين، لا يدخل فيه دخول متمكن.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾.

أي إن أصابه خصبٌ وكَثُرَ مَالُهُ وَمَاشِيَّتُهُ اطْمَأَنَّ بما أصابه ورضي بدينه.

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾.

اختبار بجذب وقِلَّةِ مَالٍ.

﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾.

رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.

وقوله: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ﴾.

يعنى يدعو الوثن الذي لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ.

وقوله: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾.

فقال: ولا يضره، وقال ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، معناه الضَّرُّ بعبادته أَقْرَبُ مِنَ النِّفْعِ، فإن قال قائل: كيف يقال: أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ولا نفع من قِبَلِهِ البتَّة، فالعرب تقول لِمَا لَا يَكُونُ: هذا بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾^(١).

وقد اختلف الناس في تفسير هذه اللام^(٢)، وفي ﴿يَدْعُو﴾ بأي شيء هي معلقة ونحن نفسر جميع ما قالوه وما أغفلوه مما هو بين من جميع ما قالوا إن شاء الله.

قال البصريون والكوفيون: اللام معناها التأخير، المعنى يدعو من لضره أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ولم يُشَبِّعُوا الشرح، ولا قالوا من أين جاز أن تكون اللام في غير موضعها. وشرح ذلك أن اللام لليمين والتوكيد فحقها أن تكون في أول الكلام فقدمت لِتُجْعَلَ في حقها^(٣)، وإن كان أصلها أن تكون في «لضره» كما أن لام «إن» حقها أن تكون في الابتداء، فلما لم يجز أن تلي «إن» جعلت في الخبر في مثل قولك: إن زيدا لقائم، ولا يجوز «إن زيدا قائم»، فإذا أمكن^(٤) أن يكون ذلك في الاسم كان ذلك أجود الكلام، تقول إن في ذلك لآية، فهذا قول.

وقالوا أيضاً: أن يدعو معها هاء مضمرة، وأن ﴿ذلك﴾^(٥) في موضع رفع ويدعو في موضع الحال، المعنى ذلك هو الضلال البعيد يدعوه، المعنى في

(١) سورة ق آية ٣.

(٢) لام لَمَنْ ضَرُّهُ.

(٣) في موضعها المناسب وهو صدر الجملة، لأنها يمين وقسم.

(٤) في الأصل أمكنك.

(٥) من ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾. والتقدير: ذلك هو الخسران يدعوه.

حال دُعَائِهِ إِيَّاهُ، ويكون ﴿لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء،
وخبّره ﴿لِبَشَرِ الْمَوْتَى وَلِبَشَرِ الْعَشِيرِ﴾.

وفيه وجه آخر ثالث، يكون يدعوفي معنى يقول، يكون من في
موضع رفع وخبّره محذوف، ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه
هو مولاي^(١)، ومثله يدعوفي معنى يقول في قول عنترة^(٢).

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم
ويجوز أن يكون «يدعو» في معنى «يُسمى» كما قال ابن أحمر^(٣):
أهرى لها مشقصاً حشراً فشبرقها وكنت أدعو قذاها الأثمد القرداً
ووجه هذا القول الذي قبله.

وفيهما وجه رابع وهو الذي أغفله الناس، أن «ذلك» في موضع نصب
بوقوع يدعوا عليه، ويكون «ذلك» في تأويل الذي، ويكون المعنى الذي هو
الضلال البعيد يدعو، ويكون لمن ضره أقرب من نفعه مستأنفاً، وهذا مثل
قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾^(٤)، على معنى وما الّتي بيمينك يا موسى، ومثله قول
الشاعر: ^(٥)

(١) ويكون ذلك إنكاراً على نفسه أي أتبلغني أن فعلت ذلك.

(٢) من معلقته انظر شرح الزوزني «٥٤» ط. صبيح البيت ٦٩.

ويدعون ينادون باسم عنترة، والأشطان الحبال ولبان الأدهم صدره يريد أن الأبطال يهتفون باسمه
والرماح الطويلة - تدق في صدر جواده.

(٣) البيت في الطبري ٨٧/١٦، وروايته قذاها، وكذلك في مجاز أبي عبيدة ١٣/٢ - والمشقص مقص
كبير، وحشراً أي لطيفاً، وشبرقها مزقها، والأثمد حجر يتخذ منه الكحل - والقرد ما تلبد من
الصوف وغيره.

(٤) الآية في سورة طه والشاهد أن تلك استعملت بمعنى الذي فقاس عليها هنا جعل ذلك بمعنى
الذي.

(٥) تقدم - ويروى «أمنت» بدل عتقت.

عَدَسٌ مَا لِعِبَادَ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ عَتَقْتَ، وهذا تحمليْن طليق
 وقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.
 هذه الهاء لمحمد ﷺ، أي من كان يظن أن لن ينصر الله مُحمداً حتى
 يظهره على الدين كله فليمت غيظاً، وهو تفسير قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
 السَّمَاءِ﴾.

السبب الجبل، والسماء السقف، أي فليشدّد حبلاً في سَفِيفِهِ.
 ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾.

أي ليمد الجبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً.
 ﴿هَلْ يَذْهَبُنْ كَيْدُهُ مَا يَعِظُ﴾.
 أي هل يذهب كيده غيظه. وقُرِئَتْ ثم لِيَقْطَعْ، وثم لِيَقْطَعْ، بكسر اللام
 وجزمها.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ
 وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.
 يَفْصِلُ اللَّهُ بين هذه الفرق الخمس وبين المؤمنين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾، والمؤمنون يدخلون الجنة وهو
 قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ﴾.

وخبر إن الأولى جملة الكلام مع إن الثانية. وقد زعم قوم أن قولك: إنَّ
 زيداً إنه قائم رديء وأنَّ هذه الآية إنما صلحت في الذي. ولا فرق بين الذي
 وغيره في باب إن، إن قلت إن زيداً إنه قائم كان جيداً ومثله قول الشاعر^(١):

(١) هو جزيير يمدح أحد الخلفاء المروانيين، والبيت في معاني القرآن للفراء ص ٢١٨ ح ٢. والشرط
 الثاني:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرِبَلَهُ

وليس بين البصريين خلاف في أن «إِنَّ» تدخل على كل ابتداء وخبر،
تقول إن زيداً هو قائم وإن زيداً إنه قائم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدْ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ.

والسجود ههنا الخضوع لله عز وجل، وهي طاعة ممن خلق الله من
الحيوان والموات. والدليل على أنه سجود طاعة قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ
حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾. هذا أجود الوجوه أن يكون تسجُد مُطِيعَةً، لله عز وجل،
كما قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾،
وكما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ يعني الحجارة ﴿لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، فالخشية لا
تكون إلا لما أعطاه الله مما يختبر به خشيته. وقال قوم: السجود من هذه
الأشياء التي هي موات ومن الحيوان الذي لا يعقل إنما هو أثر الصنعة فيها
والخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر: (١):

بجيشٍ يَفضُلُ البلق في حَجَرَاتِهِ تَرى الأَكْمُ فيه سُجُداً للحوافِر
أي قد خشعت من وطء الحوافر عليها، وذلك القول الذي قالوه لأن
السجود الذي هو طاعة عندهم إنما يكون ممن يَعْقِلُ، والذي يكسر (٢) هذا ما
وصف الله عز وجل من أن من الحجارة لما يهبط من خشية الله، والخشية
والخوف ما عقلناه إلا للآدميين، وقد أعلمنا الله - عز وجل - أن من الحجارة

سربال ملك به ترجى الخواتيم

ويروى: يكفي الخليفة أن الله سربله. - هذا، «وإن» تعاد عند طول الكلام والفصل البعيد بين
اسمها وخبرها.

(١) هو الراعي.

(٢) الذي يتقضى أن الخشوع إنما يكون ممن يعقل.

ما يخشاه، وأعلمنا أنه سَخَّرَ مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَسْبِيحَ مَعَهُ، فلو كان تسبيح الجبال والطير أثر الصنعة ما قيل سخرنّا ولا قيل مع داود الجبال لأن أثر الصنعة يتبين مَعَ دَاوُدَ وَغَيْرِهِ، فَهُوَ سُجُودُ طَاعَةٍ لَا مُحَالَةٍ، وكذلك التسبيح في الجبال والطير، ولكنا لا نعلم تسبيحها إِلَّا أَنْ يَجِئْنَا فِي الْحَدِيثِ كَيْفَ تَسْبِيحُ ذَلِكَ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (١).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. الخصمان المؤمنون والكافرون - جاء في التفسير أن اليهود قالوا للمسلمين ديننا أقدم من دينكم وكتابنا أقدم من كتابكم، فأجابهم المسلمون بأننا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرسل فظهرت حجة المسلمين على الكافرين. وقيل اختصموا وقد قال خَصْمَانِ لانهما جَمْعَانِ.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾. وجاء في التفسير أن الثياب التي من نارٍ هي نُحَاسٌ قَدْ أُذِيبَ. قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُصَّبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾.

يغلى به ما في بطونهم حتى يَخْرُجَ مِنْ أَذْبَارِهِمْ، فهذا لأحد الخصمين، وقال في الخصم الذين هم مؤمنون:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٌ﴾.

و﴿لُؤْلُؤًا﴾ يقرأ أن جميعاً، فمن قرأ ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ فعلى معنى يحلون فيها أساور من

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

ذهب وَيُحْلَوْنَ لَوْلَا، ومن قرأ وَلَوْلَا أَرَادَ وَمِنْ لَوْلَا. وجائز أن يكون اسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلَا، فيكون ذلك فيها خلطاً مِنَ الصَّنِيفَيْنِ وَيَقْرَأُ يَحْلَوْنَ فيها على معنى قَوْلِكَ حَلِيَّ يَحْلَى إِذَا صَارَ ذَا حَلِيٍّ .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .

لفظ يَصُدُّونَ لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى الذين كفروا الذين هم كافرون، فكأنه قال إِنَّ الْكَافِرِينَ وَالصَّادِقِينَ. وخبر إن فيه قولان أحدهما أن يكون محذوفاً فيكون المعنى إِنَّ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ هَلَكُوا وجائز أن يكون - وهو الوجه - الخبر ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .

فيكون المعنى إن الكافرين والملحدين في المسجد الحرام نُذِقْهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ^(١).

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ .

القراءة الرفع في سَوَاءٍ، ورفعه من جهتين إحداهما أن يكون وقف التمام [هو] ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾، كما قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾^(٢). ويكون ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز أن يكون على جعلناه سواء العاكف فيه، فيرتفع سواء على الابتداء، ويكون الخبر ههنا العاكف فيه، أعني خبر ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ﴾ ويكون خبر ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ الجملة.

(١) هذا لا يستقيم إذا كانت «مَنْ» شرطية، وهي شرطية، إنما يستقيم إذا كانت موصولة. ونذقه إذا كان جملة خبرية يجب أن يكون مرفوعاً، ولكن يبدو أن الخبر محذوف وجملة الشرط دالة عليه.
(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦ وهي: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ وجعل الناس هناك تمام الآية وجه غير جيد.

وتفسير قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أنه يستوي في سُكنى مكة المقيم بها والنَّازع^(١) إليها من أي بلد كان، وقيل سواء في تفضيله وإقامة المناسك العاكف. المقيم بالحرم والنَّازعُ إِلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ﴾.
 قيل الإلحاد فيه الشرك بالله، وقيل كُلُّ ظَالِمٍ فِيهِ مُلْحَدٌ، وجاء عن عُمَرُ
 أن احتكار الطعام بمكة إلحادٌ. وقال أهل اللغة إن معنى الباء الطرح. المعنى
 ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، وأنشدوا قول الشاعر: ^(٢)

هُنَّ الحرائرُ لا رِباتُ أخِمِرَةٍ سودُ المحاجر لا يقرآن بالسُّورِ

المعنى عندهم لا يقرآن السُّورَ، وأنشدوا: ^(٣)

بوادٍ يَمَانٍ يَنْبِتُ البُتَّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَهَانِ

أي وينبت أسفلهُ المَرْخَ والشبهان. والذي يذهب إليه أصحابنا أن الباء
 ليست بملغاة، المعنى عندهم ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل^(٤)

المعنى أريد، وإرادتي لهذا.

ومعنى الإلحاد في اللغة العدول عن القصد.

(١) المتجه إليها والقادم من مكان آخر.

(٢) هو الراعي - والبيت في الخزائن ٦٦٨/٣، واللسان (سور) والقرطبي ١٥٨/١، وشواهد المغني

١١٦.

(٣) ينسب لامرئ القيس، وللأحول اليشكري واسمه يعلى، والشبهان نبت يشبه الثمام وقيل هو
 الثمام، والمَرْخ من شجر النار كثير الوري سريعه. والشث - بالثاء المثلثة شجر طيب الريح مر
 الطعم يديغ/به، والبيت في اللسان (ثث): «ينبت الشث فرعُهُ»، وفي (شبه) كما هنا. وهو في
 الطبري ٩٤/١٧، والقرطبي ٣٦/١٢.

(٤) تقدم.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

جعلنا مكان البيت مباءاً لإبراهيم، والمباء المنزل، فالمعنى أن الله أعلم إبراهيم مكان البيت فبنى البيت على أسسه القديم، وكان البيت في أيام الطوفان رفع إلى السماء حين غرق الله الأرض وما عليها فشرف بيته بأن أخرجته عن جملة ما غرق. ويروى أن البيت كان من ياقوتة حمراء.

وقوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾.

قيل: المعنى طهره من الشرك. والقائمون ههنا المصلون.

وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾.

رُوي أن أذان إبراهيم بالحج أن وقف في المقام فقال: أيها الناس أجيئوا يا عباد الله أطيعوا الله يا عباد الله اتقوا الله، فوُقرت في قلب كل مؤمن ومؤمنة وأسمع ما بين السماء والأرض وأجابه من في الأصلاب ممن كتب له الحج، فكل من حج فهو ممن أجاب إبراهيم، ويروى أن أذانه بالحج كان يا أيها الناس كتب عليكم الحج.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

﴿رجالاً﴾ جمع راجل مثل صاحب وصحاب، وقائم وقِيَام: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾، أي يأتوك رجلاً وركبناً. وقال يأتين على معنى الإبل المعنى وعلى كل بعيد ضامر يأتي من كل فج عميق، وعميق بعيد، قال رؤية^(١):

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمَخْتَرِ

الأعماق الأفقار، ومن هذا قيل: هذه بشر «عميقة»، أي بعيدة القرار.

(١) من أرجوزة له طويلة - وهو في الطبري ٥٩/١٥، واللسان (قتم) وديوانه ١٠٤، وطبقات ابن سلام ص ٧٦١ (ت محمود شاكر).

وقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

أي ليشهدوا ما نذّبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾.

يعنى به يوم النحر والأيام التي بعده يُنَحَّرُ فِيهَا لأن الذكر ههنا يدل على التسمية على ما يُنَحَّرُ لقوله على ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

﴿البائس﴾ الذي قد ناله بؤس، والبؤس شدة الفقر، يقال: قد بؤس، وبأس إذا صار ذا بؤس. وقوله ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ليس بأمر لازم، من شاء أكل من أضحيته ومن شاء لم يأكل، وإنما هو إباحة كما قال: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^(١). فإنما قال فاصطادوا، لأنه كان قد حظر عليهم الصيد وهم مُحْرِمُونَ، فأبأ حَهُمُ الصَّيْدَ. وكذلك هذا الأمر ههنا إباحة بعد حظرهم^(٢) على أنفسهم أكل الأضاحي، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا لم يستحلوا أن يأكلوا من نِسَائِهِمْ^(٣) شيئاً، فأعلم الله عز وجل أن ذلك جائز.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

قرئت ثم لِيَقْضُوا بكسر اللام، وكذلك قرأ أبو عمرو، والقراءة بالتسكين مع ثم كثيرة.

والتفت في التفسير جاء^(٤)، وأهل اللغة لا يعرفون إلا من التفسير، قالوا

(١) سورة المائدة الآية: ٢ / .

(٢) هم الذين حرّموا أكل الأضاحي على أنفسهم.

(٣) جمع نسيكة، وهي الحيوان الذي يذبح نسكاً وقرباناً لله.

(٤) لم يأت شرحه إلا في كتب التفسير.

التفت الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر ونف الأبط وحلق العانة والأخذ من الشعر، كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله: ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

قيل في العتيق أقوال، قال الحسن هو البيت القديم، ودليل الحسن على ذلك قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١).

وقيل إن البيت العتيق الذي عَتَقَ من الغرق أيام الطوفان، ودليل هذا القول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، فهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه. وأكثر ما جاء في التفسير أنه أُعْتِقَ من الجبابة، فلم يَغْلِبْ عليه جَبَّارٌ، وقيل إنه سُمِّيَ العتيق لأنه لم يدعه أحدٌ من الناس. وقيل إنما سمي العتيق لأنه لم يقصده جبار إلا أهلكه الله، يقال أعتقت المملوك فهو مُعْتَقٌ وَعَتِيقٌ. وكل ما مر في تفسير العتيق فجائز حسن - والله أعلم بحقيقة ذلك - وهذه الآية تدل على أن الطواف يوم النحر فرض^(٢).

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾.

وحرمات الله الحج والعمرة وسائر المناسك، وكل ما فرض الله فهو من حرمت الله، والحرمة ما وجب القيام به وحرّم تركه والتفريط فيه. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع، المعنى الأمر ذلك.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنِعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

«ما» في موضع نصب أي إلا ما يتلى عليكم من الميتة والدم والمنخقة والموقودة وسائر ما تبلي تحريمه.

وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٢) ليس فيها دلالة على تحديد يوم للطواف والواو تقتضي الجمع ولا تقتضي التعقيب.

«مِنْ» ههنا لتخليص جنس من أجناس^(١) المعنى فاجتنبوا الرجس الذي

هو وَثْنٌ

وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

الزور الكذب، وقيل إنه ههنا الشُّرْكُ بالله، وقيل أيضاً شهادة الزور، وهذا كله جائز. والآية تدل - والله أعلم - على أنهم نُهَوُّوا أَنْ يُحَرِّمُوا مَا حَرَّمَ أصحابُ الأوثانِ نحو قولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصةً لذكورنا ومحرمٌ على أزواجنا، ونحو نحرهم البحيرة والسائبة، فأعلمهم الله أَنَّ الأنعامَ مُحَلَّلَةٌ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ منها، ونهاهم الله عن قول الزور أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام لِيَقْتَرُوا على اللَّهِ كَذِباً.

وقوله: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾.

منصوبٌ على الحال، وتأويله مُسْلِمِينَ لَا يَمِيلُونَ إِلَى دِينٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ.

وقوله: ﴿غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ

الطَّيْرُ﴾.

ويقرأ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ وَفَتَخْطَفُهُ. وقرأ الحسن فَتَخْطَفُهُ بكسر التاء والخاء والطاء. فمن قرأ فَتَخْطَفُهُ بالتخفيف فهو من خَطَفَ يَخْطِفُ، وَالْخَطْفُ الْأَخْذُ بسرعة، ومن قرأ فَتَخْطَفُهُ - بكسر الطاء والتشديد - فالأصل فَتَخْطِفُهُ فادغم التاء في الطاء وألقى حركة التاء على الخاء ففتحها، ومن قَالَ بكسر الخاء والطاء، كسر الخاء لسكونها وسُكُونُ الطاء، ومن كسر التاء والخاء والطاء - وهي قراءة الحسن - فهو على أن الأصل تَخْطِفُهُ.

وهذا مثل ضَرَبَةِ اللَّهِ للكافر في بُعْدٍ، عَنِ الْحَقِّ - فأعلم الله أَنَّ بُعْدَ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ كَبُعْدِ مَنْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَذَهَبَتْ بِهِ الطَّيْرُ أَوْ هَوَتْ بِهِ الرِّيحُ في مكانٍ سحيقٍ - [أي] بَعِيدٍ.

(١) بَيَانَةٌ.

قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

شعائر الله المعالم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها، وأحدثها شعيرة، فالصفا والمروة من شعائر الله، والذي يُعنى به هنا البدن.

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، يعنى أن لكم في البدن - قبل أن تُعلموها، وتُسَمَّوها هدياً إلى بيتي - منافع، فإذا أشعرتُموها - والاشعار أن يشق في السنام حتى يذمى ويعلق عليها نعلًا ليعلم أنها بدنة^(١)، فأكثرُ الناس لا يرى الانتفاع بها إذا جُعِلَتْ بدنةً، لا بلبِنِها ولا بوبرِها ولا بظَهْرِها، يقول لا يُعطى لبنها ووبرها وظهرها أحداً لأنها بدنة فلا ينتفع بها غير أهل الله إلا عند الضرورة المخوفِ معها الموت، وبعضهم يقول: إنَّ له أن ينتفع بها فيركبها المُعبي وينتفع بمنافعها إلى وقت محلها - مكانِ نحرها - . والحجة في ذلك أن النبي ﷺ مرَّ برجلٍ يسوقُ بدنةً فأمره ﷺ بركوبها، فقال إنَّها بدنة فأمره الثانية وأمره الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويحك، فهذا - يجوز أن النبي ﷺ رآه مضطراً في ركوبها من شدة الاعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبها جائزاً. ومن أجاز ركوبها والانتفاع بها يقول: ليس له أن يهزلها وينضيها لأنها بدنة.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾.

وتقرأ منسكاً، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنه قال جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، المعنى ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وقال بعضهم: المنسك الموضع الذي يجب تعهده، وذلك جائز.

(١) البدنة من الإبل والبقر - محرمة - كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة والبدنة تقال للذكر وللأنثى - ويجمع على بُدن مثل كُتِبَ وجُمِلَ «قبل أن يعلم أنها بدنة» بمعنى قبل أن يعلم أنها هدي - لأن بدنة بمعنى هدي.

ومن قال مَنَسِكَ فمعناه مكانٌ نُسِكَ مثل مَجْلِس مكان جلوس . ومن قال مَنَسَكَ فهو بمعنى المصدر نحو النُّسْك والنُّسُوك .

وقوله : ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهَ وَاحِدٌ﴾ .

أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده .

وقوله : ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ .

قيل المخبتون المتواضعون ، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان بالله عز وجل ، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا . وكل ذلك جائز .

واشتقاقه من الخَبْتِ مِنَ الْأَرْضِ وهي المكان المنخفض منها ، فكل مُخْبِتٍ متواضع .

وقوله عز وجل : ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ .

القراءة الخفض واسقاط التنوين ، والخفض على الإضافة ، ويجوز : والمقيمِينَ الصَّلَاةَ ، إلا أنه بخلاف المصحف . ويجوز أيضاً على بُعْدِ الْمُقِيمِي

الصَّلَاةِ ، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم ، وأنشد سيويه :^(١)

الحافظو عورة العشيرة لا يأتهم من ورأيهم نطف

وزعم أنه شاذ .

وقوله تعالى : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .

النصب أحسن لأن قبله فعلاً ، المعنى وَجَعَلْنَا الْبُدْنَ ، فنصب بفعل

(١) الشاهد ٢٩٨ في الخزانة ، وكتاب سيويه ٩٥/١ ، والأشموني ٢٤٧/٢ . قال ابن السراج : وقد

أجازوا « رأيت الضاري زيدا » ، وليس بحسن ، وإنما جواز ذلك على أنك أردت التنويه فحذفها لطول الاسم . والعورة : موطن الضعف ، والنطف - بفتح الن - بفتح الن العيب .

والبيت لعديرو بن امرئ القيس الخزرجي ، وهو جاهلي ، جد عبد الله بن رواحة - وكان لمالك بن العجلان يسمى بجيرا فخر بسيدته مالك الخزرجي بين الأوس ، فقتله رجل منهم يقال له سمير ، وأصر مالك على قتل سمير أو أخذ دية رجل حر . ف وقعت بينهم حرب . ثم احتكموا إلى عمرو ففضى بدية مولى ولم يقبل مالك - فقال عمرو هذه القصيدة .

مُضْمَرٌ الَّذِي ظَهَرَ يَفْسَرُهُ . وَإِنْ شُئْتَ رَفَعْتَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ . وَالْبَذَنُ بِتَسْكِينِ الدَّالِّ وَضَمِّهَا . بَذَنَةٌ وَبُذْنٌ ، وَبُذْنٌ مِثْلُ قَوْلِهِ ثَمَرَةٌ وَثَمَرٌ وَثَمْرٌ . وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بَذَنَةً لِأَنَّهَا تَبْذُنُ ، أَيْ تَسْمُنُ .

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٌ﴾ .

﴿صَوَافٌ﴾ منصوبة على الحال ، ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف ، أي قَدْ صَفَّتْ قَوَائِمُهَا ، أي فاذكروا اسم الله عليها في حال نحرها . وَالْبَعِيرُ يَنْحَرُ قَائِمًا ، وهذه الآية تدل على ذلك ، وتقرأ صَوَافِينَ ، والصابفون الذي يقوم على ثلاثٍ ، فَالْبَعِيرُ إِذَا أَرَادُوا نَحْرَهُ تَعَقَّلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فَهُوَ صَافِينَ ، والجمع صَوَافِينَ يَا هَذَا ، وَقُرِئَتْ صَوَافِي بِالْيَاءِ وَبِالْفَتْحِ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ وَتَفْسِيرُهُ خَوَالِصُ - أي خالصة لله عز وجل ، لَا تُشْرِكُوا فِي التَّسْمِيَةِ عَلَى نَحْرِهَا أَحَدًا .

وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ .

أي إِذَا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ .

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ .

بتشديد الراء ، ويجوز والمُعْتَرِّي بِالْيَاءِ ، ويقال : وَجِبَ الْحَائِطُ يَجِبُ وَجَبَةً إِذَا سَقَطَ ، وَوَجِبَ الْقَلْبُ يَجِبُ وَجَبًا وَوَجِيئًا إِذَا تَحَرَّكَ مِنْ فَرْعٍ ، وَوَجِبَ الْبَيْعُ يَجِبُ وَجُوبًا وَجِبَةً ، وَالْمُسْتَقْبَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَجِبُ ، وَقِيلَ فِي الْقَانِعِ الَّذِي يَقْنَعُ بِمَا تُعْطِيهِ ، وَقِيلَ الَّذِي يَقْنَعُ بِالْيَسِيرِ . وَقِيلَ وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ اللُّغَةِ السَّائِلِ ، يَقَالُ قَنَعَ الرَّجُلُ قُنُوعًا إِذَا سَأَلَ ، فَهُوَ قَانِعٌ ، وَأَنْشَدُوا لِلشُّمَّاخِ (١) .

كَمَالُ الْمَرْءِ يُضْلِحُّهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعْفٌ مِنَ الْقُنُوعِ

أي أَعْفٌ مِنَ السُّؤَالِ ، وَقِنَعٌ قِنَاعَةٌ إِذَا رَضِيَ فَهُوَ قَنِيعٌ ، وَالْمُعْتَرَّ: الَّذِي

(١) انظر الطبري ١٧/١١٠ ، والقرطبي ١٢/٦٤ واللسان (قنع - فقر) ومجاز أبي عبيدة ط/٢٥١ -

والمفاقر وجوه الفقر ، وقيل جمع فقر على غير قياس مثل مشابه وملامح والقنوع السؤال .

يعتريك فيطلب ما عندك، سألَكَ إذ سئِلتَ عن السؤال وكذلك المعتري .

وقوله عز وجل : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ .

وقرئت : ﴿لَنْ تَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا﴾ بالتاء ، فمن قرأ بالياء فَلَجَمَعَ اللحوم ، ومن قرأ بالتاء فلجماعة اللحوم - وكانوا إذا ذَبَحُوا لَطَّخُوا البيت بالدم ، فأعلم الله - عز وجل - أنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ تَقْوَاهُ وطَاعَتُهُ فيما يَأْمُرُ بِهِ .

﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ .

وتناله التقوى منكم - بالياء والتاء - فمن أَنتَ فللفظ التقوى، وَمَنْ ذَكَرَ فلأن معنى التقوى والتقى واحدٌ

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

ويُدْفَعُ [عن الذين آمنوا] . هذا يدل على النَّصْرِ مِنْ عِنْدِهِ، أي فَإِذَا دَفَعْتُمْ، أي فإذا فَعَلْتُمْ هذا، وَخَالَفْتُمْ الْجَاهِلِيَّةَ فيما تَفْعَلُونَهُ فِي نَحْرِهِمْ، وإشراكهم بالله، فَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْ حِزْبِهِ .

وقوله : ﴿كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ .

﴿خَوَّانٍ﴾ فعَّالٌ من الخِيَانَةِ، أي من ذكر اسم غير الله وتَقَرَّبَ إلى الأصنام بِذَبِيحَتِهِ فهو خَوَّانٌ كَفُورٌ .

والبُذْنُ قيل إنها الإِبِلُ خاصَّةً، وقيل إنها الإِبِلُ والبَقَرُ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قال : إن الشاء داخلة فيها، فأما من قال إنها الإِبِلُ والبَقَرُ فَهُمْ أكبر فقهاء الأمصار، ولكن الاستعمال في السِّيَاقَةِ إِلَى الْبَيْتِ الإِبِلُ فلذلك قال من قال إنها الإِبِلُ^(١) .

(١) أي من قال إن البدن هي الإِبِلُ فقط وليست البقر داخلة فيها قال ذلك مستنداً إلى أن الاستعمال فيها يساق للبيت هو الإِبِلُ .

وقوله: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾.

ويقرأ أذن للذين يُقاتلون، ويُقرأ أذن للذين يُقاتلون ويُقاتلون. والمعنى
أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا. ويُروى أنها أول آية نزلت في القتال.
﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾.

أي أذن لهم أن يقاتلوا بسبب ما ظلموا
وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وعدهم الله النصر، ولا يجوز أن يقرأ و«أن» الله - بفتح أن، ولا بين
أهل اللغة خلاف في أن هذا لا يجوز لأن «أن» إذا كانت معها اللام^(١) لم
تفتح أبداً.

وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾.

﴿الذين﴾ في موضع جر، المعنى «أذن للذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق
إلا أن يقولوا ربنا الله».

«أن» في موضع جر، المعنى أُخرجوا بلا حق، إلا يقولهم ربنا الله أي لم
يخرجوا إلا بأن وحدوا الله، فأخرجتهم عبدة الأوثان لتوحيدهم.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ [صَوَامِعُ]﴾.

المعنى: ولولا أن دفع الله بعض الناس ببعضٍ لهدمت صوامع، وتقرأ
لهدمت، وهي صوامع الرهبان.

﴿وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ﴾.

والبيع بيع النصارى، والصلوات كنائس اليهود، وهي بالعبرانية صلوتا،

(١) أن المفتوحة لا تأتي لام التوكيد في خبرها.

وَقُرِئَتْ صَلَاةٌ وَمَسَاجِدُ، وَقِيلَ إِنَّهَا مَوْضِعُ صَلَوَاتِ الصَّابِئِينَ، وَتَأْوِيلُ هَذَا: لَوْلَا أَنْ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - دَفَعَ بَعْضَ النَّاسِ بَبْغَضٍ لِهَدْمٍ فِي شَرِيعَةِ كُلِّ نَبِيٍّ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ، فَكَانَ لَوْلَا الدَّفْعُ لِهَدْمٍ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَنَائِسُ الَّتِي كَانَ يَصَلِّي فِيهَا فِي شَرِيعَتِهِ، وَفِي زَمَنِ عِيسَى الصَّوَامِعَ وَالْبَيْعَ، وَفِي زَمَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ (١) الْمَسَاجِدُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.

أَيُّ مَنْ أَقَامَ شَرِيعَةً مِنْ شَرَائِعِهِ، نَصَرَ عَلَى إِقَامَةِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقَامُ فِي شَرِيعَةِ نَبِيِّ إِلَّا مَا أُتِيَ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ وَيُنْتَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَلَى تَفْسِيرِ مَنْ، الْمَعْنَى وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ثُمَّ بَيَّنَّ صِفَةَ نَاصِرِيهِ فَقَالَ:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

فَصِفَةُ جُزْبِ اللَّهِ الَّذِينَ يُوحِّدُونَهُ، إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُمَا وَاجِبَانِ كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَغْنِي الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

﴿فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

وَيَقْرَأُ أَهْلَكْتُهَا، الْمَعْنَى فَكَيْفَ كَانَ نِكِيرَ أَيُّ ثُمَّ أَخَذَتْهُمْ فَأَبْلَغَتْ أَبْلَغَ الْإِنْكَارِ. فَأَهْلَكْتَ قُرَى كَثِيرَةً، لِأَنَّ مَعْنَى فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ مَعْنَى فَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ، وَمَعْنَى كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ عِدَدُ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرَى.

(١) نسخة عليه السلام.

ويجوز كَاتِنَ بتشديد الياء، ويجوز كَاتِنَ مِنْ قَرِيَةٍ، وهو عند البصريين في معنى العدد الكبير، تقول: وكائن مِنْ رَجُلٍ جَاءَنِي معناه العدد الكثير مِنْ الرِّجَالِ.

﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

والعروش السُّقُوفُ، فالمعنى أنها قَدْ خَرِبَتْ وَخَلَّتْ فصارت على سُقُوفِهَا كما قال في مَوْضِعٍ آخَرٍ: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾^(١)، يقال خَوِيَ الدَّارُ والمدينةُ خَوَاءً، ممدودٌ، فَهِىَ خَاوِيَةٌ، وَخَوِيََتِ المرأةُ وَخَوِيََ الإنسانُ إِذَا خَلَا مِنْ الطَّعَامِ خَوًى، مَقْصُورٌ فَهُوَ خَوٍ.

وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.

أكثر ما جاء في مَشِيدٍ من التَّفْسِيرِ مُجَصَّصٌ، وَالشَّيْدُ الجَصُّ وَالْكَلْسُ أيضاً شَيْدٌ، وَقِيلَ مَشِيدٌ مُحَصَّنٌ مُرْتَفِعٌ، وَالْمُشِيدُ إِذَا قِيلَ مُجَصَّصٌ فَهُوَ مُرْتَفِعٌ فِي قَدْرِهِ وَإِنْ لَمْ يَرْتَفِعْ فِي سُمْكِهِ، وَأَصْلُ الشَّيْدِ الجَصُّ وَالتُّورَةُ، وَكُلُّ مَا بُنِيَ بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا فَهُوَ مُشِيدٌ.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

القلبُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الصُّدْرِ - وَلَكِنْ جَرَى عَلَى التَّوَكِيدِ كما قال عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٢)، وكما قال: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾^(٣)، وكما قرأ بعضهم: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾^(٤). فالتوكيد جارٍ في الكلام مبالغٍ في الإِفْهَامِ.

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٧.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٤) سورة ص الآية ٢٣.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

قيل إِنَّ يَوْمًا من أَيَّامِ عَذَابِهِمْ كَأَلْفِ سَنَةٍ، ويدل على ذلك الحديث الذي يُروى أن الفقراء يُدْخَلُونَ الجنةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ.

وجاء في حديث آخر تفسير هذا القول بخمس مائة عامٍ . فهذا يدل على أَنَّ اليَوْمَ من أَيَّامِ الْقِيَامَةِ أَلْفُ سَنَةٍ، والذي تدل عليه الآية - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُمْ اسْتَعَجَلُوا فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَقُوتُهُ شَيْءٌ، وَأَنَّ يَوْمًا عنده وألف سنة في قُدْرَتِهِ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الاسْتِعْجَالَ في ميعادهم لا فرق [فيه] بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إِلَّا أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - تَفَضَّلَ بِالْإِمْهَالِ، وَغَفَرَ بِالتَّوْبَةِ، فَالتَّأخير الفرق بينه وبين التقديم تَفَضُّلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّظَرَةِ. ثم أعلم - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ قد أخذ قومًا بعد الإِمْلاءِ والتَّأخير عُقُوبَةً منه ليزدادوا إثمًا فقال بعد قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، وبعد تمام الآية ﴿وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْنِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

المعنى ثم أَخَذْتُهَا بِالْعَذَابِ، واستغني عن ذكر العذاب لِتَقَدُّمِ ذكره في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾.

أي ظانِّينَ أَنَّهُمْ يعجزوننا لأنهم ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ، وَأَنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نارَ. وقيل في التفسير معاً جزين معاً ندين، وليس بخارج من القول الأول، وقُرِئَتْ مُعْجِزِينَ، وتأويلها أَنَّهُمْ كانوا يُعْجِزُونَ من اتبع النبي ﷺ وَيُشَبِّطُونَهُمْ عنه.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

معنى إِذَا تَمَنَّى إِذَا تَلَا، ألقى الشيطان في تِلَاوَتِهِ، فذلك

محنة من الله ، - عَزَّوَجَلَّ - وله أَنْ يَمْتَحِنَ بما شاء ، فألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ شيئاً من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهل الشقاق والنفاق ومن في قلبه مرض فقال الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾
ثم أعلم أنهم ظالمون ، وأنهم في شقاقٍ دائمٍ ، والشقاق غاية العداوة فقال :

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ .

ثم أعلم أن هؤلاء لا يتوبون فقال :

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي في شكٍ منه .

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي مفاجأة .

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ .

أصل العقيم ، العقم في الولادة ، يقال : هذه امرأة عقيم ، كما قال الله - عَزَّوَجَلَّ - : ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(١) ، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد .
قال الشاعر^(٢) :

عَقِيمَ النِّسَاءِ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنْ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ عَقُمُ

والريح العقيم التي لا تأتي بسحابٍ يُمِطِرُ ، وإنما تأتي بالعذاب ، واليوم العقيم هو الذي لا يأتي فيه خيرٌ ، فيوم القيامة عقيمٌ على الكفار كما قال الله

(١) في سورة الذاريات الآية ٢٩ وهي : ﴿فَاقْبَلْ إِمْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ .

(٢) في اللسان (عقم) وقبله :

نذر الكلام من الحياء نخاله ضمناً وليس بجسمه سُقْمُ
متهلل بنعم ، بلا متباعذ سيان منه الوفر والعدم

والضمن السقيم . والأفصح في عقم أن يقال : عقم الله رَحْمَهَا ، بالتشديد وعَقَمَتْ هي ، ومن قال عَقَمَتْ أو عَقِمَتْ - بفتح العين أو كسرهما قال أعقمها الله وهي عقيم .

- عز وجل -: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(١). وليس هو على المؤمنين الذين أُدْخِلُوا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ كَذَلِكَ.

وأنشد بعض أهل اللغة في قوله تمنى في معنى تلا قول الشاعر^(٢):

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الكتاب على رسل

أي تلا كتاب الله مترسلاً فيه كما تلا داود الزبور مترسلاً فيه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

﴿ذلك﴾ في موضع رفع، المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما قصصنا عليكم.

قوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

الأول لم يكن عقوبة، وإنما العقوبة الجزاء^(٣)، ولكنه سُمي عقوبةً لأن

الفعل الذي هو عقوبة كان جزاء فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة لاستواء

الفاعلين في جنس المكروه. كما قال عز وجل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٤)،

فالأول سيئة والمجازاة عليها حسنة من حسنات المُجَازِي عليها إلا أنها سُميت

سَيِّئَةً بأنها وَقَعَتْ إِسَاءَةً بالمفعول به، لأنه فُعِلَ بِهِ مَا يَسُوءُ وكذلك قوله

﴿مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٥)، جعل مجازاتهم باستهزائهم مسمى بلفظ

فَعْلِهِمْ لأنه جَزَاءُ فَعْلِهِمْ.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾.

وقرئت مُخْضَرَّةً.

(١) سورة المدثر الآية ١٠.

(٢) هو حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي عثمان بن عفان - وأول ليلة أو أول ليلته - أي قرأ القرآن كله أول الليل. (انظر شواهد الكشاف).

(٣) الأول اعتداء والثاني عقوبة لأنه رد على الاعتداء.

(٤) سورة الشورى الآية / ٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ١٤ - ١٥.

ذكر الله جل ثناؤه - ما يدل على توحيده من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وذكر إنزاله الماء يُنبت وذكر تسخير الفلك في البحر وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فدل أنه الواحد الذي خلق الخلق وأتى بما لا يمكن البشّر أن يأتوا بمثله، ثم ذكر جهل المشركين في عبادتهم الأصنام فقال عز وجل:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾.

أي ما لم ينزل به حجة وما ليس لهم به علم.

ثم ضرب لهم مثل ما يعبدون، وأنه لا ينفع ولا يضر.

وأما القراءة: «فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً لَا غَيْرُ» قال سيويه: سألت الخليل عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال هذا واجب ومعناه التنبيه كأنه قال: أَلَسَمَعْتَ؟ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فكان كذا وكذا، وقال غيره مثل قوله. قال مجاز هذا الكلام مجاز الخبر كأنه قال: الله ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرض مخضرة، وأنشدوا^(١).

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ وهل يُخْبِرُنَاكَ الْيَوْمَ بِيَدَاءِ سَمَلُوقِ

قال الخليل: المعنى فهو مما ينطق، وأما من قرأ مَخْضَرَةً فهو على معنى ذات مَخْضَرَةٍ مثل مَبْقَلَةٍ ذات بقل، ومَشْبَعَةٍ ذات شبع، ولا يجوز مَخْضَرَةً - بفتح الميم وتشديد الراء - لأن مفعلة ليس في الكلام ولا معنى له.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي﴾.

(١) البيت لجميل بن معمر - والربع القواء المفقور - والسملق الذي لا شجر فيه وينطق خبر المبتدأ أي فهو ينطق، ولهذا رفع الفعل بعد فاء السبية. والبيت في شواهد المغني ٢١٦٢ ومعاني الفراء ٢٢٩/٢، والعيني ٤٠٣/٤ - ومن شواهد النحر الشائعة.

[الْفَلَكَ] بالنَّصْبِ نَسَقُ عَلَى «مَا» المعنى وسخر لكم الفلك! ويكون تجري حالاً، أي وسخر لكم الفلك في حَالِ جريها، ويقرأ: ﴿وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، فيكون الفلك مرفوعاً بالابتداء، وتجري هو الخبر، والمعنى معنى التسخير لأن جريها بأمره هو التسخير.

وقوله: ﴿وَيُؤَمِّسُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

على معنى كراهة أن تقع على الأرض، وموضع «أن» نَصْبٌ يُمَسِّكُ، وهي مفعول. المعنى لكراهة أن تقع.

وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِكًا﴾.

وَمَنْسِكًا، وقد تقدم الشرح في هذا

وقوله: ﴿فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾.

أي لا يجادلُكَ فيه، ومعناه لا تُنَازِعُهُمْ، والدليل على أن المعنى لا يُجَادِلُكَ وَلَا تُجَادِلُهُمْ قوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

هذا قبل القتال، فإن قال قائل: فهم قد جادلوه فلم يقل فلا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وهم قد نازعوه، فالمعنى أنه نَهَى لَهُ ﷺ عن منازعتهم كما يقول: لا يَخَاصِمُكَ فُلَانٌ فِي هَذَا أَبَدًا، وهذا جائز في الفعل الذي لا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت لا يُجَادِلُكَ فُلَانٌ فهو بمنزلة لا تُجَادِلُهُ، ولا يجوز هذا في قوله: لا يُضَرِّبُكَ فُلَانٌ، وأنت تريد لا تُضَرِّبُهُ. ولكن لو قلت لا يُضَارِبُكَ فُلَانٌ لكان كقولك لا تُضَارِبُنَّ فُلَانًا. ويقرأ: ﴿فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾: معناه لا يَغْلِبُكَ فِي الْمُنَازَعَةِ فِيهِ، يقال: نَازَعَنِي فُلَانٌ فَتَرَعْتَهُ وَعَارَنِي فَعَزَزْتَهُ^(١)، أنزعه وأغلبه، المعنى فلا يَغْلِبُكَ فِي الْأَمْرِ.

وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾.

(١) عَارَنِي أي غلبني، وعَزَّنِي غلبني.

أي يكادون يبطشون بسطوة على النبي ﷺ وأصحابه، والذين يتلون عليهم القرآن.

وقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُم النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾.

القراءة بالرفع وهي أثبت في النحو من الجر والنصب والخفض، والنصب جائز، فأما من رفع فعلى معنى هو النار، وهي النار، كأنهم قالوا: مَا هَذَا الَّذِي هُوَ شَرٌّ فَقِيلَ النَّارُ. ومن قال النَّارُ بالجر، فعلى البَدَلِ مِنْ شَرٍّ، وَمَنْ قَالَ النَّارَ بِالنَّصْبِ، فهو على معنى أغني النار، وعلى معنى أَنُبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُم كَأَنَّهُ قَالَ أَعْرِفُكُمْ شَرًّا مِنْ ذَلِكَُم النَّارِ.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾.

لأنهم عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر وما لم يُنَزَّلْ به حجة، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الجواب فيما جعلوه لله مثلاً، وجعلوه له نيراً، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

يعنى الأصنام، وكل من دُعِيَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾.

أعلم الله - جل ثناؤه - أنه الخالق، ودل على وحدانيته بجميع ما خلق ثم أعلم أن الذين عبدوا مِنْ دُونِهِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى خَلْقِ وَاحِدٍ قَلِيلٍ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِهِ، ولا على اسْتِنْقَازِ تَأْفِهِ حَقِيرٍ مِنْهُ. ثم قال:

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

أي ما عظموه حقَّ عَظَمَتِهِ، ثم أعلم بَعْدَ ذِكْرِهِ ضَعْفَ قُوَّةِ الْمُعْبُودِينَ قَوَّتَهُ^(١) فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

(١) أعلم قوته بعد ذكر ما بالمعبودين من ضعف.

وقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

يجوز ضَعُفَ، وَضَعُفَ الطالب والمطلوب، أي فهم يضعفون عن أن يخلقوا دُباباً، وعن أن يستنقذوا من الذباب شيئاً مع ضعف الذباب.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾.

اصطفى الله من الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل وَمَلَكَ الموت واصطفى من الناس النبيين والمرسلين، صَلَّى الله عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.

أي اقصدا وبركعوا وسجدوا لله وحده.

﴿وافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾.

والخير كُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

هذا ليس بشك، ولكن معناه لَتَرْجُوا أَنْ تكونوا على فلاح، كما قال لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١)، أي اذهبا على رجائكما، كما يرجو النبي مِمَّنْ يُبْعَثُ إليه، والله عَزَّ وَجَلَّ من وراء العلم بما يؤول إليه أَمْرُ فِرْعَوْنَ إِلَّا أَنْ الْحِجَّةَ لَا تَقُومُ إِلَّا بَعْدَ الْإِبَانَةِ.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

قيل إنه بمنزلة قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، وَأَنْ نسخها قوله: ﴿فاتقوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: معناه اخْتَارَكُمْ.

(١) سورة طه الآية ٤٤.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أي مِنْ ضَيْقٍ، جعل الله على من لم يستطع الشيء الذي يثقل في وقتٍ، ما هو أخف منه، فجعل للصائم الإفطار في السفر، وبِقْصُر الصلاة للمُصَلِّي إذا لم يُطِيق القيام أن يُصَلِّي قَاعِدًا^(١)، وإن لم يطق القَعُودَ أن يُومِئَ إيماءً، وجعل للرجل أن يتزوج أَرْبَعًا، وجعل له جميع ما ملكته يمينُهُ. فَوَسَّعَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى خَلْقِهِ.

وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناه اتَّبِعُوا مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ. وجائز أن يكون مَنْصُوبًا بقوله: اعبدوا ربكم وافعلوا الخير فَعَلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ.

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.

«هُوَ» رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - المعنى: اللَّهُ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ، وفي هذا الْقُرْآنُ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ. وجائز أن يكون إِبْرَاهِيمُ عليه السلام سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ، وفي هذا، أي حكم إِبْرَاهِيمَ أن كل من آمَنَ بِمُحَمَّدٍ مُوَحِّدًا لِلَّهِ فَقَدْ سَمَاهُ إِبْرَاهِيمَ مُسْلِمًا.

وقوله: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

يُروى أن اللَّهَ سبحانه أعطى هذه الأمة ثلاثة أشياء لم يُعْطِهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، جُعِلَتْ شَهِيدَةً عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، والشهادة لكل نبي على أُمَّتِهِ. وأن يقال للنبي عليه السلام: اذهب ولا حرج عليك، وقال [اللَّهُ] لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وأنه قال لكل نَبِيٍّ سَلْ تُعْطَهُ، وقال لهذه الأمة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في الأصل والمقصود منها واضح ولكنها غاية في سوء التركيب.

الفهارس

فهرس البحوث اللغوية
فهرس الأبيات الشعرية
فهرس أنصاف الأبيات
فهرس المحتويات

البحوث اللغوية

| | |
|----|--|
| ٦ | معنى قدم صدق |
| ١٩ | القراء في أم من لا يهْدِي وتوجيهها |
| ٢٤ | إعراب ماذا |
| ٢٤ | كلمة الآن |
| ٢٧ | أجمعوا أمركم وشركاءكم |
| ٣٢ | فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك |
| ٣٨ | يشنون صدورهم |
| ٤٢ | من كان يريد - وبيان فائدة كان |
| ٤٥ | معنى جرم |
| ٤٩ | الجدال واشتقاق الكلمة - جرم وأجرم |
| ٥٠ | الفلك (مفرداً وجمعاً) |
| ٥٤ | يا بني وما فيها من لغات |
| ٦٣ | كلمة «يا ويلتا» |
| ٦٣ | وهذا بعلي شيخاً |
| ٦٨ | هن أطهر لكم (بالرفع وبالنصب) |
| ٧٠ | معنى سجيل واشتقاقه |
| ٧٧ | رقد وحصيد |

| | |
|-----------|------------------------------------|
| ٧٨ | آيات متضاربة في ظاهرها |
| ٨٠ | وإن كلاً لَمَّا لِيُوفِيَهُمْ |
| ٨٢ | معنى «زلفاً من الليل» |
| ٨٨ | يا أبت |
| ٩١ ، ٩٠ | أحد عشر كوكباً .. ساجدين |
| ٩٩ | آتيناه حكماً وعلماً - تفسير المادة |
| ١٠٠ | «هيت لك» واللغات فيها |
| ١٠١ | هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا |
| ١٠٣ | مَنْ قَبْلُ وَمَنْ دُبُرُ |
| ١٠٤ | تفسير إن كان |
| ١٠٤ | بدا لهم |
| ١٠٥ | شغفها حباً |
| ١٠٨ ، ١٠٧ | ما هذا بشراً |
| ١١٢ | البضع والأقوال فيه |
| ١١٤ | معنى يعصرون |
| ١١٥ | حاش لله - حاشى حاش |
| ١٢٨ | اللغات في خطىء وأخطأ |
| ١٤٠ | المثلات ما هي |
| ١٤١ | سواء منكم |
| ١٤٨ | ولو أن قرأنا |
| ١٥٦ | ردوا أيديهم |
| ١٥٨ | ما لنا من محيص |
| ١٧١ | ربما (بالتشديد والتخفيف) |
| ١٧٤ | سكرت أبصارنا |
| ١٧٧ | استعمال مَنْ لغير العاقل |

| | |
|-----------|------------------------|
| ١٨٣ | تفسير لعمر ك |
| ١٨٢ | كلمة ضيف |
| ٢٠١ | يأخذهم على تخوف |
| ٢٠٨ | معنى مفرطون |
| ٢١٠ | وأوحى ربك إلى النحل |
| ٢١٢ | معنى الحفدة |
| ٢١٥ | من بطون أمهاتكم |
| ٢١٧ | من بعد قوة أنكاثاً |
| ٢١٧ | أن تكون أمة هي أربى |
| ٢٢٠ | معنى «جرم» |
| ٢٢٢ | لم يك من المشركين |
| ٢٢٥ | أسرى بعبده |
| ٢٣٢ | أمرنا مترفيها |
| ٢٣٣ | مدحوراً |
| ٣٩٨ ، ٢٣٤ | كلمة «أف» واللغات فيها |
| ٢٣٨ | القسطاس |
| ٢٤٢ | نسج له السموات |
| ٢٥٣ | ضعف الحياة وضعف الممات |
| ٢٥٥ | مدخل صدق ومخرج صدق |
| ٢٧١ | ضربنا على آذانهم |
| ٢٧٣ | معنى مرفق ولغاته |
| ٢٧٣ | معنى تقرضهم ذات الشمال |
| ٢٧٥ | لغات رعب وورق |
| ٢٨٦ | لكننا هو الله ربى |
| ٢٨٩ | أو يرسل عليها حساباً |

| | |
|-----------|--|
| ٢٩١ | خاوية على عروشها |
| ٢٩٤ | وكان الله على كل شيء مقتدرًا |
| ٢٩٥ | ففسق عن أمر ربه |
| ٢٩٧ | العضد ولغاته |
| ٣٠٣ | معنى «قبلاً» ولغاتها |
| ٣٠٤ | فلا تصاحبني أو تصحبنى |
| ٣١٠ | لَدُنْ - (تخفيفها وتشديدها - ونظائرها) |
| ٣١٢ | أفرغ عليه قطراً |
| ٣١٧ | اسطاع واستطاع |
| ٣٢٠ | كهيعص |
| ٣٢٦ | كلمة عتي وعسي |
| ٣٢٧ | تساقط ويساقط |
| ٣٢٩ | أخت هارون |
| ٣٣١ | والسلام عليّ - ومعاني السلام |
| ٣٣٩ | يا أبت والأقوال فيها |
| ٣٤٠ | لنتزعنّ من كل شيعة أيهم - والآراء فيها |
| ٣٥٤ | وإن منكم إلا واردها |
| ٣٦٤ - ٣٦١ | عصاي وما قيل فيها |
| ٣٦٩ | إن هذان لساحران |
| ٣٧١ | طريقاً في البحر ييساً |
| ٣٧٣ | بملكنا |
| ٣٧٤ | يا ابن أم واللغات فيها |
| ٣٧٦ | بصرت بما لم يبصروا به |
| ٣٨٣ | ويوم ينفخ في الصور |
| | وأسروا النجوى الذين ظلموا |

| | | |
|-----|-------|----------------------------------|
| ٣٩١ | | كلٌ في فلك يسبحون |
| ٤٠٩ | | تذهل كل مرضعة |
| ٤١٠ | | ترى الناس سكارى |
| ٤١٥ | | يدعولمن ضره... والأقوال في اللام |

الأبيات الشعرية

| صدر البيت | القافية | الشاعر | رقم الصفحة |
|-------------|-----------|-------------------|------------|
| وجار | الرجاء | | ٣٢٤ |
| ولقد | أن يغضبوا | أبو زياد بن أسماء | ١٩٤ ، ١٤٦ |
| من يساجلني | الكرب | الفضل بن عباس | ٧١ |
| تميم بن قيس | جوابها | الفرزدق | ٧٤ |
| تجد | الحباحب | النابعة | ٨٠ |
| حلفت | مذهب | النابعة | ١٥٧ |
| شربت | تصوبوا | الجعدي | ٣٩١ |
| كأنه كوكب | منقضب | ذو الرمة | ١٧٦ |
| أرى رجلاً | مخضباً | | ٢٦٩ |
| لا تذكرني | الأجرب | عترة | ٣٩٢ |
| أم الحليس | الرقية | | |
| أبلغ | أتينا | | ١٠٠ |
| إن العراق | هيتا | | ٣٦٣ |
| ليس قومي | هيت | | |
| أسيثي | تقلت | كثير | ١٣ |
| هم يجيئون | بيت | | |
| رجعت | صلت | عمرو بن شاس | ١٨٧ |

| صدر البيت | القافية | الشاعر | رقم الصفحة |
|---------------------------|------------------|----------------|------------|
| كان لها | تبلت | الشنفري | ٣٢٥ |
| نشكو | أجحفت أضعفت جلفت | | ٢٤٩ |
| هذا | براح | قطرب | ٢٥٤ |
| إني أرت | مذبوح | أبو ذؤيب | ٢٨٢ |
| أسرت عليهم البرد | النابعة | | |
| وقفت | من أحد | النابعة | ٦٩ |
| إلا الأواري | الجلد | النابعة | |
| وإن جثته | قائداً | الأعشى | |
| أن يغبطوا | النقد | ليبد | ٢٣٢ |
| والناس يلحون المرشد | | | ٢٣٦ |
| وكل خليل | أوغد | كثير | ٣٤٣ |
| يا ابن أمي | شديد | أبو زييد | ٣٧٣ |
| أهوى | القردا | ابن أحر | |
| فإن تبعثوا | تقعد | امرؤ القيس | ٣٥٣ |
| ترفع ما رتعت إقبال وإدبار | الخنساء | | ١٤١ ، ٥٦ |
| تأقي النساء | إكباراً | | |
| لو بغير الماء | اعتصاري | عدي بن زيد | ١١٤ |
| لا أرى | الفقيرا | | ١٢٢ |
| جاء الشتاء | تسكر | جندل بن المثنى | ١٧٥ |
| فما ون | غبر | العجاج | ١٨٢ |
| أقول | الفاجر | الأعشى | ١٩٠ |
| نعلفها | ضرر | | |
| فإن تسألينا | السحر | ليبد | ٢٤٣ |
| سلم | هرهرا | | ٣٢٥ |

| صدر البيت | القافية | الشاعر | رقم الصفحة |
|---------------|--------------|------------------|------------|
| بجيش | الحوافر | الراعي | ٤١٨ |
| هن الحرائر | بالسور | الراعي | ٤٢١ |
| ألا أيهذا | المقادير | ذو الرمة | ٢٦٨ |
| رأت رجلاً | فيخصر | ابن أبي ربيعة | ٣٧٨ |
| كأن لم يكونوا | بزا | الخنساء | ١٠ |
| لها ظعن | الفوارس | ذو الرمة | ٢٧٣ |
| وبلدة | أنيس - العيس | جران العود | ٣٥ |
| وقد حال | الأصابع | النابعة | ١٠٥ |
| تعدون | القنعا | جرير | ٣٣ |
| فسمى ما يدريك | مترع | الحادرة | ١٧١ |
| وعليهما | تبع | | ٢٢٧ |
| أليس ورائي | الأصابع | لبيد | ٣٠٥ |
| سبقوا | مصرع | أبو ذؤيب | ٣٥٤ |
| وعليهما | تبع | أبو ذؤيب | ٣٦٩ |
| كمال | القنوع | الشماخ | ٤٢٨ |
| هموا | بأجدعا | سويد بن أبي كاهل | ٣٦٨ |
| نحن بما عندنا | مختلف | | |
| أزهير | متكلف | أبو كبير | ٢٩٦ |
| وعض | مجلف | الفرزدق | ٣٦٢ |
| الحافظو | نطف | | ٤٢٧ |
| فقات | عارف | المنذر بن درهم | ٣٢٢ |
| ألم تسأل | سملق | | ٤٣٦ |
| عدس | طليق | | ٤١٦ |
| ترعية | الفضل | | ٢١٧ |

| صدر البيت | القافية | الشاعر | رقم الصفحة |
|--------------------|-----------|---------------|------------|
| هنالك | يغلوا | زهير | ١٧ |
| وإن أنا | الأصل | المنخل | ٩٤ |
| محمد تفد | تبالا | أبو طالب | ١١٣ |
| الواهب | أطفالها | الأعشى | ١٢٨ |
| يا لهف | الحلا حلا | امرؤ القيس | ١٢٩ |
| سقى قومي | هلال | ليبد بن ربيعة | ٢٠٩ |
| حفد الولا ئد | الأجمال | | ٢١٣ |
| قلت | غفل | ليبد | ٢٥٥ |
| ألا يا لقومي | باطلي | الأحوص | ٢٧٢ |
| تمنى كتاب الله رسل | | حسان | ٤٣٥ |
| أريد لأنسى | سبيل | | ٤٢١ |
| يريد الرمح | عقيل | الحارثي | ٣٠٦ |
| يا دار | عامها | الطرماح | ٨٩ |
| شطت | مخرم | عترة | ١٣ |
| بل لو شهدت عموا | | رؤبة | ٢٨ |
| فيا ظبية | سالم | ذو الرمة | ١٢٨ |
| لئن كنت | بسلم | الأعشى | ١٦٨ |
| ليستدر جنك | منجم | الأعشى | ١٦٨ |
| ذم المنازل | الأيام | جرير | ٢٤٠ |
| ومن يجعل | يشتم | زهير | ٢٤٩ |
| ولو غير | ميسما | المتلمس | ٢٦١ |
| وما الحرب | المرجم | زهير | ٢٧٧ |
| فيها اثنتان | الأسحم | عترة | ٢٧٩ |
| وكيف | الرجم | | ٣٠٦ |

| صدر البيت | القافية | الشاعر | رقم الصفحة |
|-------------|----------|------------------|------------|
| ولقد أبيت | محروم | الأخطل | ٣٣٩ |
| فلما وردن | المتخيم | زهير | ٣٤٢ |
| فتوسطا | قلامها | لبيد | ٣٢٥ |
| فأطرق | لصمها | التملمس | ٣٦٢ |
| يدعون | الأدهم | عترة | |
| أنا سيف | السناما | حميد بن حريث | ٢٧٨ |
| عقم النساء | عقم | | |
| وكل أخ | الفرقدان | عمرو بن معد يكرب | ٣٨٨ |
| خالي لأنت | الاخوانا | | ٣٦٣ |
| تراه | فليني | عمرو بن معد يكرب | ١٨١ |
| تحوف | السفن | ابن مقبل | ٢٠٢ |
| قد جعلت | القرين | | ١٧ |
| ورجلة | سجيناً | ابن مقبل | ٧١ |
| سريت بهم | بأرسان | أمرؤ القس | ٦٩ |
| بواد | الشبهان | أمرؤ القيس | ٤٢١ |
| ويقلن | إنه | قيس الرقيات | ٣٦٣ |
| تشكو إليّ | المشكى | مبتلى | ٩٧، ٩٦ |
| إني | انجيه | سحيم بن وثيل | ١٢٤ |
| واختلف | الأرشييه | سحيم بن وثيل | ١٢٤ |
| هناك | بيه | سحيم بن وثيل | ١٢٤ |
| قال لها | بالمرضى | الأغلب العجلي | ١٥٩ |
| مرقت الديار | الحميري | | ٢٠٠ |

أنصاف الأبيات

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| ٢٢ ، ٧٩ ، ٣٩٣ | أصم عما ساءه سميع |
| ٣٦٦ أبو حمزة الفقعي | وذكرت تقدر برد مائها |
| ٤١٨ جرير | إن الخليفة إن الله سربله |
| ٣٠٤ حميد بن مالك | قدني من نصر الخُبَيْبِ قدي |
| ٢٠٩ | جعلت أعراض الكرام سكرا |
| ٢٧٤ العجاج | ووجدوا إخوتهم أيقاظاً |
| | أسك نفصاً لا يلي مستهدجا |

فهرس الكتاب

| | |
|-----|----------------------|
| ٥ | سورة يونس |
| ٣٧ | سورة هود |
| ٨٧ | سورة يوسف |
| ١٣٥ | سورة الرعد |
| ١٥٣ | سورة إبراهيم |
| ١٧١ | سورة الحجر |
| ١٨٩ | سورة النحل |
| ٢٢٥ | سورة الإسراء |
| ٢٥٧ | سورة الكهف |
| ٣١٧ | سورة مريم |
| ٣٤٩ | سورة طه |
| ٣٨٢ | سورة الانبياء |
| ٤٠٩ | سورة الحج |
| | الفهارس |
| ٤٤٣ | فهرس البحوث اللغوية |
| ٤٤٩ | فهرس الأبيات الشعرية |
| ٤٥٥ | فهرس أنصاف الأبيات |